تهذيب

الوشيعة

في نقد عقائد الشيعة

للشيخ العلامة موسى جار الله

١٢٩٥ - ١٣٦٥هـ

آخر شيخ للإسلام في روسيا وأول عالم في هذا العصر يكتب عن الشيعة من خلال واقعهم ومصادرهم والحوار مع شيوخهم

هذبَّه وقدَّم له وعلَّق عليه وعرض أجوبة مراجع الشيعة على مسائله

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع



«الإِتْقَانُ لا حَدَّ لَهُ»

تَهْذِيبُ
الوَشِيعَة
في نقدِ عقائدِ الشيعة

بسم الله الرحمن الرحيم

تهذيب

الوشيعة

في نقد عقائد الشيعة

للشيخ العلامة موسى جار الله

١٢٩٥ - ١٣٦٥هـ

آخر شيخ للإسلام في روسيا وأول عالم في
هذا العصر يكتب عن الشّيعة من خلال
واقعهم ومصادرهم والحوار مع شيوخهم

هذبّه وقدّم له وعلّق عليه وعرض
أجوبة مراجع الشّيعة على مسائله

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري

مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع

الطَّبعَة الأُولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٣م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٣٠٤٦ / ٢٠١٣م

ISBN

٩٧٨ ٩٧٧ ٤٨١ ١٠٢ ٩

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق المصرية

إدارة الشئون الفنية

جار الله، موسى ١٢٩٥- ١٣٦٥ هـ

تهذيب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة / لموسى جار الله ؛ هذبّه وقدّم له وعلّق عليه وعرض أجوبة مراجع الشيعة على مسائله . مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ٢٠١٣ .

١٩٢ ص ؛ ٢٤سم .

تدمك ٩ ١٠٢ ٤٨١ ٩٧٧ ٩٧٨

١- عقائد الشيعة

أ- القفاري، ناصر بن عبد الله (مقدم ومهذب ومعلّق)

أ- العنوان ٢٤٧ ديوي

مكتبة الإمام البخاري



الإسماعيلية ٤٦ شارع الجمهورية .. آل الثلاثيني .. بعد السنترال

تليفون ٠١٢٢٣٦٧٦٧٩٧

مُقَدِّمة التَّهْذِيب

الحمد للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ، **وبعد** :

فقد قرأت منذ سنوات كتاب « **الوشيعة** » للإمام موسى جار الله ، فرأيت فيه دراسة علمية موثقة عن الشِّيعة المعاصرين قلَّ أن يوجد لها نظير ؛ وذلك لأنه قد توفر للمؤلف من أسباب الوصول إلى الحقيقة ما لم يتحقق للكثيرين ، **ومن هذه الأسباب** :

١- أنه قد عاش بين الشِّيعة فترة طويلة ، واختلط بكافة طبقات المجتمع الشيعي من عوامهم ومراجعهم، يقول : « وجلت في بلاد الشِّيعة طولا وعرضًا سبعة أشهر وزيادة ، وكنت أمكث في كل عواصمها أيامًا أو أسابيع، وأزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ، وأحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم ، وكنت أحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها والمدارس وحجراتها ، وكنت أستمع ولا أتكلم بكلمة ، وكنت أجول في شوارع العواصم وأحيائها ودروب القرى وأزقتها لأرى الناس في حركاتهم وسكناتهم على أحوالهم العادية وأعمالهم اليومية »[١] ، ثم قال : « وأول كل حركة وكل عمل - أي عندهم - هو الصلاة على محمد وآل محمد ، واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق أهل البيت وظلموهم بزعمهم ... وهو عندهم أعرف معروف ، يلتذ به الخطيب ، ويفرح عنده السامع ، وترتاح إليه الجماعة ، ولا ترى في مجلس أثر ارتياح إلا أخذ الخطيب فيه ، كأن الجماعة لا تسمع إلا إياه ، أو لا تفهم غيره »[٢].

٢- قام بدراسة واعية وشاملة لمصادرهم المعتمدة في العقيدة والتفسير والحديث والرجال. يقول : « وقفتُ جُلَّ ساعاتي على مطالعة كتب الشِّيعة ، وكنت أطالعها بالاهتمام على حسب

---

(١) «الوشيعة» (ص١٥) ط. دار البصائر .

(٢) «الوشيعة» (ص١٧).

مقدرتي وعلى عظيم رغبتي، طالعت أصول الكافي وفروعه، والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه، ثم طالعت جميع كتب الوافي، ومرآة العقول في أحاديث الرسول، ومجلدات عديدة من بحار الأنوار، وطالعت غاية المرام في تعيين الإمام، وكتبًا كثيرة غير هذه الكتب »[1].

٣- رجع إلى ما كتبه شيوخهم المتأخرون والمعاصرون حول مذهبهم، فقرأ كما يذكر « كشف الغطاء »، وهو كتاب يعتمد عليه شيعة اليوم، وقد كشف كل الغطاء - على حد وصفه - عن قلوب الشِّيعة، كما قرأ كتاب « أصل الشِّيعة وأصولها » وغيرهما[2].

٤- حاور بعض شيوخهم وآياتهم ومنهم من زاره في منزله ليتعرف على الحقائق من خلال التلقي المباشر. يقول مثلا : « ولما وردت طهران زرت بعض كبار مجتهدي الشِّيعة »[3]، وقال : « زرت إمام مجتهدي شيعة اليوم محمد الحسين آل كاشف الغطاء في بيته بالنجف، فأعطاني كتابه أصل الشِّيعة »[4]، وقال مرجعهم محسن الأمين : « زارنا في منزلنا بطهران ... ثم أرسل إلينا انتقادات ينتقد بها خطباء طهران وعلماءها، وقد أدرجها في وشيعته »[5].

٥- كان يجيد اللغة الفارسية (مع التركية والعربية والروسية والترية) إجادة تامة، فتمكن بواسطة ذلك من فهم وإدراك واستيعاب ما يسمع وما يقرأ وما يرى في المجتمع الإيراني، وكان حريصًا على متابعة واستماع ما يقوله مراجعهم بكل اهتمام.

وقد ذكر شيخهم محسن الأمين أنه التقى به في طهران سنة ١٣٥٣هـ في مسجد يسمى مسجد الجمعة، وأنه رآه يقوم بعد انقضاء الصلاة ليستمع إلى الخطيب، وهو أشهر خطيب في طهران، وكان خطابه يطول أكثر من ساعة وهو بالفارسية، فجلس يستمع إليه، فقال له

---

(١) «الوشيعة» (ص١٠٨).

(٢) انظر : «الوشيعة» (ص٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ١٠٨).

(٣) «الوشيعة» (ص١٧).

(٤) «الوشيعة» (ص٢٥).

(٥) «الشِّيعة بين الحقائق والأوهام» (نقض الوشيعة) لمحسن الأمين (ص ١٣) ط. مؤسسة الأعلمي.

محسن الأمين: هل تحسن الفارسية؟ فقال: نعم، ثم قام وقال: «أريد أن أجلس قريبًا من المنبر حتى لا يفوتني شيء من الخطاب» واستمر على ذلك ليلتين [١].

٦- وقف بنفسه وشاهد ما يفعلونه في مزاراتهم ومشاهدهم ومآتمهم ومعابدهم، حتى رأى كما يذكر كل ما تأتي به الشِّيعة أيام العزاء، يقول: «ولهم يوم عاشوراء في الصحن حول قبر الإمام أمير المؤمنين علي [٢] أشواط وأدوار في ألعاب رياضية يسمونها التطبير، وصوابها لفظًا ومعنى واشتقاقًا وأصلاً هو التتبير، كنت أقول كلما أراها: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٩] وفي كل شوط من الدور كان يسقط واحد أو اثنان من المتبرين مغشيًّا عليه، يحمله حملة على نعش مثل نعش الميت، فكأنه فدى الإمام الحسين بنفسه!» [٣].

٧- استمع لدروسهم ومحاضراتهم الخاصة والعامة في بيوتهم ومدارسهم وحسينياتهم، وكان يحضر كما يقول حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها [٤].

٨- كانوا يتعاملون معه بلا تقية فهو -في نظرهم- رجل أعجمي قادم من روسيا، فلم يتقوه أو يتحرزوا منه، كما أنه كان لا يمتنع من الصلاة خلفهم وجمع الصلاة كما يفعلون فوثقوا به كأنه منهم [٥].

٩- قدم إليهم وهو محب لهم متعاطف معهم، بل إنه صنف قبل مجيئه إليهم رسالة يدعو فيها -كما يقول- العالم الإسلامي إلى اعتبار مذهب الشِّيعة مذهبا خامسًا كالمذاهب الأربعة [٦]، لأنه على غير دراية بدينهم، فليس لديه أية خلفية فكرية سابقة عنهم يبني

(١) انظر: «الشِّيعة بين الحقائق والأوهام» (نقض الوشيعة) لمحسن الأمين (ص١٢).

(٢) سيأتي إثبات أن قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه غير معروف مكانه.

(٣) انظر: «الوشيعة» (ص ١٦).

(٤) انظر: «الوشيعة» (ص١٥).

(٥) انظر: «الوشيعة» (ص١٧).

(٦) انظر: «الوشيعة» (ص١٠٨).

عليها حكمه، بل كان يحمل المحبة لهم، وحسن الظن بهم، واعتقاد أن مذهبهم لا يختلف عن سائر المذاهب الإسلامية.

١٠- ما يتمتع به المؤلف من قدرات نادرة ومواهب فذة وحافظة قوية وذكاء مميز، مع ما حباه الله سبحانه وتعالى من علم واسع، وحفظ لكتاب الله، ومعرفة بقراءاته ومعانيه، ودراية باللغة العربية ونحوها وصرفها وبيانها وفقهها.

١١- توفيق من الله سبحانه لهذا الإمام بأن يختم حياته بنصرة السنة، ومواجهة أعتى التيارات الباطنية وأخطرها وأكثرها مكرًا وأعظمها تخطيطًا، وهذا من أعظم الجهاد في سبيل الله. **ولكن الكتاب مع ما حظي به من ميزات، وما توفر لمؤلفه من أسباب المعرفة بهذه الطائفة ومصادرها وعقائدها، فإنه بحاجة إلى تهذيب يتناول ما يلي:**

أولا: تخليصه مما علق به من هفوات أو تجاوز في عبارات أو خطأ في بعض الإطلاقات، كنسبة بعض أكاذيب الروافض -أحيانًا- إلى الأئمة المعتبرين كالباقر والصادق.

ثانيا: تهذيبه من الاستطرادات وما لحق به من مباحث لا صلة لها بموضوع الكتاب.

ولذلك قمت بعملية التهذيب مع المحافظة الكاملة على نص المؤلف، فلم أتصرف فيه، واكتفيت بحذف ما رأيت الحاجة داعية لحذفه، للاعتبارات التي ذكرت، والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق.

أما توثيق النصوص فإن المؤلف قد وثقها في الغالب مباشرة من أمهات كتبهم. ولذا فقد وثَّقت ما لم يوثقه المؤلف، وأضفت إلى مصادر توثيقه مصادر أخري لم يذكرها، وميَّزت توثيقي بإثباته في الهامش؛ لأن توثيق المؤلف مثبت في الأصل.

ثم إني رأيت أن المؤلف الإمام العظيم كما يصفه المترجمون له موسى جار الله مع مكانته العلمية العالية ومنزلته الرفيعة في بلده روسيا حتى إنه يعد آخر شيخ للإسلام في روسيا قبل الثورة الشيوعية، وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة في مسلمي روسيا

الذين يزيد عددهم على ثلاثين مليونًا آنذاك ، هو بحاجة إلى التعريف به لعموم الأمة ، ولا سيما أن بعض شيوخ الشِّيعة -كعادتهم مع أعلام الأمة وروادها- تعمد تجاهل مقامه ، وجحد مكانته ، وغمط حقه ، والتنكر لفضله وتاريخه وسابقته وعلمه وجهاده ، وقد بلغت الحال ببعض شيوخهم بأن ادعى أن المؤلف نكرة لا يعرف ، وأن كتاب الوشيعة من « تأليف رجل أسمى نفسه موسى جار الله ابن فاطمة »[1] ، وهذا ليس بمستكثر على من يتنكر لصحابة رسول الله ﷺ الذين أثنى الله عليهم ورسوله .

هذا وبعد صدور كتاب «الوشيعة» قام شيوخ الرافضة بالرد عليه ، وقد وقفت على ثلاثة من ردودهم التي كتبها مراجعهم ، فكان لا بد من النظر في أجوبتهم على مسائل الكتاب وتقويمها ونقدها ، لا سيما أن منها أو كلها لم ينشر إلا بعد وفاة المؤلف – رحمه الله -[2] .

وقد بدأتُ صفحات هذا التهذيب بالتعريف بالمؤلف وكتابه الوشيعة ، ثم بعد ذلك قدمت كتاب الوشيعة مهذبًا ، وختمت الكتاب بذكر « شيوخ الشِّيعة على ما تضمنته الوشيعة ». واعتمدت في تهذيب الكتاب على طبعة الخانجي ، لأنها أقدم طبعة ، ولأنها طُبعت في حياة المؤلف وبإشرافه ، ثم طبع الكتاب بعدها طبعات عديدة مختلفة ، وقد وقفت على خمس طبعات للكتاب ، وهي كالتالي : الأولى : طبعة الخانجي التي اعتمدتُها في التهذيب . والثانية : طبعة سهيل أكاديمي لاهور ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ، والثالثة : طبعة دار الاتحاد العربي للطباعة ، القاهرة ، ونشر مكتبة الكليات الأزهرية بدون تاريخ وكتب عليها : « تحقيق وتعليق وتقديم

---

(١) انظر : «نقض الوشيعة » (ص٦) ، مع أنه ذكر بعد صفحات أنه تعرف عليه والتقى به ، بل وزاره في بيته ، وجرى بينهما محاورات ومراسلات (انظر : المصدر السابق ص١٤) .

(٢) انظر مثلا مقدمة «نقض الوشيعة» (ص٦) حيث يقول المؤلف الرافضي : «كتاب اطلعنا عليه في هذه الأيام يسمى الوشيعة في نقد عقائد الشِّيعة مطبوع بمصر سنة ١٣٥٥هـ» (مع أن مضمون هذا الكتاب قد أرسل له من قبل عن طريق المؤلف) ، ثم قال الرافضي : «وقد بلغنا أنه توفي » ، يعني الشيخ موسى جار الله ، (انظر : نقض الوشيعة ص١٣) وهذا يدل على أنه كتب الرد بعد وفاة الشيخ موسى جار الله ، فلماذا لم يرد هو وأمثاله من المراجع على الشيخ في حياته ، وقد أرسل لهم «نقده» وطالبهم بالرد ؟! فهل كانوا يخشون «وشيعة أخرى» ؟!

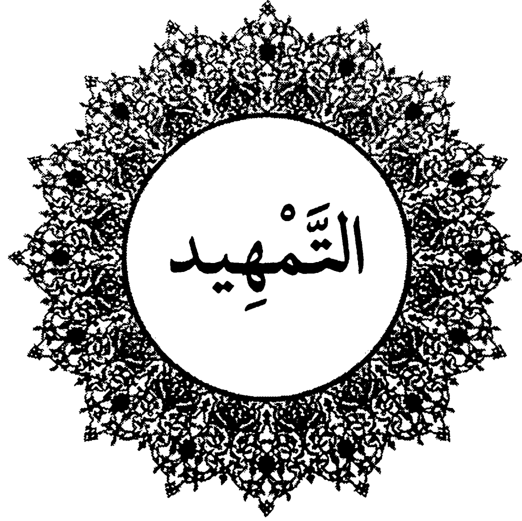
جماعة من كبار العلماء»، والرابعة: طبعة دار الكتب الثقافية، نشر دار الكتب السلفية، تقديم د. محمد جميل غازي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ، والخامسة: طبعة دار البصائر، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

هـذا، والتهذيب لبعض المصنفات سنة جارية لطائفة مـن أهل العلم، فقد درج غـير واحـد من الأئمـة المعدودين من المتقدمـين والمتأخرين في مختلـف التخصصات على سـلوك منهج «التهذيـب»، وذلك لتقريب المادة لطالبها، وتسـهيل العلم لمبتغيه، كما فعل الإمام الذهبي في المنتقى (مختصر منهاج السنة النبوية)، وعبد الرزاق الرسعني في (مختـصر الفرق بين الفرق) لعبـد القاهر البغدادي، والـرازي في (مختار الصحاح) للجوهـري، وابـن الموصلي في (مختصر الصواعق المرسـلة) لابن القيم، وشـيخ الإسـلام محمـد بن عبد الوهاب في (مختصر زاد المعاد) لابـن القيم، والبعلي في (مختصر الفتاوى المصرية) لابن تيمية ... وغيرهم كثير.

وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملي لوجهه خالصًا ولسنة نبيه موافقًا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ناصر بن عبد الله القفاري



التَّمْهِيد

ويتضمن مبحثين :

الأول : التعريف بالشيخ موسى جار الله .

الثاني : التعريف بكتاب « الوشيعة » .

المبحث الأول

التَّعريف بالشيخ موسى جار الله

هو شيخ الإسلام في روسيا قبل الثورة البلشفية وفي إبانها العلامة موسى جار الله ، التركستاني ، القازاني ، التاتاري ، الروستوفدوني ، الروسي ، ولد في « روستوف دون » [١] بروسيا عام ١٢٩٥هـ، وتعلم في المدارس الإسلامية بمدينة قازان [٢] ثم في بخارى [٣] ، وتفقه بالعربية ، وتبحر في علوم الإسلام[٤] ، وتلقى العلم عن الشيوخ الذين تفردوا بعلوم كان يشتهي التعمق فيها والتلقي عن أئمتها [٥] ، وتولى إمامة الجامع الكبير في « بتروغراد » (لينينغراد)، وحج وجاور بمكة ثلاث سنين ، وزار الهند ومصر وتركيا والشام ، وعاد إلى بلاده فأنشأ مطبعة في « بتروغراد » [٦] خدم بها اللغات العربية والفارسية والتترية والتركية والروسية خدمة مفيدة وكان يحسن هذه اللغات كلها ، وإذا تكلم بالعربية فحديثه بالفصحى أنفةً من العامية[٧] .

كان - رحمه الله - في عصره وبلده قبل ثورة الشيوعيين المرجع الأول لمسلمي روسيا وشيخهم وإمامهم ، وكان بإمكانه أن يبقى على تلك المكانة أو أعظم لو داهن في دينه وانساق مع رغبات الحكام ، يقول في مقابلة معه أجرتها جريدة « السجل » العراقية ونشرتها بعنوان « آخر شيخ للإسلام في روسيا » ، يقول : « كان بوسعي أن أغدو كاتب روسيا الأول ، وأحد

---

(١) انظر : «الأعلام» للزركلي ٢٦٩/٨، تقع مدينة روستوف في مقاطعة ياروسلافل على بعد ٢٠٠ كم شمال موسكو، وتقع على ضفاف نهر الدون .

(٢) وهي مدينة كانت مشهورة بالعلم والعلماء، وقد طبعت بها نفائس الكتب الإسلامية، قال الشيخ عبد العزيز القارئ: سألت يومًا من الأيام فضيلة العلامة المقرئ الشهير الشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني القاضي عن أصح طبعة لمتن الشاطبية، فذكر أنها طبعة قازان بمراجعة العلامة موسى جار الله القازاني.

(٣) انظر : «معجم المؤلفين» (٣٧/١٣) .

(٤) انظر : «الأعلام» للزركلي (٢٦٩/٨) .

(٥) انظر : «مذكرات كرد علي» (١٢٣٣/٣) .

(٦) انظر : «معجم المؤلفين» (٣٧/١٣) .

(٧) انظر : «الأعلام» للزركلي (٢٦٩/٨) .

زعماء الطليعة فيها، لو أنني فرطت في ضميري وتخليت عن إيماني، ولكنني آثرت أن أشتري الآخرة بالدنيا... »[١].

ولقد هاجر الشيخ من جحيم الشيوعية فارًّا بدينه يقول في وصف رحلته: « هاجرت بيتي ووطني مع نهاية سنة ١٩٣٠ هجرة اضطرارية، وكانت قد سُدت عليَّ كل طرق النجاة حتى آثرت مضطرًا أوعر الطرق وأصعبها وأطولها، فساقتني الأقدار من طريق التركستان الغربي إلى الأقطار الإسلامية، إلى التركستان الشرقي الصيني، فالبامير، فأفغانستان، وبقيت أربعة أشهر وزيادة على متون الخيول حتى وصلت إلى كابل ... »[٢].

وقد تكالبت قوى الكفر على هذا الإمام فقد اضطهدته روسيا وانكلترا واعتقلتاه زمان الحرب العالمية الثانية، قال الزركلي: « واعتقله الإنكليز في الهند مدة في خلال الحرب العالمية الثانية »[٣]، وقال الأستاذ محمد كرد علي: « وسجنته روسيا لأنه لم يقل فيما قيل بالتعاليم الشيوعية، ولم يقر حكومتها على إغلاق مساجد المسلمين ومدارسهم وتشتيت علمائهم »[٤]، وجاء في جريدة الأهرام: « كان من كبار مسلمي الشمال في روسيا، وقد نزح من وطنه فرارًا من وجه البلاشفة الذين اتخذوا أسرته المؤلفة من حرمه وستة أولاد رهينة، وجردوهم من حقوقهم؛ لأن عائلهم رفض القيام بالدعاية للبلشفية »[٥].

وقد وصف كيفية هجرته من بلاد الشيوعية في المقابلة التي أجرتها معه جريدة « السجل العراقية » فقال: « غادرت بطرسبرج (ليننغراد) ذات ليلة متخفيًا، وسعيت إلى الحدود حتى قدر لي أن أعبرها متنكرًا في زيٍّ فلاح من حداة الإبل بعد أن قطعت آلافًا من الأميال، ورأيت خلالها الموت رأي العين... »[٦].

---

(١) «جريدة السجل العراقية» العدد ٦٥٠، السنة الثامنة عشرة، الجمعة ١٠ شوال ١٣٦٨هـ.

(٢) «الوشيعة» (ص١٣).

(٣) «الأعلام» للزركلي (٨/٢٦٩).

(٤) «مذكرات محمد كرد علي» (ص١٢٣٣).

(٥) جريدة الأهرام (٢٦/١٠/١٩٤٩).

(٦) «جريدة السجل» (مصدر سابق).

وصفه الأستاذ محمد علي كرد علي [١] في مذكراته قائلاً : « تشرفت في القاهرة منذ سنين بالتعارف إلى العالم التازاني العظيم شيخ إسلام روسيا موسى جار الله ، وكنت أعجب بالقليل الذي طالعته من تآليفه ورسائله ومقالاته ، ولما أخرج كتابه « الوشيعة » في الشِّيعة رأيت فيه الإمام الذي انعقد الإجماع على جلالة علمه ، وشدة غيرته على النهوض بالمسلمين في المشارق والمغارب ، طوف الإمام جار الله في الأقطار وجاء اليابان والهند وروسيا الإسلامية وأفغان وإيران وتركيا ومصر والحجاز والشام وغيرها ».

ثم قال : « صورة من أجمل صور العلماء العاملين الذين صرفوا حياتهم في خدمة الدين والأخلاق ، وهو من الأفراد الذين لا يحسن بهم الدهر على العالم [٢] إلا في العصر بعد العصر، وحياتهم من أولها إلى آخرها حافلة بالخير والنفع ... » [٣] .

وجاء في « مجلة المجمع العلمي العربي » : « أن موسى جار الله إمام في اللغة العربية ، وله معرفة واسعة بعلوم اللغة وأصولها وبصرفها ونحوها وبيانها وقريضها ، فلا تكاد تذكر أمامه مادة من مواد اللغة إلا أجابك على الفور عما إذا كانت قد وردت في القرآن أم لا ، وكم مرة وردت ، وفي أية سورة ، لأنه مستظهره أتم استظهار » [٤] .

وقالت عنه مجلة « السجل العراقية » : « كان في العهد القيصري وبداية الحكم السوفيتي في روسيا صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في أمور مسلمي روسيا الذين يزيدون عن ثلاثين مليون نسمة ، ثم هبت عليه أعصار الشيوعية ، فطوحت به بعيدًا عن دياره وأهله ، وقضت عليه أن يمضي العمر في طواف لا استقرار فيه ، ذلك هو الحاج موسى جار الله الذي هبط القاهرة أخيرًا في طريقه إلى الحجاز ، فحالت ظروفه

---

(١) أول رئيس للمجمع العلمي العربي، وأول وزير للمعارف والتربية في سوريا توفي سنة ١٣٧٣هـ ومن آثاره: خطط الشام في ستة أجزاء ، والإسلام والحضارة العربية في مجلدين ، وغيرهما.

(٢) لا يسوغ مثل هذا التعبير لأن الدهر هو الزمن ، والله سبحانه هو رب الدهر والمدبر له.

(٣) «مذكرات محمد كرد علي» (الموضع السابق) .

(٤) «مجلة المجمع العلمي العربي» (٢٦٦/٤) .

الصحية دون سفره ... شيخ وقور، أشرف على المائة، تفيض طلعته بإشراقة روحية ترتاح إليها النفس، وهو يرتدي الثياب القومية الروسية »[١].

وفي لقاء تم بين العلامة محمد تقي الدين الهلالي والشيخ موسى جارالله في مدينة « لكنو » (الهند)، وجرى فيه حوار عن أحوال المسلمين ونشره الهلالي في مجلة « الفتح » بعنوان: « مع الأستاذ الشيخ موسى جارالله العالم التركي الروسي الشهير »، وقد وصف الشيخ الهلالي العلامة موسى جار الله في مطلع الحوار بقوله: « عالم من العلماء اليقظين الذين يجوبون البراري والبحار لمعرفة علل المسلمين والسعي في دوائهم صابرين على ما يكابدون في ذلك من مشاق ».

وقد ذكر الشيخ الهلالي بأنه لما علم بزيارة موسى جار الله لندوة العلماء بالهند وجاءته بطاقة الدعوة من مدير الندوة خف للقائه فرحًا مسرورًا، فوجده رجلاً كهلاً أبيضَ مشرب اللون بحمرة طليق الوجه.

يقول: « ولما قضينا واجب التحية جلسنا للحديث، فأول شيء سألته عن حال المسلمين في روسية، فأخبرني بأنهم على أسوإ حال، وأن الحكومة البلشفية تسومهم سوء العذاب، فمن ذلك أنها استولت على المساجد وسائر الأوقاف، ومنعت الناس من الدين حتى لا يستطيع أحد أن يقوم بالشعائر الدينية إلا خفية في بيته، ومن عسفها أن من لم يسجل اسمه في ديوان الاشتراكية البلشفية، ويعمل على نشرها محروم من جميع الحقوق ... ثم سألته عن معاملتهم لليهود والنصارى، فأجاب بأنهم يضطهدون أهل الأديان جميعًا إلا اليهود فهم سالمون من هذا الاضطهاد ويتمتعون بحقوق لا تتسنى لأحد سواهم، فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: هو النفاق والدهاء، فاليهود بلشفية في الظاهر، وهم في الباطن لا يفرطون في مثقال ذرة من يهوديتهم، وبهذا المكر الكُبَّار نجحوا دون سائر أهل الأديان. فقلت: أولا يسلك المسلمون هذه السبيل؟ فقال: كلا، إن المسلمين إلى الآن مصرون على التمسك بدينهم ظاهرًا وباطنًا، وصابرون على

---

(١) «جريدة السجل العراقية» (مصدر سابق).

ما أصابهم . وتواصلت الأسئلة إلى أن سأله أحد المشاركين في اللقاء قائلاً : أيوجد في بلادكم قباب مبنية على القبور يقصدها الناس لطلب الشفاء وقضاء الحاجات وينذرون لها النذور ؟ فقال : لا يوجد هذا في بلادنا ، وعلماؤنا مجمعون على تحريمه ، وإنما نزور القبور للدعاء لهم والعبرة بحالهم ولا نطلب منهم شيئًا » .

يقول الهلالي : « وكان الأستاذ جار الله يتكلم بالعربية والفارسية بفصاحة تامة زيادة على اللغة التركية التي هي لسانه الأمي »[١] .

آثاره ومؤلفاته :

« تاريخ القرآن والمصاحف » طبع الجزء الأول منه ، و « شرح ناظمة الزهر في عد الآيات وتعيين فواصل السور » وهو مطبوع[٢] ، و « شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المطالب » وهو مطبوع ، و « أيام حياة النبي الكريم ﷺ » ، و « نظام التقويم في الإسلام » ، و « نظام النسيء عند العرب » ، وقد نشر هذه الرسائل الثلاث الأخيرة في جزء واحد ، و « شرح بلوغ المرام » مطبوع ، و « القواعد الفقهية » ، و « الوشيعة » وهو موضوع هذه الدراسة[٣] .

وفاته :

توفي العلامة موسى جار الله في مصر سنة ١٣٦٩هـ ، بعيدًا عن دياره وأهله ، وبعدما أجبرته على الهجرة من بلده أعاصير الشيوعية الملحدة ، فهاجر فرارًا بدينه في رحلة طويلة مضنية ، رأى من خلالها الموت رأي العين ، غفر الله له ، ورفع درجته في المهديين وجمعنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

* * *

---

(١) «مجلة الفتح» كان يصدرها الشيخ محب الدين الخطيب -رحمه الله- .

(٢) وقد نشرته دار الصحابة للتراث بطنطا .

(٣) «الأعلام» (٣٢٠/٧) ، وينظر: « معجم المطبوعات» (ص٦٧٠)، «التيمورية» (٢٩٦/٣)، «الأزهرية» (٦٢/١) .

المبحث الثاني

التعريف بكتاب الوشيعة

يعدُّ كتاب « الوشيعة في نقد عقائد الشِّيعة » لآخر شيخ للإسلام في روسيا موسى جار الله من أوائل الدراسات العلمية المعاصرة حول الشِّيعة المعتمدة على مصادر الشِّيعة نفسها ، بل لعله أول دراسة يكتبها عالم مسلم معاصر عاش في أوساط الشِّيعة كواحد منهم ، فتراه يصلي خلفهم ، ويجمع الصلاة مثلهم ، ويحضر دروسهم ، ويتجول - كما يقول - في بلاد الشِّيعة طولاً وعرضًا سبعة أشهر وزيادة ، وكان يمكث في كل عواصمها أيامًا وأسابيع ، ويزور معابدها ومشاهدها ومدارسها ، ويحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم ، بل ويحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها والمدارس وحجراتها ، ويتجول في شوارع العواصم وأحيائها ودروب القرى وأزقتها ليرى الناس - كما يقول - في حركاتهم وسكناتهم وعلى أحوالهم العادية وأعمالهم اليومية ، فرأى كل شيء على طبيعته.

وكان يراقب أحوالهم ويستمع إليهم ، ولكنه لا يتكلم بكلمة في البداية _كما يذكر إلا ما كان على سبيل السؤال _ ، إما لأنه يريد أن يستكمل دراسة أحوالهم ، ويقف على حقيقة أمرهم ، فلو استنكر في البدء لحجبوا عنه الكثير من أمورهم ، بحكم مبادئ التقية وطقوس الكتمان المقررة في مذهبهم [1] ، ويحتمل أنه لم يتكلم بكلمة في البداية لأنه كان مبهورًا بهذا الشذوذ الذي لم يتوقعه ، لاسيما وأنه كان ينظر إليهم نظرة محب موالٍ ، بل إنه تجاوز ذلك إلى تأليف رسالة يدعو فيها المسلمين إلى اعتبار مذهب الشِّيعة مذهبًا خامسًا ، ولذلك قال في مقدمة أسئلته العشرين لشيوخ الشِّيعة : « إني بحمد الله جل جلاله أدين دين الحق دين الإسلام ، دين الاحترام لكل المذاهب الإسلامية خصوصًا مذهب الشِّيعة الإمامية ، وقد ألفت في سابق الأزمنة رسالة قد اقترحت فيها على عالَم الإسلام أن يعترف بمذهب الشِّيعة

---

(١) فكانت حاله قريبة من حالة محمد بن مالك الحمادي اليماني الذي دخل في طائفة الباطنية، وانتمى إليهم في الظاهر حتى بات كأنه منهم، ثم كشف أستارهم وفضح أسرارهم في كتابه «كشف أسرار الباطنية».

الإمامية مذهبًا رسميًّا خامسًا بين المذاهب المعروفة اليوم في عالم الإسلام »[١].

وذلك لأنه آنذاك لم يتعرف على مذهبهم إلا من خلال مصدرين اثنين : الأول : كتب الملل والنحل. الثاني : كتب الفقه المقارن.

وهذان المصدران لا يكفيان لمعرفة الحقيقة ، ولا يوصلان الباحث إلى معرفة الطائفة، ومثل ذلك من بنى معرفته على الكتب الدعائية ، أو المواقف السياسية ، أو أساليب المصانعة الدبلوماسية ، ولا سيما من (آيات) مردت على التقية ، واعتادت أساليب الخداع والمكيافيلية ، ولكن الشيخ لما عاش بينهم ، وطالع أصول كتبهم أدرك ما كان خافيًا ، وعرف ما كان مستورًا ، ولذلك قال : « أما سياحتي في البلاد العراقية والإيرانية فقد دامت سنة وزيادة ، وكانت صعبة شديدة ، وأفادتني دروسًا جديدة فرجت زوايا أنظاري ، وأقامت على مراكز الاعتدال أشعة أفكاري ، وتجددت بها القوائم من زوايا آمالي »[٢].

ولقد كان الشيخ حريصًا على التثبت من حقيقة ما يرى ، ولذلك فإنه وهو يرى تلك الطوام المنكرة يسأل عنها ، لكنه لا يجد جوابًا فهو يقول : « كنت طوال هذه المدة - يعني مدة بقائه في ديارهم - أرى أمورًا منكرة لا أعرفها ، ثم أستفهمها ولا أجد جوابها »[٣].

ولقد ساعده على استجلاء أحوالهم الخفية وسبر أغوار توجهاتهم السرية ، والاطلاع على أمهات مصادرهم معرفته الكاملة باللغة السائدة في إيران وهي : الفارسية ، ولذلك فقد تمكن من الإحاطة بما في مدونات كتبهم الفارسية وما يجري في واقعهم ، مع حافظة نادرة واهتمام ظاهر وموهبة فذة وذكاء فريد واستقراء شامل.

ولذلك يقول محسن الأمين _شيخ الشِّيعة_ لما رآه يستمع إلى أشهر خطيب في طهران والذي يخطب بالفارسية ، وكان خطابه يطول أكثر من ساعة ، يقول : فقلنا له : هل تحسن

---

(١) «الوشيعة» (ص١٠٨).

(٢) «الوشيعة» (ص١٤).

(٣) «الوشيعة» ص١٥ .

الفارسية ؟ فقال : نعم ، ثم قام وجلس قريبًا من المنبر ، حتى لا يفوته شيء من الخطاب – كما يقول – ، واستمر على ذلك ليلتين ، كما سبق[1] .

ولقد انتهى الشيخ بعد دراسة واقعهم ، وقراءته في أمهات كتبهم ، ومصادر التلقي عندهم ، ومناهج التعليم المقررة في مدارسهم إلى أن مصادرهم جمعت من الضلالات ما لا يقبله عقل ولا أدب ، وما لا ينجح معه أي سعي للتقارب والتعايش ، وقد جمع تلك الضلالات والطوام في وشيعته وقال في صدرها : « جمعت فيها من كتب الشِّيعة عقائد لها لا تتحملها الأمة والعقل وأدبها ودعوى الائتلاف ، وتلك العقائد توري نيران الشحناء ، وتري الأكباد بوَرْي البغضاء، ليست إلا أهوية تنفخ في ضرام العداء ، وكلمة التوحيد توجب على مجتهدي الشِّيعة نزع تلك العقائد من الكتب ، لتجتث جذورها من القلوب ، وتسل ذات جنبها من الصدور ، وإلا فإن الكلمات هراء هواء ، والأفئدة بلاء وجفاء ، وأثر المؤتمرات عداء »[2] .

وقد أشار إلى جهود مبذولة داخل إيران للحد من مظاهر الغلو والتطرف ، ولكن بقاء هذه المواد المظلمة في مصادرهم لا تبقي لهذه الجهود الأثر المرجو.

وقد عزم الشيخ بنفسه على القيام بالحوار مع شيوخ الشِّيعة حول ما رآه في واقعهم ، وما قرأه في مصادرهم، وسار في ذلك وفق مراحل ثلاث :

وصف المرحلة الأولى بقوله : « لما وردت طهران زرت بعض كبار مجتهدي الشِّيعة ، وكنت أحضر حفلات العزاء ، ومجالس الوعظ ، وأسمع فيها بصراحة زائدة ما كنت أنكره أشد الإنكار ، وكان فيها في تلك الأيام إمام مجتهدي الشِّيعة السيد محسن الأمين الحسيني العاملي ضيفًا ... وكنت زرت حضرة السيد العاملي بالكوفة ، وجرى في تلك المرة بيننا كلام يسير ، فزرته في جامع طهران مرة ثانية ، وصلينا الصلاتين ، ثم كتبت على ورقة صغيرة

---

(١) انظر : «الشِّيعة بين الحقائق والأوهام» (ص١٢) .

(٢) «الوشيعة» (ص أ) ، ط. الخانجي .

إنكاري هذا الأمر المنكر ، وزدت فيها مسائل وقدمتها بيد سيد محسن الأمين العاملي لمجتهدي طهران ، وقلت :

- أرى المساجد في بلاد الشِّيعة متروكة مهملة ، والمشاهد والقبور معبودة.

- وأرى صلاة الجمعة متروكة تمامًا ، وصلاة الجماعة غير قائمة والأوقات غير مرعية.

- لم أر فيكم لا بين الأولاد ولا بين الطلبة ولا بين العلماء من يحفظ القرآن ولا من يقيم تلاوته ، ولا من يجيد قراءته ، أرى القرآن عندكم مهجورًا ، ما سبب سقوط البلاد إلى هذا الدرك الأسفل من الهجر والإهمال ؟ ! أليس عليكم أن تهتموا في إقامة القرآن في مكاتبكم ومدارسكم ومساجدكم ؟ !

- أرى ابتذال النساء وحرمات الإسلام في شوارع مدنكم بلغ حدًّا لا يمكن أن يراه الإنسان في غير بلادكم »[١] .

يقول الشيخ موسى جار الله : « كتبت هذه المسائل الأربع في ١٩٣٤/٨/٢٦ بطهران ، وسلمتها لشيخهم محسن الأمين العاملي ، ثم لم أر حضرة السيد ـ يعني ليسمع جوابه عليها ـ لكن سمعت خطيبًا في حفلة أتى بكلمات دلت على أن تلك الورقة تداولتها الأيدي »[٢] ، وقال شيخهم محسن الأمين : « زارنا في منزلنا بطهران...ثم أرسل إلينا انتقادات ينتقد بها خطباء طهران وعلماءها ، وقد أدرجها في وشيعته »[٣] .

ثم لم يكتف بذلك ، بل شرع في المرحلة الثانية حيث كتب بتاريخ ٣٠ ذو القعدة ١٣٥٣هـ رسالة في كراسة صغيرة جمع فيها مسائل من أمهات الكتب المعتمدة للشيعة الإمامية ، ثم قدمها لمجتهدي الشِّيعة وشيوخها ، وقد كتب على وجه الرسالة : « أقدم هذه المسائل لأساتذة النجف بيد الاحترام بأمل الاستفادة ، بقلب سليم صادق ،

---

(١) «الوشيعة» (ص١٨) .

(٢) «الوشيعة» (ص١٨) .

(٣) «الشِّيعة بين الحقائق والأوهام» (ص ١٣).

كله رغبة في تأليف قلوب عالمي الإسلام : الشِّيعة الإمامية ، أهل السنة والجماعة ، راجيًا إجابة الأساتذة جمعًا أو فرادى ، كل ببيانه بتوقيع يده ، مؤكدًا بخاتمه ومهره ، وسيكون إن شاء الله لإفادات الأساتذة السادة شأن في عالم الإسلام يذكر »[١] ، وقد قامت الرابطة العلمية بالنجف بتوزيع هذه الرسالة على أساتذة النجف ، وقدم الشيخ موسى نسخة منها بقلمه للسيد الصدر شيخ مجتهدي الكاظمية ببغداد ، وقد ذكر في هذه الرسالة أنه رأى في كتب الشِّيعة المعتمدة أمورًا منكرة لا تتحملها الأمة ولا يرتضيها الأئمة ، وهي تنافي الدين والأدب وتنافي مصلحة الإسلام ومصالح الأمة منها ما يلي :

١- تكفيرهم عامة الصحابة سوى القليل منهم لا تزيد عدتهم عن سبعة، وتكفيرهم بكل صراحة لأفضل الأمة بعد النبيين أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-.

٢ - ما في كتبهم من لعنات على العصر الأول ، وعلى أعيان من الصحابة جعلوها موضع الأدعية والأوراد.

٣ - ما رآه في مصادرهم من دعاوى تحاول المساس بكتاب الله العظيم ، وأصل دين الإسلام وركنه المتين ، وإن تلك الدعاوى والمفتريات قد بلغت درجة من الانتشار والشيوع في مصنفاتهم ، إلى حد أن شيخهم المجلسي جعلها تضاهي أخبار الإمامة التي هي أصل مذهبهم ، ذكر المجلسي بأن من رد أخبار التحريف يلزمه أن يرد أخبار الإمامة[٢] .

٤ - ما ورد في مصادرهم المعتمدة لديهم من القول بأن حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت ، ومن تحاكم إلى الطاغوت وحكم له الطاغوت فإن أخذه فإنما يأخذ سحتًا ، وإن كان حقه في الواقع ثابتًا له لأنه يأخذه بحكم الطاغوت ، وقد أمروا أن يكفروا به ، ويحرم على الشِّيعة أن تتحاكم إلى الطاغوت.

٥ - صرحت كتبهم المعتمدة بأن كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا

---

(١) « الوشيعة» (ص١٠٧)بتصرف .

(٢)انظر: «مرآة العقول» (٢/٥٣٦) .

الشِّيعة ، والمخالف مطلقًا شر من الكفار ، وأن من يقدم أبا بكر وعمر على عليٍّ فهو ناصبي حلال الدم والمال.

٦ - **إن الجهاد مع غير الإمام المفترض طاعته حرام** مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير ، والإمام المفترض الطاعة هو أحد الأئمة الاثني عشر ، ولذلك تعتقد الشِّيعة أن جهاد الأمم الإسلامية لم يكن مشروعًا ، وهو اليوم غير مشروع.

ثم قال الشيخ بعد أن ساق هذه المسائل : « هذه ست من المسائل عقيدة الشِّيعة فيها يقين، فهل يبقى في توحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل وهذه عقيدة الشِّيعة ؟ ! »[1] . ثم مضى الشيخ يسرد ما رآه في كتب الشِّيعة من ظلمات بعضها فوق بعض منها ما يلي :

- ردهم لأحاديث الأمة ودعوتهم لمخالفة الأمة في كل شيء وقولهم : « ما خالف الأمة ففيه الرشاد » .

- تأويلهم لآيات القرآن على غير تأويلها ، وفي كتبهم أبواب في آيات وسور نزلت ـ بزعمهم ـ في الأئمة والشِّيعة ، وفي آيات وسور في كفر أبي بكر وعمر وكفر من اتبعهما.

- غلوهم في شأن التقية ، وأن للشيعة ولكتبها في حيلة التقية غرامًا ، فإذا روى إمام حديثًا يوافق ما عليه الأمة ، أو عمل إمام عملاً يشبه عمل الأمة فإن الشِّيعة ترده على أنه تقية.

ثم عرض لأباطيل أخرى شنيعة رآها في كتب الشِّيعة منها :

- أن عليًّا طلق عائشة فخرجت من كونها أم المؤمنين ، وأنه إذا خرج غائبهم سيقيم الحد على عائشة ، كما أن غائبهم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام ، منها المسجد الحرام والمسجد النبوي ويهدم حجرة النبي ﷺ ، وينبش قبر صاحبيه ويخرجهما حيين وهما طريان ، ثم يصلبهما على خشبة ويحرقهما ، لأن جميع الجرائم التي ارتكبها الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة بسببهما فأوزارهم عليهما .

- ثم عرض لأمور أخرى منكرة ، وقال في النهاية : « راجعت مجتهدي الشِّيعة بهذه

(١) « الوشيعة» (ص١١٤) .

المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشِّيعة ... ثم قد انتظرت سنة وزيادة ، ولم أسمع جوابًا من أحد إلا من كبير مجتهدي الشِّيعة بالبصرة ، فقد قام بوظيفته وتفضل عليَّ بكل أجوبته في كتاب تزيد صفحاته على تسعين صفحة بكلمات في الطعن في العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشِّيعة »[١] .

ثم شرع بعد ذلك في المرحلة الثالثة والأخيرة يخاطب فيها الأمة الإسلامية جميعًا ، ويكشف لها الحقائق الغائبة عنها ، والتي رآها في واقعهم وقرأها في مصادرهم ، وذلك كما يقول إيضاحًا للأمة ، ودفاعًا عن شرف الأئمة ، وذيادًا عن حرمة الدين ، وقيامًا بحقوق العصر الأول ...[٢].

وقد ضمن ذلك كله كتابه هذا ، والذي سماه : « الوشيعة في نقد عقائد الشِّيعة » حيث قدم خلاصة علمية موثقة لما رآه وقرأه وعلمه من حال الشِّيعة وعقائدها ، والطريق الأقوم والأسلم لإخراجهم من ظلماتها .

ويرى الشيخ ببصيرته النافذة وعلمه الواسع ومعرفته العميقة بكتب الشِّيعة وواقعهم وحال شيوخهم أن نقد عقائد الشِّيعة هو أول مرحلة في تأليف قلوب الأمة لا تأليف بدونها ، لأنه انتهى - بعد نظر ودراسة في مصادرهم - إلى نتيجة علمية وعملية يقينية، وهي « أن كتب الشِّيعة قد أجمعت على أمور لا تتحملها الأمة ، واتفقت على أشياء كثيرة لا ترتضيها الأئمة ، ولا تقتضيها مصلحة الإسلام ، وتناقض أكثر مصالح الأمة »[٣] ، فرأى بعلمه وتجربته أن كتاب « الوشيعة » هو شمعة مضيئة لإخراج الأتباع الأغرار السادرين في ظلمة الجهل والتقليد من الظلمات إلى النور.

---

(١) « الوشيعة » (ص١٢٨) .

(٢) انظر : « الوشيعة » (ص١٢٨) .

(٣) «الوشيعة» (ص١٠٨) .

وإذا كان الشيخ موسى جار الله يرى في نشره كتاب « الوشيعة » وفي نصحه لشيوخ الشِّيعة أن ذلك أول تدبير في التأليف والتقريب ، فإن شيوخ الشِّيعة ترى أن ما كشفه الشيخ موسى يجب أن يكون دفينًا ، ويستفزهم مثل هذا الكشف غاية الاستفزاز ، حتى قال آيتهم محسن الأمين : إنه « أول تدبير وآخره في تنفير القلوب ، وأنه يوقد نار العداوة ، ويجرح عواطف أكثر من مائة وثلاثين مليونًا من الشِّيعة بغير حق »[1] .

والسبب في انزعاج شيوخ الشِّيعة من أي كشف لما في كتبهم من أباطيل ، أن في ذلك فضحًا لأغراضهم ومآربهم ، وكشفًا لاستغلالهم للجمهور الساذج من الشِّيعة ، دينيًّا باسم النيابة عن المعصوم المنتظر ، وماليًّا باسم خُمس هذا المنتظر.

* * *

(١) «الشِّيعة بين الحقائق والأوهام» (ص٦-٧) .

[مُقَدِّمَة الكِتَاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل : ٥٩]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

رب اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] ، ﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى * يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾ [طه : ٢٥ - ٢٨] .

اللَّهُمَّ إني قد أطعتك في أحب الأشياء إليك ، وما عصيتك أبدًا في أبغض الأشياء إليك ، فاغفر لعبدك ما بينهما.

* * *

وجه التأليف

يقـول الله جل جـلاله : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

كلٌّ في حياتـه يجتهـد ويجاهد ، فـإن كان الجهاد في الله فالاهتداء في سـبل الله وعد إلهي بقسـم مؤكـد ، لا يكـون فيـه خلف أبـدًا ، والذي يجاهـد وله غرض ونية في غـير الله فإن الاهتداء ليس بوعد في الآية .

والله جل جلاله في كتابه يقول : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

ثـم يقـول: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [البقـرة : ٢٠٧] ، ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم : ٣٨] .

والله يعلـم وأني أُشـهد الله أني لـم أعمـل عمـلا إلا في الله ، وقـد أنفقـت كل أعماري وشريت نفسي ونسلي ابتغاء مرضاة الله ، وكنت في كل ذلك مخلصًا لوجه الله .

أيارب إني لم أُرد بالذي به كتبتُ كتابي غيرَ وجهك فاقْبلِ(١)

هذا عذري في تأليف الكتاب لتأليف القلوب ، وفي طبعه ونشره خالصًا لوجه الله مخلصًا له الدين ، لا دواء لسُلِّنا إلا سَلُّه سَلَّ الشعرة من العجين .

لا تجعل اللَّهُمَّ لباطل على عقلي سبيلا ، ولا للباطل على عملي دليلا .

* * *

(١) أصل هذا البيت : أيارب إني لم أرد بالذي به مدحت عليًّا غير وجهك فارحم

وهو لأبي هاشم محمد بن إسماعيل من شعراء الشِّيعة. انظر: «أدب الطف أو شعراء الحسين» لجواد شبر (ص٢٠٠) مؤسسة الأعلمي .

أهم ما رأيته

هاجرت [من] بيتي ووطني في نهاية سنة ١٩٣٠ هجرة اضطرارية ، وكانت قد سُدت عليَّ كل طرق النجاة ، حتى آثرت مضطرًا أوعر الطرق وأصعبها وأطولها ، فساقتني الأقدار من طريق التركستان الغربي إلى الأقطار الإسلامية إلى التركستان الشرقي الصيني ، فالبامير ، فأفغانستان ، وبقيت أربعة أشهر وزيادة على متون الخيول حتى وصلت إلى كابل ، ورأيت من كل عجائب الطبيعة ، وأعاجيب الأمم والأحوال ما كان ينسيني الصعوبات التي كنت ألقاها أو أتورط فيها ، وأصعب عذاب لا أكاد أنساه ، هواني بأيدي حرس كانت ترقبني ولا تتركني على اختياري في البحث وفي الإقامة حيث أريد .

أقمت بكابل - وهي جنة الله على الأرض ، أطيب بلدة، وأجمل مدينة ، وأحسن عاصمة في الشرق - في الانتظار أربعين يومًا ضيفًا عند حكومتها الكريمة ، ولها أربع مدارس ثانوية هي أكمل المدارس نظامًا وتربية ، وأتم المدراس بركة وتخريجًا ، دروسها بأربع لغات أجنبية: إنجليزية ، ألمانية ، فرنسوية ، فارسية ، في كل مدرسة لغة ، وخريج كل مدرسة يتملك لغتها كلامًا وكتابة وإنشاء .

وعلمت من كل ما رأيت أن الدولة الأفغانية هي اليوم أقوى دولة في تمدنها وتدينها بين الدول الإسلامية ، أقمت أربعين يومًا في الانتظار ، ثم فتح الله جل جلاله على وجهي أبواب السفر بإشارة من جلالة الملك العظيم أعلى حضرت نادرشاه ، فانتهزت ضرورة الاغتراب في اختيار السياحة بالبلاد الإسلامية ، وقد كنت سحت من قبل في الهند وجزيرة العرب ومصر وكل بلاد تركيا وكل التركستان الغربي ، إذ أنا طالب صغير قد فرغ من درس العلوم المعروفة في المدارس الثانوية والمدارس الدينية .

ودامت سياحتي في تلك المرة ستة أعوام كنت فيها في مختلف الأقطار الإسلامية إلا العراق وإلا إيران ، وفي هذه المرة الأخيرة أعدت سياحتي في كل الأقطار الإسلامية التي كنت فيها من قبل لأرى اليوم بعيني : إلى أي حالة آلت هذه الممالك الإسلامية بعد هذه الحروب

الطاغية الفاحشة ، والانقلابات الكبيرة الطائشة ؟ فرأيت من البلاد العربية التي كانت قبل الحرب ولاياتٍ للدولة العثمانية ، أعرابيًّا تذهب نفســه حسراتٍ حنينًا إلى بعيره الذي ذهب به حنين .

أمـا سـياحتي في البـلاد العراقيـة والإيرانيـة فقد دامت سـنةً وزيـادة ، وكانـت صعبة شـديدة ، وأفادتـني دروسًـا جديـدة فرّجـت زوايـا أنظـاري ، وأقامـت على مركـز الاعتدال أشـعة أفـكاري ، وتحـددت بهـا القوائم من زوايـا آمالي ، ورأيت مدارسـها الدينيـة العربية ، ومـدارس سـائر الأقطـار الإسـلامية في نظامهـا وحياتهـا ودروسـها ، أسـوأ مـن المـدراس الـتي كانـت قبـل الحـرب في تركيـا وفي التركسـتان ، وخُربت وسُـدت وهُدمت بعـد الحرب والانقـلاب ، ودُفنـت تحـت أنقاض ذنوبهـا التاريخية ، ولـم يخربها ولم يهدمهـا الانقلاب ، بل كانت خرابا يبابًا خَلاء من كل بركة ، وكانت بؤرة البوار .

* * *

في بلاد الشِّيعة

جُلْتُ في بلاد الشِّيعة طولا وعرضًا سبعة أشهر وزيادة، وكنت أمكث في كل عواصمها أيامًا أو أسابيع، وأزور معابدها ومشاهدها ومدارسها، وأحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم، وكنت أحضر حلقات الدروس في البيوت والمساجد وصحونها، والمدارس وحجراتها، وكنت أستمع ولا أتكلم بكلمة، وكنت أجول في شوارع العواصم، وأحيائها ودروب القرى وأزِقَّتها، لأرى الناس في حركاتها وسكناتها على أحوالها العادية وأعمالها اليومية.

وكنت طول هذه المدة أرى أمورًا منكرة لا أعرفها، ثم أستفهمها ولا أجد جوابها، وأنكرُ شيءٍ رأيته في بلاد الشِّيعة: أني لم أر طول هذه المدة في مسجد من مساجدها جماعة صلت صلاة الجمعة يوم الجمعة[1]، إلا في بوشهر[2] في رمضان، فقد حضرت في جامع، ورأيت طائفة من الناس صلت جمعة شيعية[3]، وخطب خطيبها خطبة شيعية، ولم أزل أتعجب إلى اليوم: كيف أمكن أن هوى مذهبيًّا أو اجتهاد فرد أو رأي فقيه يرسخ متمكنًا في قلوب أمة، حتى تُجمع على ترك نصوص الكتاب تركًا كأنها تجتنب الحرام، لم أر في يوم من أيام الجمعة في مسجد من المساجد أحدًا من خلق الله ساعة الجمعة، وكنت قد أرى في سائر الأيام أفرادًا أو جماعة تصلي صلاة الظهر وتجمع صلاة العصر[4] في مسجد من المساجد، وكنت في كربلاء

---

(١) الروافض لا يصلون الجمعة منذ أكثر من ألف سنة، ولذلك يقول بعض شيوخهم المتأخرين: «إن الشِّيعة من زمان الأئمة كانوا تاركين للجمعة» (انظر: كتاب الجمعة لشيخهم الخالصي ص١٣١). يقول كاظم الكفائي - وهو من شيوخهم المعاصرين -: «في العراق الآن: الشِّيعة لا يصلون الجمعة إلا الشيخ الخالصي في المسجد الصفوي في الصحن الكاظمي» (كتب هذا القول بخطه للدكتور علي السالوس، ونشره الأخير في كتابه فقه الشِّيعة ص٢٦٤)، وفي الكويت لا يقيم الجمعة إلا الشيخ إبراهيم جمال الدين مرجع الأخباريين هناك. انظر: «أصول مذهب الشِّيعة» (٢/٥٢٧)، وقد نصوا في كتبهم الفقهية على أن «الجمعة والحكومة لإمام المسلمين» (مفتاح الكرامة، كتاب الصلاة ٢/٦٩) ويعنون بالإمام مهديهم الغائب الذي ينتظرون خروجه منذ مئات السنين.

(٢) بوشهر: مدينة تقع جنوب إيران على الساحل الشرقي للخليج العربي.

(٣) انظر: جمعة الخالصي، محمود الملاح.

(٤) يعني تجمع إليها صلاة العصر من غير عذر وباستمرار كما هي عادة الشِّيعة.

والنجف مرات، وأقمت بالنجف أيام المحرم حتى رأيت كل ما تأتي به الشّيعة أيام العزاء، ولهم يوم العاشوراء في الصحن حول قبر الإمام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه(١) أشواط وأدوار في ألعاب رياضية يسمونها التطبير(٢)، وصوابها لفظًا ومعنًى واشتقاقًا وأصلاً هو التتبير، كنت أقول كلما أراها: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٩]، وفي كل شوط من الدور كان يسقط واحد أو اثنان من المتبَّرين مغشيًّا عليه، يحمله حَمَلة على نعش مثل نعش الميت، فكأنه شهيد فَدى الإمام الحسين بنفسه(٣).

وكل هذه التمثيلات والألعاب، لو لم يكن فيها إغراء عداوة وبغضاء لكان فيها روعة، ولعجَّل الإمام القائم المنتظر الرجعة لو رأى فيها أثر صدق بين ملايين الشّيعة.

وأول شيء سمعته، وأكره شيء أنكرته في بلاد الشّيعة، هو لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين السيدة عائشة والسيدة حفصة رضي الله عنهم، ولعن العصر الأول كافة في

---

(١) ذكر المحققون من أهل العلم بأن ما يعرف بقبر أمير المؤمنين علي في النجف ليس هو موضع قبره، وقد أخفى الصحابة موضع قبره لئلا تنبشه الخوارج، قال ابن كثير: «وما يعتقده كثير من الجهلة من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له» (البداية والنهاية ٣٤٣/٧). قال الإمام إبراهيم الحربي: «قبر علي بن أبي طالب لا يدرى أين هو» (طبقات الحنابلة ٨٨/١).

وأول من أوهم الناس بأن هذا موضع قبره وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء هو سلطان عضد الدولة ابن بويه الرافضي. (ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٤٩/١٥-٢٥٢ ترجمة ابن بويه رقم ١٧٥).وكانت بداية إحداث هذا المشهد الوثني في الدولة البويهية في المشرق، وذلك في المائة الرابعة. قال الإمام الذهبي: «فلقد جرى على الإسلام في المائة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب، وبالدولة البويهية بالمشرق، وبالأعراب القرامطة، فالأمر لله تعالى» (المصدر السابق).

(٢) التطبير عندهم: هو ضرب أعلى الرأس بالسيوف أو نحوها من الآلات الحادة حتى يخرج الدم، وتكون في العادة بصورة جماعية ومسيرات تجوب الشوارع والأماكن العامة، وحول قبور الأئمة المزعومة، ولا يزال التطبير رائجا بين الشّيعة في العراق وإيران ولبنان وباكستان والهند يعدونه من شعائر دينهم .. وهذه الحالة تكشف عن (سادية خطيرة) ربما نشأت من تكرار إحياء المآتم، وذكر القصص والحكايات فيها حول المظالم التي جرت على الشّيعة، وقد تنشأ من آثار ذلك الرغبة في الثأر والانتقام، فتتحول إلى سادية متوحشة تتمنى الانتقام، فلا تجد لذلك سبيلا سوى ضرب النفس.

(٣) وقفت على كتاب في مكتبة دار التقريب في مصر إبان زيارتي لها عام ١٣٩٩هـ اسمه «شهداء الحسين» يذكر فيه من مات منهم في أثناء هذه «المراسيم الحسينية».

كل خطبة وفي كل حفلة ومجلس في البدء والنهاية ، وفي ديابيج الكتب والرسائل ، وفي أدعية الزيارات كلها ، حتى في الأسقية ، ما كان يسقي ساقٍ إلا ويلعن ، وما كان يشرب شارب إلا ويلعن.

وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد ، واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق أهل البيت وظلموهم ، وهو عندهم أعرف معروف ، يلتذ به الخطيب ، ويفرح عنده السامع ، وترتاح إليه الجماعة ، ولا ترى في مجلس أثر ارتياح إلا إذا أخذ الخطيب فيه ، كأن الجماعة لا تسمع إلا إياه ، أو لا تفهم غيره .

ولما وردت طهران زرت بعض كبار مجتهدي الشِّيعة ، وكنت أحضر حفلات العزاء ومجالس الوعظ ، وأسمع فيها بصراحة زائدة ما كنت أنكره شديد الإنكار ، وكان فيها في تلك الأيام إمام مجتهدي الشِّيعة السيد المحسن الأمين الحسيني العاملي ضيفًا ، وكان يؤم الجماعة في صلاتي المغرب والعشاء جمعًا ، وكنت زرت حضرة السيد العاملي مرة بالكوفة ، وجرى في تلك المرة بيننا كلام يسير ، فزرته في جامع طهران مرة ثانية وصلينا الصلاتين ، ثم كتبت على ورقة صغيرة إنكاري هذا الأمر المنكر ، وزدت فيها مسائل ، وقدمتها بيد السيد المحسن الأمين العاملي لمجتهدي طهران ، **وقلت** :

(١) أرى المساجد في بلاد الشِّيعة متروكة مهملة ، وصلاة الجماعة فيها غير قائمة ، والأوقات غير مرعية ، والجمعة متروكة تمامًا. وأرى المشاهد والقبور عندكم معبودة ، أما المقابر فهي في أكثر بلادكم طرق للناس ومعابر ، يدوسها الأنعام والكلاب وكل عابر . ما أسباب كل هذه الأمور ؟

(٢) لم أر فيكم لا بين الأولاد ، ولا بين الطلبة ، ولا بين العلماء من يحفظ القرآن ، ولا من يقيم تلاوته ، ولا من يجيد قراءته ، أرى القرآن عندكم مهجورًا . ما سبب سقوط البلاد إلى هذا الدرك الأسفل من الهجر والإهمال ؟ أليس عليكم أن تهتموا في إقامة القرآن الكريم في مكاتبكم ومدارسكم ومساجدكم ؟

(٣) أرى ابتذال النساء وحرمات الإسلام في شوارع مدنكم بلغ حدًّا لا يمكن أن يراه

الإنسان في غير بلادكم.

كتبت في الورقة هذه المسائل الأربع[١] في (١٩٣٤/٨/٢٦) بطهران وسلمتها للسيد المحسن الأمين العاملي، ثم لم أر حضرة السيد، وسمعت خطيبًا في حفلة أتى بكلمات دلت على أن تلك الورقة تداولتها الأيدي[٢].

إن في تاريخ الإسلام أمرين إمرين، أنا لا أدري أيهما أكبر خزيًا وأشد سوءًا:

(١) شهادة خليفة الإسلام في أيدي فئة حقيرة باغية وقوة الدولة الإسلامية حاضرة قوية كانت متمكنة من دفعها، ولم تدفع ولم تدافع[٣].

(٢) واستشهاد بيت النبوة بخيانة من شيعته. وقلت: إنما هي فتنة جاءت من عفاريت اليهود وشياطين الفرس[٤] لعبت بغفلة الشِّيعة في سبيل النيل من دين الإسلام ومن دولته.

هذه أوهامي في توجيه الأمر أو الأمرين، ولا علم عندي في وجه الأمرين غير ذلك، وقد كشف الغطا عن وجه الأمرين كاشف الغطا الإمام المجتهد الشيعي النجفي (جعفر ابن

---

(١) يوجد خطأ في ترقيم المسائل حيث لم تذكر سوى ثلاث، ويبدو أن الرابعة لم تأخذ رقمًا، وهي «وأرى المشاهد والقبور عندكم معبودة....» إلخ.

(٢) لأن هذه الطائفة ليست مجرد مذهب، بل هي تنظيم أشبه بتنظيم الماسون.

(٣) لم تدفع ولم تدافع وذلك طاعة لأمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي لم يوافق على أن يراق في الدفاع عنه قطرة دم، وأمر الصحابة أن يلزموا بيوتهم حقنًا لدمائهم فقتل مظلوما شهيدًا، وقال: زيد بن ثابت لعثمان رضي الله عنه: «هؤلاء الأنصار بالباب إن شئت كنا أنصار الله مرتين فقال: لا حاجة لي في ذلك، كُفّوا» (تاريخ خليفة ابن خياط ص١٧٣).

(٤) قال ابن حزم: «إن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها، بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدًا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرًا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق .. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع، بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى» (انظر: الفصل ٢٣٧/٢).

الشيخ خضر) في كتابه « كشف الغطاء »، وهو كتاب يعتمد عليه شيعة اليوم، يكشف بعض الغطاء عن بعض وجوه بعض الحقائق، فقال: « إن عثمان قتله أصحاب علي، وباشر قتله أخص خواصه بمرأى منه ومسمع، فكان قتل عثمان برضا علي بالبداهة »[١]، وتعجَّبَ من الذين لا يفهمون مثل هذه البداهة، فلنا أن نقول لهذا الإمام المجتهد:

لقد كنت تخفي بغض الاصحاب خيفة فبح الآن منها بالذي أنت بائح[٢]

وانطلق قلم الشيخ ولسانه، فأخذ يبث ما في قلبه من العلوم والعقائد، وطفق يستدل على فضل علي رضي الله عنه:

(١) بحديث « لا يجوز على الصراط إلا من كان بيده جواز من ولاية علي ».

(٢) بخبر نزول « لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي » في واقعة أحد.

(٣) بحديث رد الشمس عليه بعد المغرب مرة أو مرتين أو ستين مرة.

ثم جعل يقول: « لو أمعنت النظر واقتفيت الأثر لعلمت من مجموعه أنه لم يكن بعد النبي أهل للقيام بأعباء الخلافة سوى من أقامه الله لها »[٣] (وهو علي)، وجاهر جهارًا بلعن الصديق والفاروق، وقال: إن عثمان كان كافرًا، قتله أصحاب علي برضا علي، على مرأى منه ومسمع، فرحم الله صاحب « اللزوميات » إذ يقول في الشِّيعة:

يقول كلامًا فوك يوجد بعده كذي نجَس يحتاج منه إلى الغسلِ[٤]

وفي الصفحة (١٧) عقد بابًا لمثالب الصحابة وأهل البيت أمهات المؤمنين، فقال:

---

(١) «كشف الغطاء» (١١/١).

(٢) أصل هذا البيت: تعزيتُ عن ذكرى سُميَّةَ حِقبةً فبُحْ عنك منها بالذي أنت بائحُ
انظر: «ديوان عنترة» (ص٢٩٨) تحقيق/ محمد سعيد مولوي.

(٣) «كشف الغطاء» (١١/١) بتصرف.

(٤) «اللزوميات» (٢١٩/٢) لأبي العلاء المعري، تحقيق/ أمين عبد العزيز الخانجي.

المثالب الثابتة للقوم (يريد بالقوم الصديق والفاروق وعامة الصحابة وأمهات المؤمنين) التي تأبى الإسلام فضلا عن الإيمان والعدالة فكثيرة لا يمكن ضبطها. قال في (١٩): روى البخاري في صحيحه عن نافع عن ابن عمر قال: قام النبي ﷺ خطيبا فأشار نحو مسكن عائشة وقال: « **الفتنة هاهنا (ثلاثًا) حيث يطلع قرن الشمس** »(١). يقول: روى البخاري قال: خرج النبي من بيت عائشة وقال: « **رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشمس** »(٢). يقول كاشف الغطاء عن وجه أحاديث الأمة: « إن كتب الأمة مملوءة من ذم عائشة وذم أبيها بأحاديث النبي ﷺ »(٣).

هذه شواهد تدل على قدر الإيمان والأدب والأمانة لأقلام مجتهدي الشِّيعة، والروح في كتب الشِّيعة في قديمها وفي جديدها متفقة: هي العداء للعصر الأول، ولعن الصديق والفاروق، وإكفار عامة الصحابة وأمهات المؤمنين وعلى رأسهم عائشة وحفصة، وهذه - كما قلته مرارًا -: هي التي لا تتحملها الأمة ولا الأدب ولا العقل ولا الدين.

إمام مجتهدي شيعة اليوم محمد الحسين آل كاشف الغطاء رأيته أول مرة بالقدس، ثم عرفته تمام المعرفة إذ كنت أجالسه في المؤتمر القدسي أيامًا، كان يجلس عن يميني في الصف الأول، ثم بعد مدة زرته في بيته بالنجف فأعطاني كتابه « أصل الشِّيعة »، وقال: «طالعه تجد فيه حقائق كثيرة، قد استحسنه علماء الغرب حتى قرضه أو قرظه البعض »، ثم زرته مرة ثانية واقتديت به مرات في صلاة الجماعة، ثم بعد أيام قرأت كتابه « أصل الشِّيعة »، والكتاب صغير يمر به الراغب في سويعات قبل أن يقوم من مقامه، وقد يطوى الله لنا طول الكتاب في عدد مجلداته وحزونته في بياناته طي المسافة وطي الزمان، فأرى المعاني مستقرة عندي قبل أن يرتد إليّ طرف أفكاري، أحطت بكل ما في « أصل الشِّيعة » في جلسة، وقد وقفتْ مطيُّ أفكاري وقفة طويلة عند قوله: « إمام الشِّيعة علي بن أبي طالب الذي يشهد الثقلان أنه لولا

(١) رواه البخاري (٧٠٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٩٠٥)، بلفظ: « ...قرن الشيطان»، ولفظ البخاري (٣٣٠١): «رأس الكفر نحو المشرق».

(٣) انظر: «كشف الغطاء» (١٧/١) وما بعدها.

سيفه ومواقفه في بدر وأحد وحنين والأحزاب ونظائرها لما اخضرَّ للإسلام عود، وما قام له عمود، حتى كان أقل ما قيل في ذلك ما قاله أحد علماء السنة [(١)] :

ألا إنما الإسلام لولا حسامه كعفطة عنز أو قلامة ظافر » [(٢)]

وقفت مطية أفكاري وتفكرت : دين أنزله الله من العرش العظيم إلى سيد المرسلين وخاتم النبيين ليكون دينًا للعالمين إلى يوم الدين في كتاب ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨] كيف يقول فيه قائل له عقل : إن أقل ما يقال فيه : إنه عفطة عنز، أو قلامة ظافر، أو ضرطة عنز بذي الجحفة ؟ !! وهل لعليّ فضل سوى أنه صحابي بين الصحابة وبطل من أبطال جيش الإسلام، لولا الإسلام لما كان لعلي ولا لعرب الحجاز ذكر.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان : ١] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر : ١٠] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر : ١٥ - ١٧] ومن كان له أدب فليس من أدبه أن يمنَّ على الله بشيء من عمله ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات : ١٧].

ولو صدق قول إمام الشِّيعة : « لولا سيف علي لما اخضر للإسلام عود، وما قام له عمود » ؛ لكان النبي ﷺ في قوله : « أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده » [(٣)] كاذبًا كذب كفران، ولكان قول الله جل جلاله : ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾

---

(١) ليس هو من علماء السنة كما يدعي هذا الرافضي، بل هو من المعتزلة الرافضة كما تشهد بذلك أقواله، ومنها: هذا البيت، وهذه إحدى مكايد الرافضة وأساليبهم في التضليل كما كشف ذلك صاحب التحفة، وقد بينت ذلك في رسالتي «مسألة التقريب» (٧٨/٢).

(٢) «أصل الشِّيعة وأصولها» (ص٨١-٨٢) بتصرف، وقد نسب هذا البيت لابن أبي الحديد، فلعل المصنف عَدَّله في في طبقة لاحقة.

(٣) جزء من حديث جابر عند مسلم رقم (٣٠٠٩).

[الأنفال : ١٩] باطلا بطلان عدوان .

فـإن كان معتزلي اعتزل دينه شـبه الإسـلام بضرطـة أنثى المعز ، فقـد كان أجهل الناس بالإسلام ، وأبعد الناس عن الإيمان ، وشر منه قول من جعل قول المعتزلي أقل ما يقال فيه ، فأي شيء بقي أقل من ضرطة العنز ؟ ! جِئْ به ترفضًا وتشيعًا حتى تكون أبلغ بليغ .

فإن كنت تخفي بغض الاسلام خيفة فبح الآن منها بالذي أنت بائحُ [1]

وإمـام الأئمـة علي أمـير المؤمنين أول من يتـبرأ من مثل هـذا الـكلام ، وأفضل أحوال عليٍّ رضي الله عنـه أن يكـون خامـس الأمـة ، رابـع الصحابـة ، وقـد جعلـه الله كذلـك ورضي هـو في حياتـه بذلـك ، وقد كان يقـول : « دنياكم عندي كعفطة عـنز في فلاة » [2] ، ومثل هذا الكلام في مثل هذا المقام له وقع وله بلاغة ، أما انتحاله في الإسـلام « لولا سـيف عليٍّ » فلم ولن يرتكبه أحد ، إذ لا شرف لعليٍّ وسـيفه إلا بإسـلامه ، والإسلام في شرفه غني عـن العالمـين غنى الله ، منه بدأ وإليه يعـود ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٦] .

* * *

(١) تقدم تخريجه (ص٣٥) .

(٢) انظر نحوه في: «نهج البلاغة» (ص١٠٨)، مؤسسة المعارف .

الأمة أو الأئمة

تكلمت في الكتاب -بإذن الله جل جلاله وعونه- على مسائل كثيرة، نقدًا وردًّا، فقلت مرات وأعيد الآن: إني لا أنكر إلا مسائل فيها ضرر للإسلام وللشيعة وللأمة في قوتها ووحدتها وائتلاف قلوبها، لا أبحث عن ضلال المسائل وصوابها، وإنما أقوم عليها قيام من ينكرها لضرره، ثم بعد كل ذلك بقي عليّ كلام في مسألة تعدها أمهات كتب الشّيعة من أصول الدين وأهم أركان الإيمان: هي مسألة «الولاية والإمامة»، وهي عندنا أهل السنة والجماعة من أمهات المسائل، وإن كنا لا نجعلها من أركان الإيمان في كتب التعليم وكتب الكلام.

وأريد الآن أن آتي ببيان كمقدمة ينبني عليها عقيدتنا في الإمامة: إني أعتقد في الأمة عقيدة الشّيعة في الأئمة، الشّيعة تقول بعصمة الأئمة، أما أنا فأقول بعصمة الأمة، فإن الأمة في عقيدتي معصومة بعصمة نبيها [1]، والأصل في عقيدتنا أن الإمام كبير الأمة وممثل كلية الأمة، فإن لم تكن الأمة معصومة فلا عصمة للإمام، والأصل في الشرف والعصمة هي الأمة، وإليه يرشد ويشير قول الله جل جلاله: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠].

إن عصمة الأئمة لا تغني الأمة في شيء، ولا تغنيها عن شيء، وعقيدة انحصار الأئمة في عدد محدود قد اضطرت الشّيعةَ الاثني عشرية إلى أن تقول أقوالا كلها مستحيلة، وعقيدة عصمة الأئمة قد بناها الشّيعة على حرمان كل الأمة من عقل عاصم، ومن إيمان هادئ هادٍ، فإن الأمة إن كان لها عقل يعصمها وإيمان يهديها، فهي بالغة رشيدة راشدة، خرجت عن الوضيعة وكبرت عن طوق الشّيعة.

---

(١) الأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ ولذا فهي لا تجتمع على ضلالة، ولا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين لايضرهم من خذلهم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله تعالى قد ضمن العصمة للأمة...» (منهاج السنة النبوية ٢/١١٢).

ولأجل ذلك عرضت للشيعة هذا السؤال : الأمة أو الأئمة ؟ فإن قالت الشِّيعة بعصمة الأئمة ، فأنا أقول بعصمة الأمة ، إذ لا حكمة للدين ولا مصلحة للأمة في مجرد عصمة الأئمة ، فإن الأمة إن لم يكن لها عقل يعصمها[1] وإيمان يهديها ، وقوة تحميها فلا وجود للأمة ، وعصمة إمام حي ظاهر ، أو عصمة إمام قد اختفى في سرداب ، أو في إحدى الجزائر لا تغني الأمة في شيء ، ولا تغنيها عن شيء ، وعقيدة عصمة الأئمة تضطر الأمة إلى أقوال كلها مستحيلة ، والأمة غنية مستغنية عنها بكل وسيلة وبكل حيلة .

* * *

(١) عامَّة أُصول الدين مما يدرك بالعقل، لكن العقل لا يستقل بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل، ولو كان يستقل لما بعث الله الرسل، والعقل وسيلة لإدراك وفهم النقل، والعقل الصريح السالم من الشبهات والشهوات لا يناقض النقل الصحيح .

العصر الأوَّل أفضل الأُمَّة والأُمَّة معصومة

(١) « إنَّ الله نظر في قلوب العباد ، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، ثم نظر في قلوب الأمم بعد قلب محمد ﷺ ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه »[١] ، فالصحابة خير العباد والأمم كلهم أجمعين .

(٢) آخر سورة من القرآن الكريم نزلت سورة النصر العزيز والفتح المبين ، وآخر آية من الكتاب الكريم نزلت كانت هي آية إكمال الدِّين ، وإتمام نعم الله على المؤمنين ، وآية رضى الله الإسلام دينًا للمسلمين ، وآكد وعد مؤكد بالقسم الإلهي كان هو وعد الاستخلاف كما استخلف الذين من قبلهم ، ووعد التمكين الذي لم يكن لأحد من قبلهم ، وأجلُّ فرح حصل للنبي ﷺ في حياته ، كان آخر فرحة فرحها في آخر ساعة من حياته ، إذ رفع الستار فرأى جميع أصحابه يصلون صلاة جماعة ، ألَّف الله بين قلوبها خلف خليفته الذي أقامه إمامًا لأمته في دينها ودنياها ، وكانت هذه الصلاة هي قرة عينيه ، ورضى قلبه ونور فؤاده ، حتى طمأن الله بها قلبه ، فكانت آخر كلمات صدرت من لسان سيد المرسلين كلمات رضا ، وكلمات اعتماد على استقامة أمته بعد مماته كما استقام هو في حياته ، فكان هو والصحابة أول من نزل فيهم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فصلت : ٣٠] ، وآخر كلمة سمعته عائشة يقول : « **في الرفيق الأعلى** »[٢] هذا هو الذي وقع ، وهذا هو الحق .

(٣) ثبت أن النبي ﷺ كان يقول : « **خير القُرون قَرني ، ثُمَّ الذين يَلونهم ، ثم الذين يَلونهم** »[٣]. والمعنى أن خير القرون الماضية قرني ، ثم الذين يلونهم هم أيضا خير من القرون الماضية ، فالقرون الثلاثة من قرون الأمة هم خير من كل القرون السابقة

---

(١) أثر عن ابن مسعود أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٣٦٠٠) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٥١) .

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢)، وأحمد ٤٣٤/١، وقد ورد الحديث بألفاظ مختلفة أوردها الحافظ السيوطي في «الجامع الصغير» .

قبل الإسلام، ولا يكون في الحديث على هذا المعنى تفاضل قرون هذه الأمة إذ ثبت: « **أمتي كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها** »(١).

وإن كان المعنى خير القرون من هذه الأمة قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، فالحديث أن القرن الأول هو أفضل القرون من هذه الأمة، ومعنى الحديث الثاني أن « **أمتي كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها** » في سعة الأرزاق، وفي اتساع البلاد والدولة، في أي القرون تتضاعف الخيرات وتتسع البركات أزيد؟ في أولها أم في آخرها(٢)؟

فالقرن الأول هو خير القرون على كلا الحديثين، قرن الرسالة وقرن الخلافة الراشدة، فيه نزل القرآن الكريم وكُتب، وفيه كُتبت المصاحف، وحُفظت أصول الشرع والدين، وفيه قامت الدولة الإسلامية على أساس متين، وفيه اتسع فتوحات المؤمنين، فإن الدين والملك توأمان لا بقاء لأحدهما إلا بصاحبه، والدين أساس الملك وعماده، والملك خادم الدين وحارسه، وقد قال النبي ﷺ لعشيرته، وكان يقول لصحابته: « **أدعوكم إلى كلمة إن قبلتموها**

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٦٦٠)، والشهاب القضاعي في «المسند» (١٣٤٩)، لكن بلفظ: «... أوله خير أم آخره»، قال ابن حجر في «الفتح» (٦/٧): «له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة»، وحسنه ابن عبد البر (التمهيد ٢٥٣/٢٠).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (مجموع الفتاوى ٣٠٦/١٨): «معنى الحديث أنه يكون في آخر الأمة من يقارب أولهم في الفضل وإن لم يكن منهم، حتى يشتبه على الناظر أيهما أفضل، وإن كان الله يعلم أن الأول أفضل، كما يقال في الثوب المتشابه الطرفين: هذا الثوب لا يُدرى أي طرفيه خير؟ مع العلم بأن أحد طرفيه خير من الآخر، وذلك بأنه قال: «لا يُدرى أوله خير أو آخره»، ومن المعلوم أن الله يعلم أيهما خير إذا كان الأمر كذلك، وإنما ينفي العلم عن المخلوق لا عن الخالق؛ لأن المقصود: التشابه والتقارب، وما كان كذلك اشتبه على المخلوق أيهما خير».

وقال ابن كثير في (تفسيره ٥٢٣/٧): «فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعده، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم، وكذلك الزرع الذي يحتاج إلى المطر الأول والمطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول واحتياج الزرع إليه آكد...».

ملكتم بها العرب، ودانت لكم بها العجم، وأدت إليكم الخراج»[(١)].

عصر الرسالة كان على الحق بالضرورة، وشهادة الواقع وشهادة القرآن، وعصر الخلافة الراشدة كان على الحق بشهادة النبي ﷺ وشهادة كل آيات القرآن.

والصحابة على حسب ما شهد به التاريخ كان لهم دين وأدب عظيم، وكان لهم وفور معرفة وعلم ونفاذ بصيرة، واهتمام بالأمور كامل، وفيهم نزل خاتمة سورة الفتح[(٢)].

ثم الصحابة - بما لهم من القوة والبأس في ظهور الدين وغلبته على الأديان - جمعوا في أنفسهم مَثَل التوراة، وهو الشدة، وبما لهم من الرحمة والدين في حياتهم الأدبية والاجتماعية جمعوا في أنفسهم مَثَل الإنجيل، وهو الرحمة والرأفة.

أما القرآن الكريم فقد ذكر في مَثَل الصحابة ومَثَل كل الأمة زرعًا أخرج الله شطأه وشد أزره، وقوى بعضه بالبعض حتى التف وصار ألفافًا، بعضه يقوي البعض واستوى على سوقه، يعجب الزراع بحسن نموه وكثرة بركته، وربى الله الأمة كذلك ليغيظ بهم الكفار، ثم ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

والأمة بعقلها وكمالها ورشدها[(٣)] بعد ختم النبوة أكرم وأعز وأرفع من أن تكون تحت وصاية وصي، تبقى قاصرة إلى الأبد.

---

(١) ذكره ابن سعد في (الطبقات الكبرى١/٢٠٢).

(٢) وهي قوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

(٣) وكمالها لا يتحقق ورشدها لا يتم إلا باعتصامها بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، ولذا فإن أسباب الانحراف ترجع إلى أصلين، الأول: الإعراض عن الكتاب والسنة، والثاني: ترك النظر والتفكر الموصل إلى الحق، قال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]. قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل به ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

قلنا : إن العصر الأول أفضل الأمة ، والقرن الأول من العصر الأول هم أصحاب النبي ﷺ عدول بالإجماع ، وخير هذه الأمة على الإطلاق ، وخير كل أمة أخرجت للناس ، وكل ثناء نزل في القرآن فالصحابة أول داخل فيه ، خرج النبي ﷺ عن الدنيا وهو عن كلهم راض ، ولهم كان الخطاب يوم عرفة : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] ، ولهم كان خطاب الوعد بالاستخلاف والتمكين ، من كان بقلبه غيظ لأحد منهم دخل في قوله تعالى : ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ، والله إذ جمع كل الأمة في الذكر جعلها قسمين : وذكرها في التوبة والحشر مرتين :

(١) قسم متبوع هم : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة : ١٠٠].

(٢) قسم تابع : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وشرط في شرف التابع أن يتبع الأول بإحسان ، وأن يكون صديقًا صادقًا للأول بإخلاص : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر : ١٠] فمن كان في قلبه غل لهم ، أو في لسانه نيل منهم ، خرج من الثاني ولم يكن داخلا في الأول.

وإذ جعل الله أمة محمد ﷺ عند الجمع قسمين : متبوع ، وتابع ، والمتبوع لا يكون إلا الأفضل والأشرف ـ وهذا بداهة وضرورة قطعية ـ والمتبوع في بيان القرآن الكريم هم المهاجرون والأنصار فقط ، ذكرهم وأثنى عليهم بأبلغ الأثنية ولم يذكر معهم سواهم ، فالعصر الأول هم أفضل الأمة ، وأفضل العصر الأول الصديق والفاروق والخلافة الراشدة والصحابة .

والشِّيعة الإمامية لم تزل تلعن العصر الأول ، والعصر الأول هم كل الأمة ، وفيه

نبيها ﷺ [1]، والذين تستثنيهم الشِّيعة بدعواها لا يخرجون أصلا أبدًا من العصر الأول [2].

والعصر الأول بوفائه لا يرضى أن يسلم إمامه إلى أعدائه يلعنونه وحده لا أصلا وأبدًا إلا وهم معه، إذ ليس للصديق أو الفاروق من ذنب به يستوجب أحدهما أو كلاهما اللعن، إلا أنه أقام الدين وأصوله، وأقام الدولة وقوتها ونظامها، والعصر الأول وعلي معه، وهم على هدي النبي ﷺ وسيرته.

* * *

(١) القدح في خير القرون الذين صحبوا الرسول ﷺ قدح في الرسول عليه الصلاة والسلام، كما قال الإمام مالك وغيره من أهل العلم: هؤلاء طعنوا في أصحابه ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلا صالحًا لكان له أصحاب صالحون (مجموع الفتاوى ٤/٤٢٩).

(٢) لأنهم يقولون في مصادرهم المعتمدة لديهم: ارتد الناس بعد رسول الله ﷺ إلا ثلاثة، وهم: سلمان، وأبو ذر، وعمار، وقد تزيد المقداد. وهم يكفرون بهذا القول الذي ورد عندهم بصيغة القصر والحصر جميع آل بيت رسول الله ﷺ، لأنهم لم يستثنوا سوى ثلاثة أو أربعة، وليس من هؤلاء الثلاثة أو الأربعة أحد من أهل بيت رسول الله ﷺ، فلم يستثنوا عليًا ولا فاطمة ولا الحسن والحسين، ولا جميع القرابة من آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس وغيرهم، ولا زوجات الرسول ﷺ بل إنهم خصوا أئمة من آل البيت بالتكفير. انظر الشواهد في كتابي: «البراءة من المشركين عند الشِّيعة الإمامية» (ص٩٦ وما بعدها).

عبرةٌ بعبرة

العجب أن اليهود في تاريخها كانت تأتي بكل أمر منكر، لم تترك كبيرة إلا ارتكبتها في أشنع صورها، كانت تقتل الأنبياء، وكانت تشرك بالله، وكانت وكانت، وعبدت العجل، وموسى وهارون ويوشع بن نون في قيد الحياة، ومع ذلك فإن اليهود كانت تقدس الأمة أمة اليهود تقديسًا لا مزيد عليه، وتحترمها احترامًا لا حدَّ لشدته[1].

شريعة التوراة جعلت الأسباط فئتين:

(١) فئة تدعو بالبركة، والبركات كلها لمن أقام التوراة.

(٢) فئة تلعن، واللعنات كلها لمن ترك العمل بالتوراة وبوصاياها، والدعاء بالبركة عند اليهود لكل مطيع، واللعنة على كل عاص، وكل اللعنات تنزل من عند الله على أعداء اليهود إن استقامت اليهود، وإن لم تستقم فكل لعنات اليهود تنزل على اليهود، وكل هذه مفصلة في الفصول (٢٧ - ٣٠) من « سفر التثنية ».

ولعنات الشِّيعة كلها منتحلة من لعنات اليهود، إلا أن لعنات اليهود على العصاة كانت فيها فائدة كبيرة تسوق اليهود سوقًا إلى إقامة التوراة، ولم تكن على الأعيان، بل كانت على من يترك وصايا التوراة، أما لعنات الشِّيعة فعلى أفضل الأمة؛ على الصديق والفاروق، وعلى العصر الأول الذي أقام دين الإسلام وأقام دولته القوية العادلة، ولعنات الشِّيعة فيها إفساد لقلوب الشِّيعة، توري فيها نيران الشحناء، وتوري الأكباد بوَرْي البغضاء.

---

(١) ولذلك قال بعض السلف: قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد (انظر: منهاج السنة ٢٧/١).

ونحسن الظن بالأئمة فنقول : لم يتخذ إمام علوي لعن الأموي ديدنًا في دينه وأدبه ، وما كان ينبغي لعلوي ذلك ، أما لعن الشِّيعة طيلة عمرها وطوال عصورها الصديق والفاروق والعصر الأول فلا وجه له ، إلا أنه دعوة سبئية أو نزعة فارسية هدمًا وغيظًا.

وأما ما تَقَوَّله شيخ الشِّيعة في كتابه « أصل الشِّيعة » (٤١) : « إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية »[١] فمغالطة فاحشة خرجت عن حدود كل أدب ، وابتهار وافتراء على النبي محمد ﷺ ، وتحريف للآيات ولعب بالكلمات .

أي حبة بذر النبي ﷺ حتى أنبتت سنابل اللعن والتكفير ، وسنابل عقيدة التحريف بأيدي منافقي الصحابة ، وأن وفاق الأمة ضلال ، وأن الرشاد في خلافها ، حتى توارت العقيدة الحقة في لجٍّ من ضلال الشِّيعة جم ؟ ! والشِّيعة[٢] زمن النبي والعترة هم الذين هاجروا معه ونصروه في كل أموره ، وفيهم نزل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴾ [البينة : ٧] ، بعد قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [البينة : ٦].

* * *

(١) انظر: «أصل الشِّيعة وأصولها» (ص١١٨) .

(٢) لا يعني المؤلف بالشِّيعة هنا المعنى الاصطلاحي، لأنه لم يكن للشيعة وجود زمن أبي بكر وعمر وعثمان، فضلا عن زمن رسول الله ﷺ، إنما يريد المعنى اللغوي أي هم أتباع النبي ﷺ الذين هاجروا معه ونصروه في كل أموره، ولم يكن في حياته عليه الصلاة والسلام فرق، بل كانت الأمة مجتمعة على الحق، وسارت على ذلك في حياة الخلفاء الثلاثة من بعده، وأول انشقاق حدث في تاريخ المسلمين هو خروج الخوارج ثم الشِّيعة .

أُصول الدّين وأركانه

جعل القرآن الكريم أصول الدين وأركانه ثلاثة في كل مرة إذ جمع الأديان في آية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩] الأمم والأديان في هاتين الآيتين أربع، أما أُصول الدين وأركانه فثلاثة:

(١) الإيمان بالله ومعرفة الله.

(٢) الإيمان باليوم الآخر، ومعرفة الحياة الأبدية.

(٣) العمل الصالح.

لم يزد القرآن الكريم في آية من الآيات شيئًا على هذه الثلاثة، ولقد فصل العمل الصالح في آيات القرآن الكريم بتفصيلات وافية بينة. وإذا ذكر إيمان دين الإسلام لم يزد على هذه الأركان الثلاثة، بل فصل الركن الأول فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ثم أجمل الركنين الآخرين بجملة موجزة معجزة جزيلة جليلة، فقال: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ودين الإسلام قوته واتساعه في الانتشار على وجه الأرض بين الأمم كافة:

(١) بحقائق عقائده.

(٢) وصلاح أصوله الاجتماعية.

(٣) وكمال آدابه الذاتية الفردية.

وإذا اتخذنا نبينا ﷺ صاحب القرآن شهيدًا لنا ومثلا أعلى في حياتنا وأدبنا، إذن سنكون شهداء للناس، ومثلا أعلى في الأدب والنظام وسيرة الحياة للأمم، وإلا فنحن فتنة لهم.

وكتب الكلام التي ألفت لتعليم أصول الإيمان وفروعه، والتي ألفت للدفاع عن المذاهب الكلامية، لها في بيان أصول الإيمان طرق وأساليب تختلف على حسب اختلاف المذاهب.

والشّيعة الإمامية التي أخذت على نفسها أن تعلِّم الله بدينها، والتي تتخذ إيمان المؤمن وسيلة إلى أغراضها وأهوائها، تقول: أصول الإيمان عند الإمامية ثلاثة:

(١) التصديق بتوحيد الله في ذاته وصفاته، وبالعدل في أفعاله.

(٢) التصديق بنبوة الأنبياء.

(٣) التصديق بإمامة الأئمة المعصومين، ثم لا يكتفون بذلك، بل يقولون الإيمان هو:

(١) الولاية لولينا.

(٢) البراءة من عدونا.

(٣) التسليم لأمرنا.

(٤) انتظار قائمنا، ثم:

(٥) الاجتهاد والورع.

ويقولون: أثافي الإسلام ثلاثة: ١- الصلاة. ٢- الزكاة. ٣- الولاية.

والولاية هي أصل الأركان وأفضل الأركان، وفي كل الأركان رخصة لا يوجب تركها الكفر، أما الولاية: فلا رخصة فيها، وتركها في أي حال كان، كفرٌ.

فهذا إيمان به يكون كل الأمة كافرة، إذ لم يقل أحد من الأمة بإمامة علي والحسن

والحسين، والصديق والفاروق وعثمان رؤساء الأمة، ثم هم أعدى عدو الأئمة والشِّيعة، والتبري من كلهم ولعن كلهم لازم لا رخصة فيه، فكلهم كفرة ملعونون أينما ثقفوا على عقيدة الشِّيعة، وهذا الذي قلنا الآن هو أول نتيجة ضرورية لازمة ملتزمة لإيمان خرقته واتخذته الشِّيعة الإمامية، بعد أن نسجته أيدي سياسةٍ ماكرة خرقاء.

وقد تقدَّم لنا الكلام على عصمة الأئمة، وقلنا: إن العصمة في الأمة مطلوبة معقولة ممكنة، أما عصمة الأئمة فلا حاجة لنا إليها، ولا إمكان لوقوعها، وبقي لنا الكلام في أصل الإمامة، وفي محل الاختلاف بيننا وبين الشِّيعة الإمامية.

وكتب الكلام قد أطالت الكلام في الإمامة من غير فهم ومن غير اهتداء، والشِّيعة الإمامية هي أطول الفرق كلامًا في الإمامة، ولها فيها كتب مثل: «غاية المرام في تعيين الإمام»[1]، وكتب أخر مثل كتاب: «الألفين في الفرق بين الصدق والمين» أعدُّها عارًا وسبة للشيعة الإمامية، مثل كتاب «فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب»، وهذا الأخير سبة فاحشة للشيعة، وإن كان له قيمة عندها[2].

* * *

(١) انظر: «مسألة التقريب» (٧٠/١) وما بعدها.

(٢) انظرعرضًا لما جاء في هذا الكتاب الملي بالكفر والإلحاد مع نقد ما جاء فيه في: «أصول مذهب الشِّيعة» (٤٧/٣) وما بعدها.

الخلافة الراشدة

دعْهـا سَـمَاوية تجـري على قَـدَرٍ لا تُفْسَـدَنْها بـرأي منـك منكـوس

الصديـق والفـاروق وذو النورين وعلي أبو الحسـنين هـؤلاء الأربعة هـم الصادقون هم الراشدون ، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] .

خلافـة الصديـق والفـاروق بعـد النـبي ﷺ مـن كمـال نبوته وتمـام رسـالته ، وجليل حكمـة شرعـه ، لـم يتول الأمر بعـده لا عمه وكان أعقـل قريش وأسـودها ، ولا أبناء عمه ، وكل قد كان كفوًا وأهلا ، فكان هذا برهانًا على أنه لم يكن يطلب ملكًا ، حيث لم يقدم بعده أحدًا لا بقرب نسب منه ولا بشرف بيت له ، بل إنما قدم من قدم بالإيمان والتقوى والكمال والغَناء ، والتقديم في الجاهلية كان :

(١) لرجل له عشيرة وقبيلة تحميه وقوة كان يعتمد عليها .

(٢) لرجل كان له مال يفضل به ويبذله ويستميل بقوته.

(٣) وجاء الإسلام ، فجاء التقديم للدين.

والصديق كان محبوبًا مقدَّمًا في الجاهلية ، وكان في الإسلام سابقًا بأمور :

١ - الإسلام . ٢ - الإنفاق . ٣ - الجهاد . ٤ - عتق العبيد . ٥ - بناء المساجد . ٦ - الهجرة. ٧ - تزويـج ابنته في الإسـلام . ٨ - جمع كل ما نزل من القـرآن حفظًا وكتابة . ٩ - كان الأتقى الذي يـؤتي مـاله يتزكى ، وما لأحد عنده من نعمة تجـزى . ١٠ - كان أعلم من في زمنه بأحوال العرب وأنسابها وآدابها . ١١ - كان أكثر الصحابة خدمة للنبي ﷺ وأكثر الخدم قيامًا بحاجات النبي وأمن الناس عند النبي ﷺ . ١٢ - وكان حازمًا له فراسـة به صار وزيرًا للنبي ﷺ في كل أموره . ١٣ - وقام مقام النبي ﷺ في حياته .

كان الصديق مقدَّمًا في كل هذه الأمور، وفي سائره، وكانت العرب وقريش تجله إجلالا في حياة النبي ﷺ، فقدمه النبي ﷺ وعينه، وكان هذا التقديم معلومًا عند كل أحد، والنبي ﷺ ودع أمته في حجة الوداع، وعاش بعدها مدة كان يخطب فيها خطبًا عن كل مسألة، وكانت الصحابة تسأله عن كل حال، ثم لم يسأله أحد عمن يخلفه بعده، لأن الخليفة بعده كان معلومًا عند كل أحد منهم، وإذ اشتد مرضه وأوى إلى فراشه في بيت ميمونة أم المؤمنين اليوم الأول من ربيع الأول، أمر الصديق أن يصلي بالناس إمامًا، وأمره بتنفيذ جيش أسامة، وفي الخميس صباح عشر خلت من ربيع الأول وجد قوة ونشاطًا، فخرج لصلاة الجماعة، وجلس عن يمين الصديق، وصلى مقتديًا بصلاة الصديق، وكان هذا آخر عهده بصلاة الجماعة في محرابه، وكان يصلي سائر صلواته أيام مرضه داخل بيت عائشة، مقتديًا بإمام الجماعة، وهو الصديق.

وهذا تدبير من النبي ﷺ حكيم لا يذر ريبة في التعيين، فقد أرشد أمته إلى اختيار الأحق الأقوم الأقوى في أمر الإمامة، من غير أن يحرم الأمة من حقوق انتخابها إمامها، ولو كان التعيين بالنص لكان حَرْمًا للأمة من حق انتخاب إمامها وأميرها ورئيسها .

لبى النبي ﷺ دعوة حبيبه ورجع روحه إلى ربه، فقدمت الأمة خليفة رسول الله ﷺ الذي كان يقتدي به رسول الله ﷺ في صلاته، ويستشيره في مهماته، تقديم إجماع بعد ليلة صرفت في مذاكرة مسألة، تمضي شهور في عصورنا الحاضرة، وهي لا تنحل إلا بتدابير صعبة بعد عقبات وعقوبات، فبايعت الأمة صباح دفن النبي ﷺ بيعة طوع ورغبة، اختيارًا للأصلح وتقديمًا للأحق والأفضل (١١/٣/١٥ من الهجرة = ٦٣٢/٦/١٠م).

فنحن اليوم والأمة قبلنا نقدم الصديق، إذ كان يقدمه النبي ﷺ وقدمه أيام احتضاره وارتحاله، ثم قدمه تقديم إجماع كل من أخذ عنهم القرآن والسنن والدين، وقدمه كل أئمة الشِّيعة، وإمامهم أمير المؤمنين وإمام المتقين علي عليه

السلام[1]، وبايعه وأهل بيته بيعة طوع واختيار، وهذه تبطل كل دعاوى الشِّيعة، عاش خليفة رسول الله ﷺ الصديق بعد النبي سنتين وبضعة أشهر، وسار في الأمة سيرة الأنبياء على هدي النبي ﷺ، سيرة أتعبت من جاء بعده من السلاطين والخلفاء.

إذا أردتَ شريفَ الناسِ كلِّهم ... فانظر إلى ملِك في زيِّ مسكينِ
ذاك الذي حسُنتْ في الناس فاقتُه ... وذاك يصلح للدنيا وللدينِ[2]

فإن قيل: إن الإمامة لا تكون إلا إلهية بنص من الله على لسان النبي ﷺ !!

فنقول: إن مثل هذا النص لم يكن إلا لخلافة الصديق، والصديق عينه النبي ﷺ وأقامه في مقامه بأمر من الله وبوحيه.

والصديق قد استخلفه الله بآية الاستخلاف والتمكين، واستخلفه النبي ﷺ وقدمه في كل أموره، ومنع غيره أن يتقدم أبا بكر، وقد نص على إمامته بقوله ﷺ: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[3] ولو فرض فارض فرض محال، وجود نص لإمامة أحد سواه لكان الصديق والفاروق أحفظ الناس للنص، وأسرع الناس لقبوله، وأسبق الناس في إقامته، ولحرم على من كان له النص أن لا يقوم بالإمامة، ولامتنع امتناعًا

---

(١) قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: «وقد غلب هذا (يعني قول عليه السلام) في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، من دون سائر الصحابة، وهذا وإن كان معناه صحيحًا لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك، فإن هذا من باب التعظيم والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين» (تفسير ابن كثير ٣/٥١٧).

وقال الشيخ عبد العزيز ابن باز - رحمه الله -: «لا ينبغي تخصيص علي رضي الله عنه بهذا اللفظ، بل المشروع أن يقال في حقه وحق غيره من الصحابة: رضي الله عنه، لعدم الدليل على تخصيصه بذلك» (مجموع فتاوى ابن باز ٦/٣٩٩).

(٢) يُنسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. انظر: «تاريخ دمشق» (١٨/١٢٧).

(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: «ادعي لي أبا بكر وأخاك - يعني عبد الرحمن - حتى أكتب كتابا فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» أخرجه مسلم (٢٣٨٧).

عاديًا خفاءُ مثل هذا النص على كل أحد، وعلى ترك الإمامة وترك الدعوى عند الثلاثة، والإمام الحسن ترك الإمامة، وكل إمام بعد الحسين تركها، وكل هذه يبطل دعوى الشِّيعة وجودَ النص لعلي وأولاده من السيدة فاطمة.

ثم عمر الفاروق ثاني الصحابة بعد الصديق عند النبي ﷺ كان يقول قولا أو يرى رأيًا فيقبله النبي ﷺ، ويوافقه الله من فوق عرشه، وكانت تجله كل العرب وقريش، فاستخلفه الصديق بعهد منه، ودولة الإسلام والإمامة كانت تحتاج إلى مثله، وكان أفقه الصحابة وأعلم الصحابة في زمنه على الإطلاق، وكان أكثر الخلفاء مشاورة ومراجعة لأهل العلم في كل مسألة ولم يكن في عهده جدال ونزاع في شيء، وكان كل الصحابة يهابونه هيبة إجلال، ويخافونه خوف عدل، يتوددون لديه مثل تودد الولد بين والديه، وكان أرشد الناس في السياسة، وزيرًا للنبي ﷺ والصديق رضي الله عنه وأميرًا بعدهما، فقام بأمور الأمة والدولة أحسن قيام، وأقام كل شعائر الدين أحسن إقامة، فالفاروق أعلى الصحابة في أمور الدنيا والدين.

ولم تر عين التاريخ رئيس دولة في دينه وعدله وعلمه وعقله وزهده وعظيم اهتمامه بكل أحوال الرعية، وفي إدارة أرجاء الدولة في أرجائها مثل عمر الفاروق [1]، ورأت عينا النبي ﷺ في عمر قبل إسلامه نصيرًا لدينه ودولته، فدعا الله أن ينصر نبيه ودينه بأحب رجل له؛ فكان عمر، ولم يشاركه في مثل هذه الكرامة والفضل أحد من الصحابة، ولقد أبره الله في إقسامه: «إنما مثل العرب كمثل جمل آنف اتبع قائده، فلينظر قائده حيث يقوده، أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق» [2]، وسار في دينه الذي ارتضى الله له سيرة أرضت الله والحق والعدل، وأقرت عيونَ أهل الإسلام، ضربت للناس مثلا سائرًا في عدل الإسلام وسياسته الرشيدة، عاش الفاروق في خلافته عشر سنين وستة أشهر، ثبَّت فيها قواعد الدولة الإسلامية، ومد أكنافها إلى الأرجاء البعيدة

---

(١) يحسن أن يقيد هذا الإطلاق بمثل عبارة: بعد النبيين ثم بعد خليفة رسول الله أبي بكر الصديق.

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٣١٤٠)، «تاريخ الطبري» (٤٣٣/٣)، «الكامل» (٢٩٣/٢)، «تاريخ الأرب» للنويري (٩٧/١٩).

ثـم حقـق مقاصد الإسـلام في أمور السياسـة ، وفي إدارة الدولة ، وفي سـيرة الحكومة ، وفي كثـير من سـنن الاجتماع ، وفتحـت له فتحًا مبينًا ممالـكُ قديمةُ المدنيـة عظيمة الحضارة ، فلم يعْيَ بإصلاحها ، وبالقيام عليها قيام الراعي الرشـيد ، والسياسي العادل الرفيق ، وشرع في مسـاحة أراضيهـا وجباية أموالها وتوفير الخير والـبركات على أهليها ، وتقدير العلاقة بين رعاياهـا وولاتهـا ، ما ملأ التاريخ إعجابًا بهر النـاس بآيـات معجـزة مـن العـدل والذكاء.

ثـم عثمـان رضي الله عنـه ثالـث الصحابـة ، وثالث الخلفـاء ، أول خليفـة انتخب بعـد مشـاورة تامة ورويَّة كاملة ، واسـتقصاء آراء من حضر المدينة في تلـك الأيام ، وهذا مثـال مأثور من أمثلة الشـورى المنظمة ، التي كان الفـاروق أخذ يضع قواعدها المحكمة ، ولـولا أنه دبر أمر الشـورى وهو مشرف على الموت بطعنـات قاتلة ، لكان عسى أن يبلغ به صـواب الرأي الغاية التي تمهد عندها أصول الانتخاب وقواعد الحكم النيابي ، فانتخب عثمـان بطريقـة لم يكن للصحابة فيه من غرض بعد التشـاور الكامل من أهل النصيحة والنية الخالصة ، وعلي رضي الله عنه كان أحد السـتة في الشـورى ، ودخلها طوعًا باختياره، والإمـام علي دخـل في الشـورى كفرد من الأمة ، ولـم يكن في القـرن الأول أحد يدعي أن عليًّـا أولى بالخلافة والأمر ، ولم يدّع علي لنفسـه الأولويـة ، وتقديم بيت النبوة دعوى دخيلة ، أدخلها أهل المكر الذين تظاهروا بالاهتداء كيدًا ، ولم يكن أحد وصيًّا لنبيه ﷺ في أمته ، والأمة رشـيدة راشـدة أرشـد من كل من ادعي له الوصاية .

﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ : ٢٤] ، ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الحج : ٦٧] .

* * *

الوشيعة في نقد عقائد الشِّيعة

هي أول مرحلة في طريق تأليف قلوب الأمة، لا تأليف بدونها، كانت رسالة في كراسة صغيرة، جمعت فيها مسائل من أمهات الكتب المعتمدة للشيعة الإمامية، ثم قدمتها لمجتهدي عالم الشِّيعة، وشيوخها وصدورها في كراسي الشريعة، عملا بأدب الكتاب الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

واليوم بعد أن انتظرت سنة وزيادة، أنشرها لتنظر فيها الأمة الإسلامية، والشِّيعة الإمامية الاثنا عشرية ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨ - ٦٩].

موسى جار الله - ابن فاطمة

على وَجْه الدفتر

أُقَدِّم هذه المسائل لأساتذة النجف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة، بقلب سليم صادق، كله رغبة في تأليف قلوب عالمي الإسلام:

١ - الشِّيعة الإمامية الطائفة المحقة[1].

٢ - عامة الأمة[2] أهل السُّنَّة والجماعة.

راجيا إجابة السادة الأساتذة جمعًا أو فرادى، كل ببيانه البليغ البالغ، بتوقيع يده، مؤكَّدًا بخاتمه ومهره، وسيكون إن شاء الله جل جلاله، لإفادات الأساتذة السادة شأن في عالم الإسلام يذكر، ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

موسى جار الله

في ٣١ ذي القعدة ١٣٥٣ - ٢٥ فبراير ١٩٣٥

النجف - العراق

* * *

وهذه هي الرسالة التي كثرت نسخها في كراريس، بمساعدة الرابطة العلمية بالنجف، ووزعتها الرابطة العلمية لأساتذة النجف، ونسخة بقلمي قدمتها للسيد الصدر شيخ مجتهدي الكاظمية ببغداد:

---

(١) وذلك بحسب زعمهم بأن طائفة الإمامية هي الطائفة المحقة، حتى إن شيخهم مير باقرالداماد زعم أن جميع الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هي فرق الشِّيعة، وأن الناجية منهم فرقته الإمامية، وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم فجعلهم من أمة الدعوة؛ أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم في اعتقاده لم يدخلوا في الإسلام أصلا (التعليقات على شرح الدواني للعقائد العضدية، جمال الدين الأفغاني، ضمن الأعمال الكاملة للأفغاني، تحقيق ودراسة د/ محمد عمارة ٢١٥/١).

(٢) هذا بحسب اصطلاحهم حيث يلقبون أهل السنة بالعامة وطائفتهم بالخاصة (انظر: أصول مذهب الشِّيعة ١٢٦/١).

بسم الله الرحمن الرحيم

بســم الله ، والحمد لله ، وســلام على عباده الذين اصطفى ، وصلى الله على ســيدهم وسيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم .

حضرات الســادة الكرام الأســاتذة العظام ، مجتهدي النجف ، ســلام عليكم ، تحية من عند الله مباركة طيبة ، متعكم الله جل جلاله بتوفيق من عنده وعافية .

إني بحمــد الله جــل جــلاله ، أدين دين الحق دين الإســلام ، دين الاحــترام ، الاحترام لكل المذاهب الإسلامية ، خصوصا مذهب الشِّيعة الإمامية (١) ، وقد ألفت في سابق الأزمنة رسالة قد اقترحت فيها على عالم الإســلام أن يعترف بمذهب الشّــيعة الإمامية مذهبًا رسميًّا خامسًا بين المذاهب المعروفة اليوم في عالم الإسلام .

وكنــت أعــرف أُصُول الشّــيعة الإمامية من الكتــب الكلامية ، وكانــت مكتبتي الغنية تحتــوي على كثــير معتمد من كتب الشّــيعة الإمامية الفقهية ، وقد درســتها واســتفدت منها واستحســنت الكثير من مســائلها وأحكامها (٢) ، ثم إني في ســياحتي هذه وقفت جل ســاعاتي على مُطالعــة كتــب الشِّــيعة ، وكنــت أطالعهــا بالاهتمام على حســب مقــدرتي ، وعلى عظيم

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أهل السنة يستعملون معهم – يعني الروافض – العدل والإنصاف..بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض، وهذا ما يعترفون به ويقولون: «أنتم تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا» (منهاج السنة ٣/٣٩)، وقد أقرت رواياتهم بعدل أهل السنة وإنصافهم، وإقرار المخالف أشد وقعًا في النفس من إقرار الموافق . انظر هذه النصوص وتوثيقها من كتبهم في كتابي: «أصول مذهب الشِّيعة» (٣/٣٠٦) وما بعدها .

(٢) من المسائل التي تخفى على كثير من الناس السرقات الخفية لشيوخ الرافضة من كتب أهل السنة الفقهية، فما في كتبهم الفقهية من مسائل مستحسنة مأخوذ من كتب أهل السنة، وقد كشف شيخ الإسلام ابن تيمية كيف يسرقون المادة العلمية فقال: «وإذا صنف واحد منهم كتابًا في الخلاف وأصول الفقه كالموسوي وغيره؛ فإن كانت المسألة فيها نزاع بين العلماء أخذوا حجة من يوافقهم، واحتجوا بما احتج به أولئك، وأجابوا عما يعارضهم بما يجيب به أولئك، فيظن من لا يعرف أن هذا قد صنف كتابًا عظيما في الخلاف والفقه والأصول، ولا يدري أن عامته استعارة من كلام علماء أهل السنة الذين يكفرونهم ويعادونهم، وما انفردوا به فلا يساوي مداده، فإن المداد ينفع ولا يضر، وهذا يضر ولا ينفع » (منهاج السنة ٣/٢٤٦) .

رغبتي، طالعت أُصول «الكافي» وفروعه، و«التهذيب»، و«من لا يحضره الفقيه»[1]، ثم طالعت جميع كتب «الوافي»[2]، و«مرآة العقول في أحاديث الرسول»[3]، ومجلدات عديدة من «بحار الأنوار»[4]، وطالعت «غاية المرام في تعيين الإمام»، وكتبًا كثيرة غير هذه الكتب. وفي النهاية تبينت أن **كتب الشِّيعة هذه قد أجمعتْ على أمور لا تتحملها الأمة**، واتفقتْ على أشياء كثيرة لا ترتضيها الأئمة، ولا تقتضيها مصلحة الإسلام، وتناقض أكثر مصالح الأمة.

ثم هي جازفتْ في مسائل منكرة مستبعدة ما كان ينبغي وجودها في كتب الشِّيعة، ولا أظن أن الأئمة كانت تدين بها، هم - على حسب عقيدتنا - أرفع وأجل من أمثال هذه المسائل علمًا وعقلاً ودينًا وأدبًا، وإذ كنت أستبعد وجود هذه المسائل في أمهات كتب الشِّيعة، وأنكر صدور مثل هذه المسائل من أئمة الأمة أهل البيت، رأيت من تمام ما يجب عليَّ أن أتثبت في فهمها، وأن أتحقق معانيها ووجوهها، وأن أتبين حقائقها، بأن أراجع أهل الذكر من مجتهدي الشِّيعة اليوم، ومن عليهم المعوَّل على وجه الأرض من مجتهدي الشِّيعة الإمامية، وهم أساتذة النجف، إذ كنت لا أعلم فعليَّ السؤال: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧] عملا بهذه الآية الكريمة، وتبيينًا وتثبتًا فيما إليه قصدت، أتقدم بين أيديكم بهذه

---

(١) هذه الكتب الثلاثة مع كتاب «الاستبصار» - والذي لم يذكره الشيخ لأنه مجرد اختصار لكتاب «التهذيب» للطوسي أيضًا، فمن قرأ «التهذيب» يكفيه عن «الاستبصار» - هي المصادر الأربعة المعتمدة لدى الشِّيعة الإمامية، ويضيفون إليها ما يسمونه المصادر الأربعة المتأخرة. انظر الدراسة النقدية لها في كتابي: «أصول مذهب الشِّيعة» (٤٠٨/١) وما بعدها.

(٢) «الوافي» هو أحد المصادر الأربعة المتأخرة والمعتمدة لديهم في التلقي، وهو يجمع كل المصادر الأربعة المعتمدة المتقدمة عندهم مع زيادة بيان وتفسير كما يقولون.

(٣) هو شرح للكافي من تأليف شيخهم المجلسي.

(٤) ويقع في (٢٥) جزءا بحسب الطبعة الحجرية الأولى، وفي الطبعة الحديثة بلغ (١١٠) أجزاء، يقول عنه شيخهم البهبودي: إنه المرجع الوحيد لتحقيق معارف المذهب. (انظر: مقدمة البحار ص١٩)، وهو بحر مليء بالكفر والزندقة والإلحاد مع روايات صحيحة المعنى، ولكن شيوخهم يردونها بدعوى أنها موافقة لدين المسلمين، وقد أمروا بمخالفتهم، فقد قال لهم زنادقتهم من مؤسسي المذهب والذي نسبوه زورا لآل البيت: «ما خالف العامة - يعني عامة المسلمين- ففيه الرشاد» (انظر: أصول مذهب الشِّيعة ١١٢/١).

« المراجعة » ، كتبتها مستهديًا مسترشدًا مستفيدًا ، سعيًا لتوحيد الكلمة ، وفي تأليف قلوب الأمة ، قلوب أبناء أم كريمة رحيمة عزيز عليها ما يدوم بين أبنائها من عداوة قوية قديمة لئيمة ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [الأعراف : ١٠٥] .

أما الأمور التي أعدها منكرة لا تتحملها الأمة ، ولن يرتضيها الأئمة ، وهي تنافي الدين والأدب ، وتنافي مصلحة الإسلام ، ومصالح الأمة ، فهي **مسائل عديدة منها :**

١- تكفير الصحابة :

كتب الشِّيعة تكفر عامة الصحابة كافة ، لم ينج من التكفير سوى قليل منهم لا تزيد عدتهم على سبعة ، وللشيعة الإمامية في تكفير الأول والثاني أبي بكر وعمر ، صراحة شديدة ومجازفة طاغية .

في كتب الشِّيعة عن الباقر والصادق : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : ١ - من ادعى إمامة ليست له ٢ - من جحد إمامًا من عند الله ٣ - من زعم أن أبا بكر وعمر لهما نصيب في الإسلام »(١)

في المجلد الثاني من « الوافي » في ص٤٤ ، وبعدها كلمات لا يقبلها الأدب : الأول والثاني ، أبو بكر وعمر في كتب الشِّيعة رجسان ملعونان ، هما الجبت والطاغوت ، وهما فرعون هذه الأمة وهامانها ، هما أشد أهل النفاق نفاقًا وعداء للنبي ﷺ ، وضررًا للإسلام ، في كتب الشِّيعة : إن أبا بكر أبو كل الشرور ، لم يسم صديقًا إلا بعد أن رأى في الغار معجزات أدهشته وحيرته ، فأضمر في قلبه : الآن صدقت يا محمد ، إنك ساحر عظيم .

٢- اللعنات على العصر الأول :

في كتب الشِّيعة في « الكافي » و « التهذيب » و « الوافي » لعنات على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة وعلى العامة ، وهم كل الأمة ، بعبارات ثقيلة شنيعة ، وللشيعة

---

(١) انظر : «الكافي» (٣٧٣/١) .

في اللعن على الصحابة وعلى الأمة أدعية مأثورة، في الوافي في كتابه الثامن وفي غيره كلام طويل ثقيل يدل على أن دأب الشِّيعة في الكتب والكلام والمجالس الانبساط في اللعنات، يقول «الوافي»: «لم يدع الإمام أحدًا ممن يجب أن يلعن إلا لعنه وسماه، وأول من بدأ بأبي بكر وعمر وعثمان، ثم مر على الجماعة ولعن الكل»(١).

وللباقر والصادق على حسب ما ترويه كتب الشِّيعة، دبر كل صلاة مكتوبة أوراد لعنات على أربعة من الرجال، منهم الأول أبو بكر، والثاني عمر، وعلى أربع من النساء منهن عائشة وحفصة.

وفي «الكافي» و«التهذيب» أدعية مأثورة عند زيارة قبور الأئمة في اللعن على العصر الأول وعلى كل الأمة، تقول كتب الشِّيعة: ولله وراء هذا العالم سبعون ألف عالم، في كل عالم سبعون ألف أمة، كل أمة أكثر من الجن والإنس، لا هَمَّ لهم إلا اللعن على أبي بكر وعمر وعثمان(٢).

وفي الكافي (٣٩١/٣) أن عائشة وحفصة كافرتان منافقتان مخلدتان في النار، وفي صحائف «الكافي» كلمات تشمئز منها جلود الشياطين. وأي فائدة حصلت من اللعن إلى اليوم؟ وأي مصلحة تحدث من اللعن بعد اليوم؟

في «أصول الكافي» (٣٥١/٢) أن اللعن والطعن على أحد حرام، يعود على صاحبه، فكيف طعن الشِّيعة ولعن الشِّيعة على الأول والثاني والثالث؟ وعلى أكثر الصحابة، وعلى أم المؤمنين عائشة وحفصة، وهما ـ بنص القرآن الكريم ـ أهلُ البيت؟

ولا ريب أن اللعن على العصر الأول لا يزيد في قلب اللاعن إلا مرضًا على مرض، وعداء على عداء، واللاعن في قلبه على المؤمنين مرض، كلما لعن زاده اللعن مرضًا على مرض لا دواء له ولا زوال.

---

(١) انظر: «تهذيب الأحكام» للطوسي (١١١/٦).

(٢) انظر: «مختصر البصائر» للحلي (ص٨٨)، «بحار الأنوار» (١٩٨/٣٠-١٩٩).

٣- تحريف القرآن الكريم :

القول بتحريف القرآن الكريم بإسقاط كلمات وآيات قد نزلت ، وبتغيير ترتيب الكلمات والآيات ، أجمع عليه كتب الشِّيعة ، وأخبار التحريف مثل أخبار الإمامة متواترة عند الشِّيعة ، مَن رد أخبار التحريف أو أولها يلزم عليه رد أخبار الإمامة والولاية [١].

وللأئمة مثل الباقر والصادق [٢] في تحريف الكتاب الكريم أيمان بالغة ، ولهم في تكذيب ما ثبت في القرآن الكريم والمصاحف على التواتر كلمات شديدة ، والأحرف السبعة والوجوه العديدة قد أتت في القرآن الكريم متواترة عن الأمة كافة في القرون كافة ، ويقول فيها الصادق : « كذبوا على الله أعداء الله ! لكن القرآن نزل على حرف واحد من عند الله الواحد » [٣].

ويروي « الكافي » عن الصادق : أن القرآن الذي نزل به جبريل على محمد سبعة عشر ألف[٤] آية ، والتي بأيدينا منها ٦٢٣٦ فقط ، والبواقي مخزونة عند أهل البيت فيما جمعه علي .

يروي « الكافي » أن القائم يخرج المصحف الذي كتبه علي[٥] ، وأن المصحف غاب بغيبة الإمام [٦] .

هذه التي تقدمت أمور لا تتحملها الأمة ، وعلى عقيدتي لا يرتضيها ولن يرتضيها الأئمة، ولو ثبتت هذه الأمور ، أو لو ثبت واحد منها لبطل القرآن الكريم ، ولبطل الدين من أصله ، كما لو ثبت ما أسنده « الوافي » (١٣/٢) إلى علي أمير المؤمنين في التيمي أبي بكر والعدوي عمر لبطل القرآن وبطل الإسلام من أصله .

---

(١) هذا ما اعترف به شيخهم المجلسي. انظر: «مرآة العقول» (٥٣٦/٢) .

(٢) بحسب افتراء الرافضة عليهما، حيث درجوا على نسبة ضلالهم وكفرهم لبعض مشاهير الأئمة علها تحظى بالقبول .

(٣) «أصول الكافي» (٦٣٠/٢) .

(٤) في الأصل سبعة آلاف آية ، والتصويب من أصول الكافي .

(٥) انظر: «أصول الكافي» (١٣٤/٢) .

(٦) انظر: «أصول الكافي» (٦٣٣/٢) .

٤- رأي كتب الشِّيعة في الدول الإسلامية :

حكومات الدول الإسلامية وقضاتها وكل علمائها طواغيت ، ومن تحاكم إلى الطاغوت وحكم له الطاغوت فإنْ أخذه ، فإنما يأخذ سحتًا ، وإن كان حقه في الواقع ثابتًا له ، لأنه يأخذ بحكم الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويحرم على الشِّيعة أن تتحاكم إلى الطاغوت[(١)]، وكل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله (الوافي ٣٨/٣)[(٢)] . فكيف يكون أساس الدول الإسلامية على وجه الأرض من أول الإسلام إلى يوم القيامة إن كانت عقيدة شعوبها وعقيدة رعاياها هذه العقيدة ؟ !

٥- رأي كتب الشِّيعة في الفرق الإسلامية :

صرحت كتب الشِّيعة أن كل الفرق الإسلامية كلها كافرة ملعونة خالدة في النار ؛ إلا الشِّيعة ، والمخالف مطلقا شر من الكفار[(٣)] ، وصرحت كتب الشِّيعة أن دم الناصب وماله حلال إلا امرأته ، لأن نكاح أهل الشرك جائز[(٤)] . والناصب على حسب بيان كتب الشِّيعة : من يقدم الأول والثاني على عليٍّ ، أو يعتقد إمامة الأول والثاني[(٥)] .

تقول كتب الشِّيعة : إن الله قد نصب عليًّا علمًا بينه وبين خلقه ، من أنكره فهو كافر ، ومن أشرك معه آخر فهو مشرك ، وإن إيمان المخالف في الإمامة لا إيمان له ، هو للنار ، وإلى النار[(٦)] .

والمخالف في الإمامة حكمه حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام ، لكن الله أجرى

(١) انظر: «الكافي» (٦٧/١)، (٤١٢/٧)، «تهذيب الأحكام» للطوسي (٢١٨/٦)، «وسائل الشِّيعة» (١٣/٢٧)، «بحار الأنوار» (٢٢١/٢) .

(٢) انظر: «الكافي» (٢٩٥/٨)، «وسائل الشِّيعة» (٥٢/١٥)، «الغيبة» للنعماني (ص٣٨، ١١١)، «الفصول المهمة» (٤٥١/١)، «بحار الأنوار» (١٤٣/٥٢) .

(٣) انظر: «الألفين» للحلي (ص٣) .

(٤) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٨٠/١٥) .

(٥) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٤٩١/٩)، و« بحار الأنوار » (٦٢٥/٣١) ، (١٣٥/٦٩).

(٦) انظر: «الكافي» (٤٣٧/١)، (٣٨٩/٢)، « بحار الأنوار » (١٢٠/٣٨) .

عليهم زمن الهدنة حكم المسلمين رحمة للشيعة ، وإذا ظهر القائم قائم آل محمد أجرى على المخالف في الإمامة حكم المشرك والكافر في جميع الأحكام ، يقول الإمام الباقر والصادق : « لولا أنا نخاف عليكم أن يقتل رجل منكم برجل منهم ، والرجل منكم خير من مئة ألف رجل منهم لأمرناكم بقتل كلهم »[١] .

يقول الإمام في أئمة المذاهب الأربعة من هذه الأمة : « لا تأتهم! ولا تسمع منهم! لعنهم الله ، ولعن مللهم المشركة »[٢] .

وفي « التهذيب » (١١٦/٢) (٢/ ٢٥٢) كان الصادق يقول : « خذ مال الناصب حيث ما

---

(١) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٦٠/١١) ، «الحدائق» للبحراني ١٥٥/١٨، «المحاسن النفسانية» حسين عصفور (ص١٦٦).
وجاء في نصوصهم الأمر الصريح باغتيال أي مخالف لهم، بشرط أن يأمن الشيعي على نفسه . فتقول نصوصهم: « ... عليكم بالاغتيال» (رجال الكشي ص٥٢٩)، وتقول: « قتل الناصبي حلال، ولكني أتقي عليك (يعني أخشى عليك من سيف القصاص) فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل» (علل الشرائع لابن بابويه ص٢٠٠، وسائل الشِّيعة ٤٦٣/١٨ ، بحار الأنوار ٢٣١/٢٧) يعني اقتله خفية بحيث لا يعرف قاتله .
وهذا ما يشهد له تاريخهم، بل إنني وقفت على اعترافات شيوخهم بارتكاب جرائم قتل كبرى داخل الدولة الإسلامية، وبواسطة بعض أتباعهم الذين تمكنوا من الوصول إلى مناصب أمنية مؤثرة في الدولة، كما فعل علي بن يقطين المسؤول الأمني عن السجون في عهد هارون الرشيد، والذي قام كما تعترف كتب الشِّيعة نفسها بقتل ٥٠٠ مسلم في ليلة واحدة بطريقة خفية ماكرة، وذلك بهدم السجن عليهم. (انظر وثيقة الاعتراف في : الأنوار النعمانية لشيخهم نعمة الله الجزائري ٣٠٨/٢) .
وقد تكون الاغتيالات بأسلوب فردي خفي، فهذا أحدهم يعترف -كما جاء في أوثق كتاب معتمد لديهم في الرجال- بقتل ثلاثة عشر مسلمًا، ثم يمثل جريمته بقوله: «منهم من كنت أصعد سطحه بسلم حتى أقتله، ومنهم من دعوته بالليل على بابه، فإذا خرج عليَّ قتلته، ومنهم من كنت أصحبه في الطريق فإذا خلا لي قتلته» (رجال الكشي ص٣٤٢-٣٤٣) .
وقد يكون الأسلوب أشمل وأخطر وأبعد، وهو التعاون مع العدو لتصفية كبرى لأهل الإسلام، كما فعل نصير الدين الطوسي وابن العلقمي في التعاون مع التتار، وإيقاع المذبحة الكبرى في بغداد، وكما فعل اليوم أحفادهم في العراق في استدعاء الاستعمار الصليبي، ثم التعاون معه لإيقاع القتل العام في العراق، وكما يفعلون الآن بأهلنا في الشام .

(٢) «وسائل الشِّيعة» (٤٧٨/٢١)، «بحار الأنوار» (٢١٦/٢) لكن النص عندهم عام يشمل جميع علماء أهل السنة، ولا يخص الأئمة الأربعة فحسب .

وجدته، وادفع إلينا الخمس »[١].

٦- جهاد الأمم الإسلامية في عقيدة الشِّيعة:

تعتقد الشِّيعة أن جهاد الأمم الإسلامية لم يكن مشروعًا وهو اليوم غير مشروع، حتى لو أوصى أحد في سبيل الله، وسبيل الله في عقيدته هو الجهاد، جاز العدول عنه إلى فقراء الشِّيعة.

الجهاد مع غير الإمام المفترض طاعته حرام، مثل حرمة الميتة وحرمة الخنزير[٢]، ولا شهيد إلا الشِّيعة، والشيعي شهيد ولو مات على فراشه حتف أنفه، والذين يقاتلون في سبيل الله من غير الشِّيعة فالويلَ يتعجلون « الوافي » (٤٥/٢)[٣].

هذه ست من المسائل، عقيدة الشِّيعة فيها يقين، فهل يبقى في توحيد كلمة المسلمين في عالم الإسلام من أمل، وهذه عقيدة الشِّيعة ؟! وهل يبقى بعد هذه المسائل، وبعد هذه العقيدة لكلمة التوحيد في قلوب أهليها من أثر ؟! وهل يمكن أن يكون للأمم الإسلامية - ولهم هذه العقيدة - في سبيل غلبة الإسلام في مستقبل الأيام من سعي ؟!

* * *

(١) «وسائل الشِّيعة» (٤٨٨/٩)، «بحار الأنوار» (١٩٤/٩٣).

(٢) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٤٥/١٥).

(٣) انظر: «تهذيب الأحكام» (١٢٦/٦)، «وسائل الشِّيعة» (٣٢/١٥).

أحاديث أئمة الأمة في نظر الشِّيعة

ادَّعت كل كتب الشِّيعة أن الأئمة أولاد علي كانت تُنكر كل حديث يرويه إمام من أئمة الأمة ، وأن الأخذ بنقيض ما أخذته الأمة أسهل طريق في الإصابة ، وكل خبر وافق الأمة باطل ، وما خالف الأمة ففيه الرشاد ، وكان الإمام يقول : « دعوا ما وافق القوم ، فإن الرشد في خلاف القوم »(١)، وتقول الشِّيعة : إن وافق الكل يجب الوقوف ، وكان الصادق يأمر بما فيه خلاف العامة(٢) (أهل السنة والجماعة) ، وكان يقول : إن عليًّا لم يكن يدين بدين إلا كانت الأمة تخالفه إلى غيره إبطالا لأمر علي .

هذه دعوى الشِّيعة ، وهذه أصل من أصول الفقه عند الشِّيعة ، وهي في بابها بدعة ، لم تكن لدين من الأديان ، ولم تكن مسلكًا لعلم من العلوم ، ولم تجعل مدركًا للحق ودليلا للإصابة قبل وضع الشِّيعة ، والأمة قد علمت علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، أن أفضل قرون الإسلام قرن رسالته وقرن خلافته ، فما روته أئمة الأمة من سنن قرني الرسالة والخلافة كان أرشد وأهدى وأقرب من الحق رشدًا ، فكون الوفاق سمة البطلان ، وكون الخلاف دليل الإصابة غريب بديع، لا يتهور على أن يتقوَّل مثل هذه الأقاويل إلا عفريت ماجن ماكر يريد هدم دين الشِّيعة قبل أن يهدم دين الإسلام(٣).

* * *

(١) انظر: «الكافي» (٨/١)، «وسائل الشِّيعة» (١١٢/٢٧)، «من لا يحضره الفقيه» (١١/٣) .

(٢) انظر: «الفصول المهمة في أصول الأئمة» (٥٧٧/١)، «بحار الأنوار» (٢٢٤/٢) .

(٣) انظر تفصيل هذه العقيدة في: «أصول مذهب الشِّيعة» (١/ ٤٧٩) وما بعدها .

تأويل الآيات وتفاسيرها في كتب الشِّيعة

في كتب الشِّيعة أبواب في آيات وسور نزلت في الأئمة والشِّيعة، وفي آيات وسور نزلت في كفر أبي بكر وعمر، وكفر من اتبعهما، والآيات تزيد على مئة، بل فيها سور مستقلة.

ما رأيكم اليوم أيها السادة الأساتذة في تنزيل هذه الآيات وفي تأويلاتها على حسب ما في كتب الشِّيعة؟ وفي تنزيلاتها وتأويلاتها على مذاق الشِّيعة تجهيل لله وتعجيز، وتجهيل للنبي ﷺ، وتجهيل لأهل بيته وآله، وأعظم طعن على دين الأئمة وعلى أدب آل محمد ﷺ، وكيف تنجو هذه التأويلات وهذه التنزيلات من أن تكون ألعوبة يلعب بها من يستخف بالكتاب والدين؟!

وكيف يذكر كل ذلك أكبر إمام للشيعة في أقدس كتبها، في «أصول الكافي»؟![1].

* * *

---

(١) انظر تفصيل هذه التأويلات في: «أصول مذهب الشِّيعة» (١٧١/١) وما بعدها.

تقيّة الشّيعة

للشيعة ولكتبها في حيلة التقية غرام قد شغفها حبًّا، فإذا روى إمام حديثًا يوافق ما عليه الأمة، أو عمل إمام عملا يشبه عمل الأمة، فإن الشّيعة ترده على أنها حيلة، على أنها تقية.

نحن نُجِلُّ الأئمة ونحترم آل البيت، ومن عزة الإمام وأعظم شرفه أن يكون من الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله، وأن يكون من الذين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ونحن نعلم أن تقية الله بطاعته، وتقية السلطان بحقه، وتقية الناس بالمعروف، وليس للتقية في الدين من رابع، والتَّقِيَّة هي خوف النار، وخوف العار، أما ترك الحق خوفًا، والإتيان بالباطل نفاقًا، فلم يكن من التقية في شيء.

نعم إن التَّقِيَّة في سبيل حفظ حياته وشرفه، وفي حفظ ماله، وفي حماية حق من حقوقه واجبة على كل أحد إمامًا كان أو غيره.

أما التَّقِيَّة بالعبادة بأن يعمل الإمام عملا لم يقصد به وجه الله، وإنما أتاه خوفًا من سلطان جائر[1]، والتَّقِيَّة بالتبليغ بأن يسند الإمام إلى الشارع حكمًا لم يكن من الشارع[2]؛ فإن مثل

(١) لأن شيوخ الشّيعة أوردوا في كتبهم أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بايع الخلفاء الثلاثة وصلى خلفهم وجاهد معهم تقية، ورووا عن أئمتهم أن من صلى معهم (يعني أهل السنة) في الصف الأول، فكأنما صلى مع رسول الله ﷺ في الصف الأول. (بحار الأنوار ٧٥/٤٢١)، وقالوا: من صلى خلف منافقين بتقية كمن صلى خلف الأئمة. وبوب شيخهم العاملي في كتابه «وسائل الشّيعة» وهو أحد صحاحهم الثمانية كما يقولون بابًا بعنوان: «باب وجوب عشرة العامة بالتقية» (وسائل الشّيعة ١١/٤٧٠)، وبابًا آخر بعنوان: «وجوب طاعة السلطان للتقية» (المصدر السابق ١١/٤٧٠).

(٢) لأن الشّيعة تورد عن الأئمة أنهم كانوا يفتون أتباعهم وفق أحكام التقية، بل حملوا جميع النصوص الكثيرة والواردة عن الأئمة في كتبهم، والتي تتفق مع اعتقاد سلف الأمة وأئمتها، وهي الروايات المتفقة مع اعتقاد أئمة آل البيت، حملوها على التقية، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، ذكرت جملة منها في مبحث التقية في كتابي «أصول مذهب الشّيعة» (٢/٤٤٦).

هـذه التقيـة لا تقـع أبدًا أصلا من أحد له دين ، ويمتنـع صدورهـا مـن إمـام له عصمـة .

وحمل رواية الإمام وعبادة الإمام على التقية طعن على عصمته وطعن على دينه ، والتقية في العبادة عمل لم يقصد به وجه الله ، وكل عبادة لم يقصد بها وجه الله باطلة ، وهي شرك، وكل روايـة يرويهـا عـدل فهي أداء أمانـة ، وهي تبليغ ، فحملها على التقيـة قول بأن العدل قد افتراها على الله وعلى رسـوله ، وإن العدل قد كاد بها الأمة وكل سـامع، وكل أحد يعلم أن خـلاف الرواية السـكوت ، والسـاكت آمن في كل حال من كل شر ، ولـم يقع قط أن جائرًا عاقـب السـاكت ، فحمـل رواية الإمام على التقية تسـفيه للراوي وتبليـه ، فإن من لا يعلم النجاة بالسـكوت أبله ، ومن يتعمد الكذب على الرسـولﷺ ، وفي السـكوت نجاة سـفيه .

وعليٌّ أمير المؤمنين - عليه وعلى أولاده السـلام - كان يحافظ على الصلوات ، ويراعي الأوقـات، ويحـضر الجماعات ، ويصـلي المكتوبات وصـلاة الجمعة مقتديًـا خلف الأول والثـاني والثالـث ، وخلف غيرهم ، كان يقصد بها وجه الله فقط ، ولم يكن يصلي صلاة إلا تقربًا وتقوى وأداء ، ولم يكن لمثله أن يتقي بجميع عباداته أحدًا غير الله ، ولم يكن يصـلي إلا صـلاة قربة وتقوى لا تقية ، وحملها على التقيـة طعن في دين علي أمير المؤمنين رضي الله عنه ، وطعن عظيم في جليل فضله ، وكل إمام بعده اقتدى بأبيه وجده في الأمة والأئمة ، لم يقع عمل من أحد إلا تقوى ، ولم يقع إلا دينًا وإخلاصًا ، لم يقع من أحد من الأئمة حيلة ولا تقية شيعية .

* * *

أباطيل شنيعة في كتب الشِّيعة

في كتب الشِّيعة :

١ - أنَّ عليًّا أمير المؤمنين طلق عائشة ، فخرجت من كونها أم المؤمنين (١) .

٢ - أنَّ القائم إذا يقوم ، يقيم الحد على عائشة ، انتقامًا لأمه ابنة النبي ﷺ السيدة فاطمة عليها وعلى أبيها وأولاده الصلاة والسلام (٢) .

٣ - أنَّ القائم إذا ظهر يهدم مساجد الإسلام ، منها مسجد المدينة ، ويهدم حجرة النبي ﷺ ، وينبش قبر صاحبيه ويخرجهما حيين وهما طريان ، ثم يصلبهما على خشبة ويحرقهما (٣) ، لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام من آدم إلى يوم القيامة جاءت منهما ، فأوزارها عليهما .

كل جاهل يعلم أن الدِّين والأدب والأئمة براء من أمثال هذه الأباطيل ، وليس من حاجة إلى ردها ، وإنما ينكر وجودها في صحائف كتب الشِّيعة في كل عصورها من غير إنكار ، وأستبعد تمام الاستبعاد أن عالما كبيرًا شيعيًّا يكتبها في كتابه ، ولا يجد من دينه وأدبه وعقله وإيمانه وازعًا يزعه من أمثال هذه الأراجيف الفاحشة ، والكتب متداولة تتلوها الشِّيعة من غير إنكار ، ويُلقيها الخطيب في المحافل والجماعة تستمعها استماع الأذكار .

فإن كان بين الشرور شَرٌّ يستعاذ بالله منه ، فأعظم شر هو شر التعصب المذهبي ، وشيطان التعصب هو رأس الأبالسة والشياطين .

* * *

(١) انظر : «بحار الأنوار» (١٠٧/٢٨) ، (٣٩٧/١٠٨) ، وانظر ايضًا : «كمال الدين» (ص ٤٩٥) للصدوق ، و «دلائل الإمامة» (ص ٥١٢)، «بحار الأنوار» (٨٩/٣٨)، (٨٣/٥٢) .

(٢) انظر هذه الفرية الباطلة في كتب الرافضة مثل: «دلائل الإمامة» لابن رستم الطبري (ص٢٦٠)، «المحاسن» للبرقي (ص٣٣٩-٣٤٠)، «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٣/٩٠) .

(٣) انظر: «بحار الأنوار» (٣٣٨/٥٢)، «الغيبة» للطوسي (ص٢٨٢) .

دينُ الشِّيعة روحه العَدَاء

لـم يقع بين الصديق والفاروق وبين علي خلاف في الخلافة ، ولم يقع بين هؤلاء الصحابة الكرام الأجلة أئمة الإسـلام وأركان الدين عـداء أبدا أصلا ، نزع الله من صدورهم غلًّا كان فيهـا ، وكل آيـة نزلت في الثناء على الأمة فهم أول داخل فيها ، وكل ما في كتب الشِّـيعة وكتب الأخبار من حكايات العداء بين هؤلاء الأئمة فكلها موضوعة بلسـان الدعاة العداة ، ولو ثبت البعض منها لكان فيها عيب كبير للإمام علي أمير المؤمنين ، ولآل محمد كافة .

والأمة هم أولى الناس بأهل البيت وكل الأئمة ، والولاية الصادقة بمعناها الصحيح الذي يرتضيـه أهـل البيت لا توجد اليوم ، ولم توجد قبل اليوم إلا عند أهل السـنة والجماعة ، هم عامة الأمة [1] .

وليـس الشـأن كل الشـأن في ولايتنا وحبنا لأهل البيـت ، إذ لا يوجد مؤمن يعادي أهل البيت ، وإنما الشـأن كل الشـأن فيمن يحبهم أهل البيت ، ولا أرى ولا أتوهم أن عليًّا وأولاده الأئمـة وأهل البيت يحبون من يعادي الصديق والفاروق ، أو يحبون من يعادي العصر الأول

---

(١) أما شيعة اليوم فهم امتداد للشيعة السبئية والصفوية، وأصدق تعريف لهم بأنهم أتباع الكليني، والطوسي، وابن بابويه القمي، والمجلسي، والكاشاني، والحر العاملي، وحسين النوري، لأنهم يتلقون دينهم عن هؤلاء، ومعظم ما جمعه هؤلاء هو كفر باتفاق سلف الأمة من الصحابة والقرابة وأئمة الإسلام، فمن أصولهم في هذه المصادر: تأليه الأئمة بوصفهم بصفات الله جل شأنه كما هو ظاهر في أبواب الكافي والبحار وغيرها، وهي أبواب جمعت عشرات الروايات، ومن أصولهم في هذه المصادر: الشرك والوثنية، والغلو في الرفض، والنفاق الذي يسمونه التقية، والتكفير لكل مخالف لهم من الأحياء والأموات، واستحلال دماء المخالفين وأموالهم، والقول بالرجعة لإضعاف الإيمان باليوم الآخر، والإرجاء الغالي الذي لم يوجد له مثيل في عقائد المرجئة الغلاة، وذلك في اعتقادهم أن الإيمان هو معرفة الإمام، بينما غلاة المرجئة الذين كفرهم الأئمة كانوا يقولون: الإيمان هو معرفة الله . ومن أصولهم: التجسيم والتعطيل، فمتقدموهم كانوا مجسمة ، ثم صار متأخروهم معطلة. ومن مبادئهم: الإباحية لإشاعة الفوضى الجنسية في المجتمع المسلم حتى قالوا: بأن من أركان دينهم المتعة، وقالوا بالمتعة الدورية وإعارة الفروج، والتصدق بالفروج، واللواط بالنساء وغيرها مما يشبه إباحية المزدكية، وفوضى العلاقات الجنسية الغربية .

ويلعن العصر الأول .

وأرى أن ليس اليوم من فائدة للشيعة ولا لأهل الإسلام في تكفير عامة الصحابة ، في الطعن واللعن على الصديق والفاروق ، وفي اللعن والطعن على أم المؤمنين عائشة ، وأم المؤمنين السيدة حفصة ، وهما أهل البيت بنص الكتاب الكريم .

هذا هو الطريق الوحيد لتوحيد كلمة الإسلام اليوم ، فما قولكم أيها السادة ؟

* * *

كيف كانت الأئمة تربي الشِّيعة ؟

روى « الكافي » و « الوافي » أن الباقر كان يقول : إنَّ الله قال : لأُعَذِّبنّ كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ، ولا أستحيي ، وإن كانت الرعية في كل أعمالها برة تقية ، ولأعفونّ عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام عادل من الله ، ولا أستحيي ، وإن كانت الرعية ظالمة مسيئة [1].

يقول الباقر : إنَّ الأمة وإن كانت لها أمانة وصدق ووفاء لا تكون مؤمنة ، لإنكارها الولاية ، وإن الشِّيعة وإن لم يكن عندها شيء من الدين ، لا عتب لها ؛ لأنها تدين بولاية إمام عادل [2].

في أي كتبه قال الله هذه الكلمات ؟ ! ثم ما الفائدة من أمثال هذه الكلمات ؟ !

***

(١) انظر: «المحاسن» للبرقي (٩٤/١)، «الكافي» (٣٧٦/١)، «الغيبة» للنعماني (ص١٣١)، «بحار الأنوار» (١١٠/٢٥)، وليس فيها قوله: «ولا أستحيي» .

(٢) انظر هذه الروايات في «الكافي» باب من دان لله عز وجل بغير إمام من الله (٣٧٥/١-٣٧٦)، وينظر أيضًا: «أمالي الشيخ الصدوق» (ص٤٦)، «بحار الأنوار» (١٦٦/٢٧) .

لا حافظ ولا قارئ بين الشِّيعة !

لم أَر بين علماء الشِّـيعة ، ولا بين أولاد الشِّـيعة ، لا في العراق ولا في إيران ، من يحفظ القرآن ، ولا من يُقيم القرآن بعض الإقامة بلسانه ، ولا من يعرف وجوه القرآن الأدائية.

ما السبب في ذلك ؟

هل هذا أثر من آثار عقيدة الشِّيعة في القرآن الكريم ؟ أثر انتظار الشِّيعة مصحف علي الذي غاب بيد قائم آل محمد(١) ؟

* * *

(١) انظر: «أصول الكافي» (٦١٩/٢)، «شرح جامع» (على الكافي) للمازندراني (٤٧/١١)، «بحار الأنوار» (٧٤/٩٢)، «الأنوار النعمانية» (٢٦٣/٢-٢٦٤)، وتجد هذه النصوص المشار إليها في كتابي «أصول مذهب الشِّيعة» (٢٩٤/١) وما بعدها، وقد نقل موقع شبكة الدفاع عن السنة الموضوع بتمامه عن كتابي بنفس العنوان الذي عنونته به وهو: «هل لدى الشِّيعة مصحف سري يتداولونه؟» ولكنه لم يشر إلى المصدر!

مصحف الأمة ومصاحف الصحابة وعلي

أخفُّ ما رأيته للشيعة في القرآن الكريم، أن جميع ما بين الدفتين في المصحف كلام الله، إلا أنه بعضُ ما نزل، والباقي مما نزل عند المستحفظ، لم يَضِعْ منه شيء، وإذا قام القائم يُقرئه الناس كما أنزله الله، على ما جمعه أمير المؤمنين علي[1]، وأخف ما في هذا الكلام من المفاسد:

١ - نسبة التقصير إلى النبي ﷺ في التبليغ، بلغه إلى علي فقط، فغاب، ولو كان بلغه إلى الأمة لما غاب حرف منه.

٢ - اتهام الله بإخلاف وعده ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فإن الله ما استحفظ أحدًا، لكنه بوعده هو يحفظ.

٣ - الطعن على العصر الأول بأنه ردَّ بعض ما نزل، وهو كثير، وردُّ البعض ولو كان حرفًا كفرٌ في عقيدة الأمة.

والتاريخ يُعلِم أن الصحابة نسخت المصاحف مرتين: ١ - زمن الصديق ٢ - زمن عثمان. وعليّ أمير المؤمنين كان رأس الكتبة زمن النسخين ولم يقع لا بين كبار الصحابة، ولا بين صحابي وصحابي، اختلاف وخلاف في أمر المصاحف أصلا، لم يكن إلا الاختلاف في وجوه الأداء، وفي الوجوه اللغوية النحوية، ومن كمال اهتمامهم في الحفظ كان قد يقع بينهم الكلام إذا رأوا الاختلاف في الوجوه النحوية والأدائية.

والإمام عليٌّ مثل كثير من سائر الصحابة، كان يكتب لنفسه كل آية ساعة نزولها، ومن هذا وبهذا اجتمعت عند ستة أو سبعة من الصحابة سور وآيات على ترتيب نزولها، وكان هذا من الاهتمام لا من الاختلاف، والذي كان يكتبه كتبةُ الوحي للنبي ﷺ كان سوره وكل آياته مترتبة على هذا الترتيب الذي نراه اليوم في المصاحف بأيدينا.

وعلى هذا المصحف بهذا الترتيب نزل أعظم قسم في القرآن الكريم: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٧٥ - ٨٠].

---

(١) انظر: «الذريعة» (٣/٣١٣-٣١٤)، وانظر نصوصهم في: «مسألة التقريب» (٢/٢٤-٢٥)، «أصول مذهب الشِّيعة» (١/٢٩٤) وما بعدها.

فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين، أقدّمُ هذه المسائل لأساتذة النجف بيد الاحترام، بأمل الاستفادة، بقلب سليم كله رغبة في تأليف عالمي الإسلام.

٢٣ من ذي القعدة سنة ١٣٥٣هـ - ٢٧/٢/١٩٣٥م

موسى جار الله

هذه رسالتي في مراجعاتي، وقد تفضل عليَّ كبير مجتهدي البصرة في جوابها بكتاب في تسعين صفحة، يؤيدني في كل ما نقلته من كتب الشِّيعة، والكتاب عندي محفوظ.

راجعت مجتهدي الشِّيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشِّيعة عرضًا على سبيل الاستيضاح، عملا بأمر الله في كتابه ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جوابًا من أحد إلا من كبير مجتهدي الشِّيعة بالبصرة، فقد قام بوظيفته وتفضل عليَّ بكل أجوبته في كتاب يزيد صفحاته على تسعين، بكلمات في الطعن على العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشِّيعة (١).

وإذْ نبذَ غيرُه ميثاق الله في قوله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، رأيت بين يديَّ مجالا للقول في بعض المسائل الأُخَر إيضاحًا لا استيضاحًا، فزدت هذه الزيادات الآتية، رفعت بها صوتي دعوة أدافع بها عن شرف الأمة وحرمة الدين، وأقضي بها حقوق العصر الأول عليّ وعلى كل الأمة، وغير ملوم من نصر الحق والجماعة، بحول الله وقوته على قدر الاستطاعة، إن كان الانتصاف بإخلاص كامل وإنصاف، وكان القصد والداعية هي النصيحة الوافية.

* * *

---

(١) هذا المنهج الذي سلكه كبير مجتهدي الشِّيعة بالبصرة، في أجوبته على مسائل العلامة موسى جار الله، هو أحد مناهجهم فيما يُورد عليهم من منكرات وضلالات جمعتها كتبهم، ولغيره مناهج أخرى ستجد الإشارة إليها في المبحث الأخير من هذا التهذيب (ص١٥٧)، والذي بعنوان: «أجوبة مراجع الشِّيعة على مسائل الوشيعة».

كتب الشِّيعة تطعن على أزواج النبي ﷺ

للشيعة في أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين - خصوصًا في عائشة وحفصة وزينب سوء أدب عظيم، لا يتحمله عصمة النبي ﷺ وشرف أهل البيت ولا دين الأئمة.

وأقل ما يقوله « الكافي » و « الوافي » في عائشة وحفصة أن قول الله في سورة التحريم: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠] نزل في عائشة وحفصة وأبي بكر وعمر، وأن عائشة وحفصة كافرة منافقتان مخلدتان في النار[١].

* * *

(١) انظر من كتبهم: «البرهان» للبحراني (٣٢٠/١، ٣٨٣/٢)، «بحار الأنوار» للمجلسي (٥٠٤/٦، ٤٥/٧، ٧/٨، ٣٣/٢٢)، «الصراط المستقيم» للنباطي (١٦١/٣-١٦٨).

كتب الشِّيعة تقذف نساء الأمة

تروي كتب الشِّيعة عن أبي ميثم بن أبي يحي عن جعفر بن محمد (وهو الصادق ابن الباقر) قال: «ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإن علم الله أن المولود من شيعتنا حَجَبَهُ من ذلك الشيطان، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان أصبعه في دبر الغلام فكان مأبونًا، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة» (الوافي ١٧/١٣)، «بحار الأنوار» عن «الكافي»[1].

هذا قذفٌ شنيعٌ للأمة نساء ورجالا، ترويه كتب الشِّيعة عن الأئمة، كذب لا ريب فيه، وإسناده للإمام الصادق طعن على دين الصادق وأدبه، وعلى شرف الإمام الباقر، وأكثر أخبار الشِّيعة عليها مسحة الوضع ونتنه ودَفْره.

* * *

(١) انظر: «الكافي» (٢٨٥/٨) وفيه: «كل الناس أولاد بغايا ما خلا شيعتنا»، وهذا القذف مستفيض في كتب الشِّيعة، انظر أيضا: «تفسير العياشي» (٢١٨/٢)، «البرهان» للبحراني (٣٠٠/٢)، «نور الثقلين» للحويزي (٥١٣/٢)، «بحار الأنوار» للمجلسي (١٢١/٤)، (٣١١/٢٤)، «نور البراهين» للجزائري (٢٢٠/٢)، «وسائل الشِّيعة» للحر العاملي (٣٨٥/٦).

وقد بوب شيخهم المجلسي في المرجع المعتمد لدى الشِّيعة في التلقي المسمى «بحار الأنوار» (٢٣٧/٧) بابًا في ذلك بعنوان: «باب أنه يدعى الناس بأسماء أمهاتهم إلا الشِّيعة».

أموال الأمة كلها حرام

في كتب الشِّيعة أن الصادق كان يقول : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] نحن المتقون ، هم الأئمة أولاد علي ، الدنيا وكل ما فيها لنا ، هي حلال لشيعتنا ، حرام على غير الشِّيعة [١] .

عن الصادق : « ماء الفرات حرام على الشِّيعة [٢] مثل حرمة الدم المسفوح ولحم الخنزير » (الوافي ٢/٢٨).

عن الصادق : ثمانية أنهار خرقها جبريل بإبهامه ، منها سيحان وجيحان ، ونهر بالهند والسند ، ونهر الترك ، ومنها النيل ، ودجلة والفرات ، فما سقت وما استقت هي لنا ولشيعتنا، وليس لعدونا منه شيء (الوافي ٣/٣٥٧) ، كل أنهار الأرض خرقت بإبهام جبريل ، هي لنا ولشيعتنا وليس لعدونا منه شيء ، وإنّ ولينا لفي أوسع في ما بين هذه وهذه ، بين السماء والأرض ، ﴿ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ للشيعة ﴿ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ وإن غصبها الغاصب ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأعراف:٣٢] بلا غصب [٣] (الوافي ٣/٣٥٧) .

* * *

---

(١) انظر: «الكافي» (١/٤٠٧)، «الاستبصار» (٣/١٠٨)، «وسائل الشِّيعة» (٢٥/٤١٥)، «بحار الأنوار» (٩٧/٥٨) .

(٢) كذا في الأصل، والصواب «على غير الشِّيعة» كما هو ظاهر في النص الذي يليه، وهذا ما تدل عليه رواياتهم . انظر من كتبهم : «وسائل الشِّيعة» باب استحباب الشرب من ماء الفرات (٦/٤٠٧) .

(٣) انظر: «الكافي» (١/٤٠٩)، «وسائل الشِّيعة» (٩/٥٥٠)، «بحار الأنوار» (٥٧/٤٦) .

أكاذيب وَضَعَتها كتب الشِّيعة على ألسنة الأئمة

« الوافي » عن « التهذيب » و « الكافي » (٤٥/٢) عن الباقر : « لما أخذ النبي ﷺ يوم الغدير بيد علي ، صرخ إبليس في جنوده صرخة لم يبق منهم أحد في بر ولا بحر إلا أتاه ، فقالوا : ماذا دهاك ؟ ما سمعنا لك صرخة أوحش من هذه ؟ فقال : نعم فعل هذا النبي فعلا ، إن تم لم يَعصِ الله أحد أبدًا ، فقالوا : يا سيد ، أنت كنت لآدم أغويته! ولما قال المنافقون : إنه ينطق عن الهوى ، وقال أحدهما لصاحبه (أبو بكر لعمر) : أما ترى عينيه تدوران في رأسه (يعنون النبي ﷺ) كأنه مجنون ، صرخ إبليس صرخة بطرب ، فجمع أولياءه ، ثم قال : أما قلتم : إني كنت لآدم من قبل ؟ قالوا : نعم ! قال : آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب ، وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول ! ولما قُبض النبي ﷺ ، وأقام الناس أبا بكر لبس إبليس تاج الملك ، ونصب منبرًا وقعد في ألويته وجمع خيله ورَجِلَه ، ثم قال لهم : اطربوا ، فلن يطاع اللهُ أبدًا حتى يقوم إمام ، ثم تلا الباقر : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : ٢٠] قال الباقر : كان تأويل هذه الآية لما قبض النبي ﷺ ! والظن من إبليس حين قالوا للنبي ﷺ : إنه ينطق عن الهوى ، صدَّقوا ظن إبليس [١] .

« الوافي » (٤٥/٢) عن سلمان عن علي : إن أول من بايع أبا بكر هو إبليس ، وأن النبي قد قال : إن أول من يبايع أبا بكر في منبري هذا هو إبليس [٢] .

« الوافي » (٤٧/٢) قال الصادق : إن قول الله : ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القلم : ٥١] نزل في أبي بكر وعمر حين قالا يوم الغدير : انظروا إلى عينيه تدوران كأنهما عينا مجنون [٣] .

---

(١) « الكافي » (٣٤٤/٨-٣٤٥)، «بحار الأنوار» (٢٥٧/٢٨-٢٥٨) .

(٢) انظر: «كتاب سليم بن قيس» (ص١٤٤- ١٤٥) ، «الكافي» (٣٤٣/٨-٣٤٤)

(٣) انظر: «الكافي» (٥٦٧/٤)، «بحار الأنوار» (٢٥٩/٣٠) .

ويقول الصادق : « ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة : ٧] نزلت في أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وسالم والمغيرة ، حين كتبوا الكتاب وتعاهدوا وتقاسموا : لئن مضى محمد لا تكون الخلافة في بني هاشم ولا النبوة أبدًا » ، ونزل : ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف : ٧٩ - ٨٠] هاتان الآيتان نزلتا في هؤلاء »[١] .

عن الباقر والصادق : إن أبا بكر ساعة موته دعا بالويل والثبور ، فجعل يقول : هذا محمد وهذا علي يبشرانني بالنار ، وبيده الصحيفة التي تعاهدنا عليها في الكعبة وهو يقول : لقد وفيتَ بها يا منافق ، تظاهرتَ على وليّ الله ! فأبشر بالدرك الأسفل من النار في أسفل السافلين[٢].

فما تقول الشِّيعة الإمامية اليوم ؟ وما يقوله مجتهدوها وهم آيات الله الكبريات ، وهم حجج الله البالغات في أمثال هذه الروايات التي ترويها بأسانيدها أمهات كتب الشِّيعة الإمامية ؟ وفي الأخبار والروايات ما هو أشنع وأغرب من هذه الأكاذيب التي نقلتها وأنقلها من الأمهات الأربعة !

في « الكافي » (٥١/٢) عن الصادق عن الباقر : أن رسول الله أقبل يقول على أبي بكر وهو في الغار يرتعد : اسكن فإن الله معنا! وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن ، فلما رأى النبيﷺ حاله قال له : تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في المجالس يتحدثون ، وأريك جعفرًا وأصحابه في البحر يغوصون ؟ قال : نعم ! فمسح النبيﷺ بيده على وجهه ، فنظر أبو بكر إلى الأنصار يتحدثون ، ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون ، فأضمر في تلك الساعة أنه ساحر ؛ فسمي صدِّيقًا[٣] .

---

(١) «الكافي» (١٨٠/٨)، «بحار الأنوار» (٣٦٥/٢٤) .

(٢) انظر: «كتاب سليم بن قيس» (ص٣٤٨)، «بحار الأنوار» (١٢٢/٢٨) .

(٣) انظر أيضًا: «التفسير الصافي» للفيض الكاشاني (٣٤٤/٢)، «بحار الأنوار» (٨٨/١٩) .

فما هذا أيها الشِّيعة ؟

هل هذا إلا كذب من لا حياء له ولا دين له يرده عن غيه وجهله ؟ وهل هذا إلا كذب من يكذِّب بالقرآن الكريم ؟ والقرآن الكريم يقول : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

فإن كان النبي أُخرج ثاني اثنين ، فمن الأول ؟ ثم إن هذا الأول :

١ - قد جعله الله صاحبًا له في نصرة نبيه .

٢ - قد خرج هذا الأول مع النبي ﷺ صاحبًا له في ساعة العسرة إذ هما في الغار.

٣ - فإن كان ارتعد خوفًا على حياة النبي ﷺ إذ أحس وقع الأقدام فوق رأسه .

٤ - وحزن حزنًا إذ توهم عجزه أن يدافع عن حياة النبي ﷺ .

٥ - فإن كان الله أنزل سكينة الله على هذا الأول .

٦ - وأيد الله هذا الأول ونبيه بجنود لم يرها أحد من قريش غير الأول .

فهل نال أحدٌ من خلق الله مثل هذا الشرف ، ومثل هذا الثناء الجليل في أجل الكتب ، في القرآن الكريم غير الأول وهو أبو بكر الصديق ، على صاحبه وعليه الصلاة والسلام ؟ !

* * *

أُمَّهات الكُتب التي تعتمد عليها الشِّيعة

للشيعة الإمامية كتب كثيرة في كل شعب علومها ، التي يعتمد عليها الشِّيعة من كتب الأخبار هي باتفاق مجتهدي الشِّيعة الإمامية اليوم أربعة :

الأول : وهو المقدم عند الشِّيعة على الإطلاق **كتاب « الكافي »** ، في ثلاثة مجلدات ، المجلد الأول في الأصول ، والثاني والثالث في الفروع ، للشيخ الصدوق ثقة الإسلام [١] أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، هو إمام أئمة الشِّيعة بلا نزاع ، مثل الإمام محمد ابن إسماعيل البخاري عند الأمة .

الثاني : **كتاب « التهذيب »** لمحمد بن الحسن الطوسي ، مجلدان في الفروع ، هو ثاني الكتب بعد « الكافي » .

الثالث : **كتاب « من لا يحضره الفقيه »** لمحمد بن علي بن بابويه في الفروع .

الرابع : **كتاب « الاستبصار فيما اختلف فيه من الأخبار »** لمحمد بن الحسن الطوسي ، اختصره من كتابه « التهذيب » .

هذه الأربعة هي أمهات كتب الشِّيعة المعتمدة جمعها كلها كتاب « الوافي » في ثلاث مجلدات كبيرة [٢] .

وكان في هذه الأربعة - على ما يقوله صاحب « الوافي » - خلل كثير ، جمع هذه الأربعة

---

(١) هذه ألقابه عند الشِّيعة، أما حقيقة اعتقاده ونحلته فقد كشفها بنفسه في كتابه «الكافي» من خلال ما أودعه فيه من كفر وضلال، ولذلك قال الشيخ محمد أبو زهرة لما نقل عقيدة الكليني في القرآن، وفق ما دونه في كتابه «الكافي» قال أبو زهرة :«ونحن نرى أن من هذه عقيدته فليس من أهل القبلة» (انظر: الإمام الصادق للشيخ محمد أبي زهرة ص٤٤٠) .

(٢) انظر الدراسة الوصفية والنقدية الموجزة لهذه المصادر في : «أصول مذهب الشِّيعة» (٤٠٩/١-٤٣١)، «مسألة التقريب» (٢٦٨/١-٢٧٨) .

ورتبها وهذبها وأخلاها من كل خللها صاحب « الوافي » ، وزاد فيها أشياء لم تكن في الأربعة.

عندي هذه الأصول المعتمدة الأربعة ، وعندي كل مجلدات « الوافي » ، طالعتها باهتمام على قدر استطاعتي ، برغبة كاملة في الاستفادة ، ونية صادقة خالصة في الإفادة ، على حسب عادتي وطبيعتي ، ومنذ ضعفتُ فصارت تخنانني في حفظها حافظتي ، وكانت لا تطاوعني في التذكر ذاكرتي ، جعلت في الاحتياط والاحتيال أقيد كل كلمة وكل مسألة أستحسنها ، وكل مسألة أستغربها أو أنكرها في دفاتري ، باسم الكتاب ورقم صفحاته لتسهيل المراجعة .

وللشيعة كتب الفقه في الفتاوى مثل « الشرائع » و « النافع » كلاهما للمحقق[1] ، ومثل « القواعد » لعلامة الشِّيعة الحلي[2] .

ولهم كتب فقهية استدلالية ، مثل « الحدائق » للشيخ يوسف البحراني ، ومثل « الجواهر » للشيخ محمد حسن .

ومن كتب التفسير للشيعة كتاب « التبيان » للشيخ محمد بن الحسن الطوسي ، وكتاب « مجمع البيان » للطبرسي ، هو أشهر التفاسير وأروجها عند الشِّيعة ، فيه اللغة والإعراب ووجوه القراءات ، رأيته وطالعته .

وللشيعة كتب في آيات الأحكام ، وعندي منها كتاب « قلائد الدرر في بيان آيات الأحكام بالأثر » ، ولهم في صحائف التفسير ميل وانحراف إلى القول بالتحريف،

---

(١) إذا أُطْلِق لقب المحقق عند الشِّيعة انصرف إلى شيخهم جعفر بن الحسن بن يحيى الحلي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، وإطلاق العلامة موسى جار الله عليه لقب المحقق بحسب اصطلاحهم .

(٢) العلامة في اصطلاح الشِّيعة هو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الحلي، من شيوخه نصير الدين الطوسي وزير الطاغية هولاكو، وإذا أردت أن تعرف المستوى العلمي لهذا الرافضي الذي إذا أطلق لقب العلامة عند الشِّيعة لا ينصرف إلا إليه فراجع «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على «منهاج الكرامة» لهذا الحلي .

يروي الطبرسي[1] في «الاحتجاج» بسنده إلى أمير المؤمنين علي في حديث طويل، يقول فيه لبعض الزنادقة: «وأما ظهورك على تناكر قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣] وليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء، ولا كل النساء يتامى، فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن، بين القول في اليتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن، وهذا وما أشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر والتأمل، ووجد المبطلون والملل المخالفة مساغًا إلى القدح في القرآن، ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرِّف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال...»[2].

لم أعلم من هو هذا البعض من الزنادقة الذي يناظر عليًّا ويهديه إلى الحق علي؟! وهل يمكن أن يكون أحد أشدَّ زندقة ممن يقول في القرآن وفي جميع الصحابة مثل هذا القول؟! وهل يجد أشد عدوٍّ مساغًا أهدم للقرآن وأهدم للدين من مثل هذا القول الذي يسنده أئمة الشِّيعة إلى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؟!

وهذه وأمثالها في كتب الشِّيعة كثيرة، تشهد شهادة قطعية أن الشِّيعة تضع ولا تحسن الوضع، لا ذوق للشيعة في الوضع ولا مهارة، إذ لو صح السند وثبت من عليّ حرفٌ من هذا الخبر، فعلي هو الزنديق، أو هو أذل منافق كان بين هؤلاء المنافقين، وأقرهم على إسقاط الكثير من القرآن وعلى التحريف والتبديل، ثم لما تولى سعى في الأرض فسادًا، وعاث وعثا، ثم عبث عبثًا، ولم يُقم القرآن على ما كان عليه القرآن الكريم زمن النبي ﷺ في العرضة الأخيرة، إذ كل أموره وكل أعماله عيث وعبث، بعد أن ترك القرآن الكريم على ما حرَّفه وغيَّره وبدَّله، وأسقط الكثير منه هؤلاء المنافقون،

(١) أحمد بن علي الطبرسي، وهو غير الطبرسي صاحب مجمع البيان، ومع مجاهرته بالكفر في إيراده لأساطير التحريف على سبيل التأييد، فإن الشِّيعة الرافضة تعظمه. انظر ذلك في: «أمل الآمل» (١٧/٢)، «لؤلؤة البحرين» (ص٣٤١)، «معالم العلماء» (ص٢٥)، «مقدمة الاحتجاج» وغيرها.

(٢) «الاحتجاج» للطبرسي (٣٧٧/١)، «بحار الأنوار» (٤٧/٨٩)، «التفسير الصافي» (٤٩/١).

ولم يكن يجب عليه شيء بل كان يحرم عليه كل شيء قبل إقامة القرآن على ما نزل ، فإذا لم يُقم القرآن فكل أعماله هدر وعبث ، بل يكون هو الذي أضاع القرآن[١] ، وأين كان مصحفه الذي كتبه بعد موت النبي ﷺ وعرضه على أبي بكر وعمر ولم يقبلاه ؟ ولم يغب القائم إلا في النصف الأخير من العصر الثالث[٢].

* * *

(١) هذا على سبيل الإلزام لهم بلوازم أساطيرهم، وإقامة الحجة عليهم بمآلات أقوالهم، وإلا فعلي رضي الله عنه بريء مما يفترون وبريء من المفترين .

(٢) لأن فريتهم وزندقتهم حول القرآن تقوم على أن هذا القرآن الذي بأيدي المسلمين ناقص محرف، وأن القرآن الكامل عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم أورثه الأئمة من بعده، وهو اليوم عند مهديهم المنتظر، وهذه المقالة الملحدة ممن يزعمون التشيع لعلي رضي الله عنه ، فوق أنها طعن في كتاب الله عز وجل ودينه وصحابة رسول الله ﷺ، هي مع ذلك أكبر طعن في علي رضي الله عنه من قوم يزعمون محبته والتشيع له، إذ كيف ـ كما يشير الشيخ موسى جار الله ـ لم يُخرج علي القرآن الكامل الذي جمعه كما يزعمون ويعارض به هذا القرآن المحرف ؟! ولماذا لم يتدارك الأمر حين أفضت إليه الخلافة ؟ ! ومن أقر الخائن على خيانته كان كفاعلها، وقد حارب عليّ الخوارج على أقل من هذا، ولهذا قال الإمام ابن حزم : «ويكفي في بيان كذب الروافض أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي هو عند أكثرهم إله خالق، وعند بعضهم نبي ناطق، وعند سائرهم إمام معصوم ولي الأمر وملك، فبقي خمسة أعوام وتسعة أشهر خليفة مطاعًا ظاهر الأمر، والقرآن يقرأ في المساجد في كل مكان، وهو يؤم الناس به، والمصاحف معه وبين يديه، فلو رأى فيه تبديلا كما تقول الرافضة أكان يقرهم على ذلك؟ ثم أتى ابنه الحسن وهو عندهم كأبيه فجرى على ذلك، فكيف يسوغ لهؤلاء النوكى أن يقولوا: إن في المصحف حرفًا زائدًا أو ناقصًا أو مبدلا مع هذا؟! ولقد كان جهاد من حرف القرآن وبدل الإسلام أوكد عليه من قتال أهل الشام الذين إنما خالفوه في رأي يسير رأوه ورأي خلافة فقط . فلاح كذب الرافضة ببرهان لا محيد عنه، والحمد لله رب العالمين» (الفصل ابن حزم ٢/٢١٦-٢١٧) .

ولم يجد الرافضة ما يجيبون به عن هذا سوى قولهم على لسان شيخهم نعمة الله الجزائري: «ولما جلس أمير المؤمنين عليه السلام لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا، لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه» (الأنوار النعمانية ٢/٣٦٢) .

هكذا يعتذرون على لسان أحد كبار شيوخهم الذي يصفونه بالعالم المحقق المدقق، ويعدونه «من أعاظم علمائهم المتأخرين وأفاخم فضلائهم المتبحرين» -بحسب تعبيرهم- . انظر: (روضات الجنات، لشيخهم الخوانساري ٤/٢٢٠-٢٢٢، والكنى والألقاب للقمي ٣/٢٩٨) .

وأي قدح أشد من هذه المقالة في حق الخليفة الراشد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، إنهم يتهمونه رضي الله عنه بأنه راعى المجاملة لمن سبقه على هداية الأمة، ولهذا لم يخرج ما عنده من القرآن، سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا برهان ظاهر أن أصحاب هذه المقالات هم أعداء للقرآن، وأعداء لأهل البيت، بل لله ورسوله ودينه، وأن التشيع كما يقول أهل العلم مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله .

أسانيد الشِّيعة في أخبارها وكُتبها

تروي كتب الشِّيعة أن إمامًا من أئمة أهل البيت، أولاد علي يقول: «ذروا الناس، فإن الناس أخذوا عن الناس، وإنكم أخذتم عن رسول الله»[١] (الوافي ١/١٢٤) وغيره.

بأي سند ؟!

تجيب كتب الشِّيعة: إن شيوخنا رووا عن الباقر وعن الصادق، وكانت التقية شديدة، وكانت الشيوخ تكتم الكتب، فلما خلت الشيوخ وماتت، وصلت كتب الشيوخ إلينا، فقال إمام من الأئمة: حدثوا بها فإنها صادقة[٢] (شرح الكافي١/٢٨).

ثم تعترف الشِّيعة أن الشِّيعة لم يكن عندها علم الحلال وعلم الحرام وعلم المناسك إلى زمن الباقر وابنه الصادق[٣].

نرى أن التقية جُعلت وسيلة إلى وضع الكتب، ثم جُعل كل هذا دليلا على جواز العمل بالوجادة[٤].

هذا خلاصة ما للشيعة في أسانيد الأخبار والكتب، يقول أهل العلم: إن أخبار الشِّيعة

---

(١) «الكافي» (١/١٦٦)، «وسائل الشِّيعة» (١٦/١٩١)، «الفصول المهمة» (١/٢٦٤)، «بحار الأنوار» (٢/١٣٣).

(٢) انظر: «الكافي» (١/٥٣).

(٣) انظر: «أصول الكافي» (٢/٢٠)، «رجال الكشي» (ص٤٢٥)، «تفسير العياشي» (١/٢٥٢-٢٥٣)، «البرهان» (١/٣٨٦).

(٤) يطلق مصطلح الوجادة في علوم الحديث فيما أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة، والشيخ موسى جار الله يشير بهذا إلى وضعهم الكتب، ثم اعتمادها بناء على مذهبهم في جواز العمل بالوجادة، وقد عقد الإمام الشوكاني في كتابه «الفوائد المجموعة» مبحثا بعنوان النسخ الموضوعة، وبعد عرضه لها ذكر أن أكثرها من وضع الرافضة وهي موجودة عند أتباعهم. (الفوائد المجموعة ص٤٢٥).

متونها موضوعة وأسانيدها كلها مفتعلة مختلقة [١].

والوضع زمن الأموية والعباسية كان شائعًا غاية الشيوع للدعوة والدعاية، لأسباب سياسية، وقد كان أعداء الإسلام وأعداء الدولة الإسلامية من اليهود والمجوس يتظاهرون بالدين نفاقًا، ويضعون الأحاديث مكرًا بالدين وإثارة للفتن، وأصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من الشِّيعة المتظاهرة، لم يحملها على ذلك إلا عداوة الخصوم، ثم توسعت الشِّيعة المتظاهرة، وأخرجتها العصبية من ذكر الفضائل إلى تعداد الرذائل، فوضعت أحاديث شنيعة في نفاق أكابر الصحابة وارتداد كل الأمة.

وهذه الرسالة لا ترى من حاجة إلى إطالة الكلام في مسألة الأسانيد، لأن أئمة الأمة قد فرغت تمام الفراغ عنها، ولأن البحث في الأسانيد بعد البحث في المتون.

وكل متن يناقض المعقول، أو يخالف الأصول، أو يعارض الثابت من المنقول، فهو موضوع على الرسول ﷺ، هذا هو أصل الأصول في نقد ما يسند إلى الرسول، فإن كان متن الحديث لا ريبة في عينه، ولا ربا في صرفه، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح

---

(١) قدَّم صاحب « الحور العين » شهادة مهمة لأحد علماء الشِّيعة الزيدية في هذا الشأن، وهو الإمام الشيعي أبو طالب يحيي بن الحسين بن هارون الحسني المتوفى سنة٤٢٤ حيث ذكر بأنه قال في كتابه «الدعامة»: «إن كثيرًا من أسانيد الاثني عشرية مبنية على أسامي لا مسمى لها من الرجال، قال: وقد عرفت من رواتهم المكثرين من كان يستحل وضع الأسانيد للأخبار المنقطعة إذا وقعت إليه، وحكى عن بعضهم: أنه كان يجمع روايات بزرجمهر وينسبها للأئمة، بأسانيد يضعها فقيل له في ذلك فقال: ألحق الحكمة بأهلها» (الحور العين ص١٥٣).

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل صرحت مصادرهم المعتمدة بجواز الكذب على الله ورسوله فضلا عن الأئمة، يقول شيخهم المازندراني في شرحه على الكافي عن منهج طائفته وعملهم في هذا الباب: «يجوز من سمع حديثًا عن أبي عبد الله أن يرويه عن أبيه أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقول قال الله» وهذا إقرار باستحلالهم نسبة أقوال البشر إلى الله عز وجل، وهو تعمد للكذب البواح الصراح على الله سبحانه كما جاء في كتابهم «الكافي» تقرير لهذا الكذب وترغيب فيه، حيث جاء فيه ما نصه «عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله: الحديث أسمعه منك أرويه عن أبيك أو أسمعه عن أبيك أرويه عنك؟ قال: سواء، إلا أنك ترويه عن أبي أحب إليَّ، وقال أبو عبد الله لجميل: ما سمعته مني فاروه عن أبي» (أصول الكافي مع شرح جامع ٢/٢٥٩).

يرفعه ، وإن كان في متن الحديث وعينه ريبة فعند ابتلائه بهذا الأصل يصدق لنا صليل الزيف ونرده .

على هذا الأصل الراسخ الراسي المتين جرى أئمة الأمة إذ أخذت في حفظ سنن الشارع وسيرته وكل تعاليمه للأمة ، وكان لأئمة الأمة رواية محيطة ، وكان لهم دراية نافذة واسعة، وكان لهم رعاية صادقة ناصحة .

كان للأئمة رواية محيطة ، أحاطت إحاطة مغترقة مستغرقة على كل ما روت ، لم تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ، ولم يكن مثل هذا الإكثار للأخذ والعمل بكل ما روي ، بل في طلب ما صح وثبت من سنن الشارع وسنن الخلافة الراشدة وقضايا الصحابة ، وكل ما تحمله وحفظه التابعون .

والإكثار في طلب ما صَحَّ هو الخير كله ، وتفقد الآثار وضبطها والتفقه فيها ، وفي فهم القرآن هو دأب أئمة الأمة ، وكان لأئمة الأمة دراية نافذة واسعة ، حتى نقدت الأحاديث ، بعد التثبت في أسانيدها ، نقد الصيارفة خالص النقود من زيوفها ، ثم دونت الجوامع في الصحاح ، ودونت المسانيد في ما صح وحسن وثبت من الأحاديث .

فما فات الأئمةَ شيءٌ من سنن النبي ﷺ وأحاديثه ، ولم يدخل ولم يبق في كتب الأمة زيف أو دخيل ، وقد صدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم : « **يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُه ، يَنْفُون عَنْهُ تَحريف الغَالِين ، وانْتِحَالَ المُبْطِلين ، وَتَأْويل الجَاهِلين** »[1].

---

(١) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (ص٤)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٩)، والحديث اختلف في درجته فقد صححه من المتقدمين الإمام أحمد (لسان الميزان ٣١٢/١)، ومن المتأخرين الألباني (ينظر: مشكاة المصابيح، كتاب العلم ح [٢٤٨] ٥٣/١)، ومنهم من ضعفه، قال ابن القطان: «روي هذا الحديث متصلا من رواية جماعة من الصحابة: علي بن أبي طالب، وابن عمر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، وكلها ضعيفة لا يثبت فيها شيء»، ويقول البلقيني: «الحديث لم يصح، فإنه روي مرفوعا من حديث أسامة بن زيد، وأبي هريرة، وابن مسعود وغيرهم، وفي كلها ضعف»، وقد ساق طرقه ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (ص١٧٨).

وروايات أهل البيت أئمة الشِّيعة - إن كان لهم رواية - فكلها تنتهي إلى علي أمير المؤمنين ، وكل ما صح وثبت عن علي فقد روته أئمة الأمة قبل أئمة الشِّيعة بزمن ، وهم أدركوه وهم كانوا أعلم وأحرص .

هذا ما للشيعة وما لأئمة الأمة في مسألة الأسانيد والمتون ، أما أنا في هذه المسألة فأريد أن أكون شيعيًا أكثر وأصدق من الشِّيعة : إني أحترم وأُجِلّ وأعظم أئمة الشِّيعة أولاد علي أمير المؤمنين أكثر من الشِّيعة ، فإجلالا لأهل البيت واحتراما لأئمة الشِّيعة أنكر كل أخبار الشِّيعة .

كل ما في كتب الشِّيعة في أبواب ما نزل من الآيات في الأئمة والشِّيعة ، وفي أبواب ما نزل في أعداء أهل البيت ، دليل لا يذر عيبًا على من يقول : إن كل ما في كتب الشِّيعة موضوعة ، وكل ما في كتب الشِّيعة في تأويل الآيات وتنزيلها ، وفي ظهر القرآن وبطنه استخفاف بالقرآن الكريم ولعب بالآيات .

إنْ طَالع مُطَالع « أُصول الكافي » وكتب « الوافي » مطالعة اهتمام وتدبر ، تبين أن أخبار كتب الشِّيعة كلها موضوعة على ألسنة الأئمة أولاد علي رضي الله عنه وضع كذب وافتراء ووضع مكر ، وكل ما روي في تأويل الآيات وتنزيلها فلا يدل إلا على جهل القائل بها ، لو ثبتت أخبار « الكافي » و « الوافي » في القرآن وفي تأويل الآيات وتنزيلها ، فلا قرآن ولا إسلام ولا شرف لأهل البيت ولا ذكر لهم ، وتراجم أبواب كتب الشِّيعة مثل : « باب ما نزل من الآيات في أعداء الأئمة » هذه التراجم في نفسها ساقطة سخيفة ، لم يكن للأمة عداوة للأئمة ، ولم يبن دين من الأديان على العداء ، ثم لم يلعن عصره الأول دين أبدًا ، ولم يقع بين علي وبين الصديق والفاروق وأكابر الصحابة تعادٍ أصلاً ، وأخبار التعادي كلها موضوعة وتنزيل الآيات وتأويلها عليه افتراء على الله وعلى الأئمة ، ولعب بالآيات الكريمة ، والأئمة منها كلها بريئة .

هل تعتقد شيعة اليوم ما في كتاب « الروضة » من « الوافي » (١٤/١٠٩) في نسب عمر ،

وقد وضعته الشِّيعة على لسان الصادق[1] ؟

فإن أمكن أن يكون كاذبًا وضعه شيطان سفيه من الشياطين ، أو كان كذبه بينًا يستحي كل أحد أن يقوله على أرذل خلق الله ، فكيف يكون أن أدب الشِّيعة لم يمنع صاحب « أصول الكافي » أو صاحب « الوافي » من أن يضع هذه الفِرى الفاحشة الشنيعة في صحائف أصح كتاب عند الشِّيعة ؟ ثم ما في « الوافي » (١١٠/١٤) في أم العباس فلعله نزعة شيعية زادتها الشِّيعة على الشعوبية .

* * *

(١) وقد عقد شيخ الدولة الصفوية بابا لهذه الفرية سماه: «باب نسب عمر...» وذلك في كتابه المعتمد لدى شيعة عصرنا . انظر: «بحار الأنوار» (٢٠٣/٣١) .

الشِّيعة تُنْكِر على الأُمّة مذاهبها وأعمالها

سألت أبا عبد الله عن رجل ناصب متدين ، منّ الله عليه فعرف هذا الأمر ، فقال : كل عمل عمله في نصبه وضلالته ، ثم منَّ الله عليه وعرف الولاية ، فإنه يؤجر عليه إلا الزكاة ، فإنه يعيدها إذ قد وضعها غير موضعها ، لأن الزكاة لأهل الولاية خاصة »[1]، قال رجل للباقر : « حججت وأنا مخالف ؟ فقال : أعد حجك »[2] (الوافي من التهذيب٢/٣١٧).

يروي « الكافي » عن الصادق أنه كان يقول : « لا يستقيم الناس على الفرائض والطلاق والزكاة إلا بالسيف » ، وزاد صاحب « الوافي » فقال : « وذلك لما عرفت من مخالفة الجمهور في كل هذه أهلَ البيت ، ولم يبق في الفرائض والطلاق على الحق إلا قليل ، فلعن الله كل مبتدعيهم ، ثم لعن كل متبعيهم »[3] .

وهل من مبتدع غير كل من في العصر الأول ؟ وهل من متبع غير كل الأمة ؟

« ما اختص بروايته الأمة فلا تلتفت إليه ، خبر الأمة مردود » (الوافي ١١/١٠) .

ولم كل هذه ؟ هل هذا إلا لأن الأمة لا تعادي ولا تلعن العصر الأول ؟ ! ولا ميزة للشيعة في هذا الباب إلا هذا ، فإن الأمة أصدق ولايةً لأهل البيت ، ثم الأمة أرشد وأهدى متابعة لأهل البيت في كل ما صح منهم ، والأمة أسبق أخذًا بكل ما ثبت من إمام الأئمة علي أمير المؤمنين ، ليس من دأب الأمة أن تضع على لسان أحد من الأئمة شيئًا بهوى ، وإنما دأبها أن تأخذ ما ثبت بسند ، وقد قدمنا اعتراف الشِّيعة في أسانيد الشِّيعة[4] .

***

(١) انظر : «تهذيب الأحكام» (٤/٥٢) ،«وسائل الشِّيعة» (٩/٢٤٤)

(٢) «الكافي» (٤/٢٧٥)، «الاستبصار» (٢/١٤٥)، «وسائل الشِّيعة» (١/١٢٧) .

(٣) انظر: «الكافي» (٦/٥٧)، «وسائل الشِّيعة» (٢٢/١٤) .

(٤) انظر: (ص٨٩) .

الشِّيعة تُحرّف القرآن الكريم

اتفقت أمهات كتب الشِّيعة على أن منافقي الصحابة حين نسخوا المصاحف حذفوا من القرآن كلمات وآيات نزلت في علي وأولاده ، وغيروا ترتيب آيات كثيرة ، حتى ظهر التناكر وبطل التناسب في جمل القرآن الكريم.

ويقول العلامة المجلسي وصاحب « الوافي » : إن أخبار التحريف متواترة مثل أخبار الولاية وأخبار الرجعة ، إن ردت أخبار التحريف ، فلا ولاية ولا رجعة[1] .

ولقد أصاب في قوله وفي اعترافه العلامة المجلسي ، نعم التحريف الذي تدعيه كتب الشِّيعة لم يقع ، ورجعة جماعة من أولياء الله وأعدائه لأجل الانتقام من الأموية لن تقع .

أما التحريف الذي قد وقع والذي يقع ، فإن كتب الشِّيعة كلها قد حرفت وتحرِّف آياتٍ كثيرةً وسورًا عديدة في تأويلها وفي تنزيلها ، وقد جمعت آيات تزيد على مئتين من أمهات كتب الشِّيعة حرفتها كتب الشِّيعة أشنع تحريف ، وقد تقدم بعض شواهده[2].

من أشنع تقولات كتب الشِّيعة أن قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء : ٥١] أربع آيات في سورة النساء قد نزلت في الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ ، وأن الصحابة والأمة قد أنكرت ما لعلي ولأولاده حسدًا وبغيًا[3] (أصول الكافي ٢/١٥٨).

وهذه الصحائف في « أصول الكافي » موضوعة على ألسنة الأئمة ، إن ثبتت فهي عيب على الأئمة ، لا ريب في وضعها ، وضعتها كتب الشِّيعة ، وحرفت الكتاب الكريم تحريفًا شنيعًا لا يتهور عليه أحد .

---

(١) انظر: «مرآة العقول» للمجلسي (٢/٥٣٦) .

(٢) انظر: (ص٦٤) .

(٣) انظر : « الكافي» (١/٢٠٥) ، « بحار الأنوار» (٢٣/٢٨٩-٢٩٠)

ومنها : قول الله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٦٥] يقول « الكافي » : هم أولياء أبي بكر وعمر اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله [(١)] ، وهو علي .

لم أزل أتعجب من أمثال هذه التأويلات والتنزيلات ، فكان قلبي يميل إلى أن أقول : إن كل هذه قد دسها داسٌّ ماجن ماكر في كتب الشِّيعة .

قيل للصادق : ألم يكن علي قويًّا في دين الله ؟ قال : بلى! قيل : فكيف ظهر عليه القوم ؟ وكيف لم يدفعهم ؟ وما منعه من ذلك ؟ قال الصادق : آية في كتاب الله منعته! قيل : أي آية ؟ قال : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح : ٢٥] كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين ، ولم يكن عليٌّ يقتل الآباء حتى يخرج الودائع ، فلما خرجت ظهر عليٌّ على من ظهر فقتلهم » عن « الكافي » في « الوافي » (١٥٢/٢) [(٢)].

فهل يمكن أن يوجد تأويل وتوجيه أشنع من هذا ؟ وهل يتصور أن يكون وضع أفسد في دين الإمام الصادق وأهدم لشرفه من مثل هذا الوضع ؟

روى العياشي عن الباقر : « لما قال النبي : اللَّهُمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بعمرو بن هشام أنزل الله ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : ٥١] » [(٣)].

تضع كتب الشِّيعة مثل هذا الوضع ، وإن كان فيه تحريف لنظم القرآن ، وتجهيل للنبي ﷺ وتجهيل للباقر ، وجهل عظيم بمواقع الآيات ومنازل السور ، فيه تجهيل لله وطعن في نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - حيث جعلته الشِّيعة مثل « الباحث عن حتفه بظلفه » ، فإن عمر رضي الله عنه على زعم الشِّيعة هو الذي حرف القرآن ،

(١) «الكافي» (٣٧٤/١)، «بحار الأنوار» (٣٦٣/٨)، «الغيبة» للنعماني (ص١٣١) .

(٢) انظر : «علل الشرائع» للصدوق (١٤٧/١)، «بحار الأنوار» (٤٣٦/٢٩) .

(٣) «تفسير العياشي» (٣٢٨/٢-٣٢٩)، وانظر: «بحار الأنوار» (٢٣٤/٣٠) .

وغصب غصبًا حق الإمامة ، وأبطل تدابير النبي ﷺ .

و « أصول الكافي » ذكرت كل الآيات محرفة تحريفًا يخرجها من أن تكون كلام عاقل ، ولا ينزل آية على تنزيل الشِّيعة ، ولا يؤولها على تأويل الشِّيعة إلا من لا حياء عنده ولا أدب له ، كل آية نزلت في الكفار رجعتها الشِّيعة إلى الصديق والفاروق ومن اتبعهما ، إلى كل الأمة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴾ [النساء : ١٣٧] ، تقول « أصول الكافي » (٣٢٥/٣) : إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان : ١ - آمنوا بالنبي أولا ٢ - ثم كفروا حيث عُرضت عليهم ولاية علي ٣ - ثم آمنوا بالبيعة لعلي ٤ - ثم كفروا بعد موت النبي ٥ - ثم ازدادوا كفرًا بأخذ البيعة من كل الأمة [1].

هذه أمثلة من التحريفات تنزيلا أو تأويلا في أمهات كتب الشِّيعة ، تشبه أن تكون تحريف غالٍ غالٍ ، وانتحال مبطلٍ قالٍ ، وتأويل جاهلٍ ضالٍّ ، أما سائر التحريفات فألاعيب ماجن يهذي ، ويستخف بالكتاب ويستهزي ، إن لم يتبرأ منها الشِّيعة ورواتها ، فنحن نبرئ الأئمة احترامًا لأهل البيت، وحبًّا لكل إمام .

وكنت أتعجب ، وكنت أستبعد أن تكون أئمة الشِّيعة في أمهات كتب الشِّيعة تورطت في مثل هذا الدرك الأسفل من النار ، ومن الأدب ، وزاد تعجبي وتحيري إذ رأيت أن بنات كتب الشِّيعة في العصور المتأخرة قد سارت على نهج أمهاتها ، وأرى اليوم أن الشِّيعة وكتبها في عصرنا هذا باقية على ما كان عليها سلفها ، بل اشتدت ، وازدادت كلمات لم يكن يكتبها في كتبها سلف الشِّيعة ، كان السلف منهم قد يتقي ، لا يكشف بُرقع التقية عن قلبه ، وشيعة اليوم قد كشفت غطاء التقية عن قلبها [2] .

* * *

(١) انظر: «الكافي» (٤٢٠/١)، «بحار الأنوار» (٣٧٥/٢٣)، «تفسير العياشي» (٢٨١/١) .

(٢) انظر: باب «الشِّيعة المعاصرون وصلتهم بأسلافهم»، من كتاب «أصول مذهب الشِّيعة» (٧/٣) وما بعدها .

أَصْلُ التَّقِيَّة وأَدَبُ الكِتْمَان في كتب الشِّيعة

تَقَدَّم لنا من هذا الكتاب إجمال الكلام على نقد تقية الشِّيعة [1] ، وجئنا بقول يضطر الشِّيعة إلى قبوله : إن تقية الشِّيعة لا تقع أصلا أبدًا من أحد له دين ، ويمتنع صدورها من إمام له عصمة .

وللشيعة في حياتها وأدبها وكتبها دأب التقية وأدب الكتمان ، يقول الباقر والصادق : « من أظهر الحق وترك التقية في دولة الباطل يكون لم يرض بقضاء الله ، وخالف أمر الله ، وضيع مصلحة الله التي اختارها الله لعباده ، فهو مارق من الدين » [2] (أصول الكافي ٢/٣٦٤).

يقولان : « إن التقية ديني ودين آبائي ، ولا دين لمن لا تقية له » [3] .

قيل عند الباقر : إن الحسن البصري يزعم أن الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم أهل النار ، فقال الباقر : « فهلك إذن مؤمن آل فرعون! ما زال العلم مكتومًا منذ بعث الله نوحًا! فليذهب الحسن يمينًا وشمالاً ، لا يوجد العلم إلا هاهنا » [4] .

إمام الأمة الحسن البصري يقول : إن النبي ﷺ لم يترك لأمته علمًا سوى ما في أيدي الناس ، وقد كذب كذبًا من يدعي أن عنده من علوم النبي ﷺ وأسراره ما ليس في أيدي الناس ، وكذلك يكذب من يدعي أنه يظهر من ذلك ما يشاء ويكتم ما يشاء ، وأراد الباقر أن يردَّ قول الحسن البصري بأن الكتمان عند التقية طريقة مستمرة من زمن نوح إلى الآن ، وإن مؤمن آل فرعون قد كتم بنص القرآن الكريم ، ويدعي الباقر أن أكثر المعارف والشرائع لا يوجد إلا في صدر الباقر ، وأن التقية والكتمان من دينه ودأبه.

---

(١) انظر ما تقدم : (ص ٧٠) وما بعدها من هذا الكتاب

(٢) انظر: «الكافي» (٢/٣٧٢)، (١٥٨/٨)، «وسائل الشِّيعة» (٢٥٢/١٦)، «بحار الأنوار» (٨٨/٧٢) .

(٣) «الكافي» (٢١٩/٢)، «المحاسن» للبرقي (٢٥٥/١)، «وسائل الشِّيعة» (٢١٠/١٦)، «بحار الأنوار» (٧٤/٢) .

(٤) «الكافي» (٥١/١)، «وسائل الشِّيعة» (١٩/٢٧)، «الفصول المهمة في أصول الأئمة» (٥٢١/١) .

هذه الحكاية مذكورة في أمهات كتب الشِّيعة، ولا أرى إلا أن ما أسند إلى الباقر موضوع على لسان الباقر، ولم يضعه إلا جاهل، لأن مؤمن آل فرعون لم يكتم العلم وإنما كتم إيمانه، وبث علمه بتفصيل ذكره القرآن الكريم في ثماني عشرة آية من سورة غافر، والآيات واضحة ظاهرة في رد ما يدعيه الباقر، وتدل على بطلان التقية دلالة قطعية، والآية الأخيرة: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾ [غافر: ٤٥] نصٌّ في أن مؤمن آل فرعون ما نجا إلا بتركه التقية، ولو اتقى لكان أول من دخل في قول الله: ﴿ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥].

وعجيب مستبعد أن كتب الشِّيعة ترفع إلى أعلم الأئمة قولا لا يمكن صدوره إلا من أجهل جاهل، ثم تفتخر، ومؤمن آل فرعون إذ يكتم إيمانه من آل فرعون، لا يتقي بالكتم، بل يتقوّى به إلى إسماع كلماته الناصحة الهادية، ولو أظهر لكان قولا من عدوٍّ يدعوهم إلى تبديل الدين، أو أن يظهر في الأرض الفساد، فالكتم في مثل محله اقتواء وليس باتقاء.

وروى الإمام السرخسي في «المبسوط» (٤٥/٢٤) عن الحسن البصري أن التقية جائزة إلى يوم القيامة، والتقية أن يقي الإنسان نفسه أو غيره بما يظهره، وقد كان بعض أهل العلم يأبى ذلك، ويقول: إنه من النفاق، والأصح جوازه ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقد أذن الشارع لعمَّار رضي الله عنه، وهذا النوع من التقية يجوز لغير الأنبياء، أما التقية في الدعوة والنقل فلا تجوز أصلا أبدًا لأحد، وإلا لدخلت وشاعت الشبهة في الأدلة.

وقد أصابت (أصول الكافي ١٩٣/٢) إذ تروي: «إذا حضرت البلية فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم»[1].

هذا هو أدب التقية: بذل النفيس في حفظ النفس، وبذل النفس في حفظ الدين، والتقية هي وقاية النفس من اللائمة والعقوبة، وهي بهذا المعنى من الدين، ولم تكن المباحثة والمذاكرة في عصر من العصور توجب خيفة على النفس والنفيس، والمجتهد كان

(١) «الكافي» (٢١٦/٢)، وانظر: «وسائل الشِّيعة» (١٩٢/١٦)، «بحار الأنوار» (٢١٢/٦٥).

حرًّا في فكره وقوله وعمله ثم نشره ، والتقية على ما عليه الشِّيعة غش في الدين ، وبيانه نصيحة ونصح ، والإمام لا يسلك إلا طريق النصح ، ولم يكن أحد من الأئمة يسلك طريق الغش .

وقد ثبت عند الشِّيعة حديث : « حد التوكل اليقين ، وحد اليقين أن لا تخاف مع الله شيئًا »[١].

وكل يعلم أن من أظهر بلسانه ما لم يعتقده بقلبه فهو كذب ونفاق ، تجيزها الشِّيعة لغرض عدائي ، وأسوأ التقية في رواية الأخبار ، فقيه الشِّيعة يقول ولا يتقي : « ما اختلف من أخبار أهل البيت فهو التقية ، والتقية رحمة للشيعة »[٢]، والإمام إن قال قولا على سبيل التقية ، فللشيعي أن يأخذ به ويعمل بما قاله الإمام ، إن لم يتنبه الشيعي على أن قول الإمام كان على سبيل التقية .

فقيه الشِّيعة يحمل الرواية على التقية إذا كان رجال السند من أهل السنة والجماعة ، أو كان من الزيدية ، والتقية أحد الوجوه التي يصح ورود الأخبار لأجلها من جهة الأئمة ، وهذه حيلة الشِّيعة في رد السنن الثابتة عن الأئمة .

يقول فقيه الشِّيعة في رد السنة : « إن الوجه في هذه الرواية هي التقية لأنها موافقة لما تراه الأمة » ، ولا أظن أن الأئمة كانوا يعلِّمون الشِّيعة التقية ، تقية الخداع في الأخبار والنفاق في الأحكام ، ولم يكن في عصر من العصور الإسلامية قتل شيعي وعقابه إذا أعلن وتجاهر بعقيدته ، لم يكن البتة شيء من ذلك ، وكل ما روي في ذلك فهو من أوضاع الشِّيعة، والشِّيعة تتقي في طفائف الأمور ، تعمل أعمالا نفاقية وتضع أخبارًا على وجه التقية ، ثم تجاهر بأسوأ الكبائر ، وتزعم أنها تتقي تقية بها تخادع العامة .

---

(١) «الكافي» (٢/٥٧)، «وسائل الشِّيعة» (١٥/٢٠٢)، «بحار الأنوار» (٦٧/١٤٢-١٤٣) .

(٢) انظر: «الاحتجاج» للطبرسي (٢/١٠٦)، «بحار الأنوار» (٢/٢٢٠)، والقائل هو محمد بن الحسين بن بابويه القمي .

الشِّيعة تروي عن الصادق: أن اسم أمير المؤمنين خاصٌّ بعلي، لا يتسمى به إلا كافر[١].

فإن ثبت ذلك عن الصادق، فقد كفر كل ملوك الإسلام وكل خلفاء الإسلام، الخلافة الراشدة والخلافة الأموية والعباسية كلها على حكم الصادق كافرة، هذا جهار من الصادق بأشنع فاحشة، واعتداء طاغٍ على حرمة الإسلام وأمته، وقد كان الصادق يخاطب خلفاء بني العباس بأمير المؤمنين، فكيف مثل هذا الاعتداء الطاغي، ومثل هذه التقية المذلة المخزية من إمام معصوم، من غير عذر قاهر يلجئه إليها، بعد أن أسرف في الاعتداء؟!

ومن ينتحل حب أهل البيت مدعيًا، ويضمر بغض أكابر الصحابة والقرن الأول متقيًا، ويستحل في المخالف كل شيء معتديًا فهو شر الفرق! تقية الشِّيعة روحها النفاق، وثمرتها كفر التهود ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣].

إذا تقررت التقية أدبًا دينيًّا، فقلب كل شيعي في غلاف التشيع يكون مستورًا وراء التقية، لا يبقى لقوله قيمة، ولا يبقى لعمله صدق، ولا لوعده وعهده وفاء ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦].

كان الصادق يقول: التقية من دين الله[٢]، أمر الله عباده بها في كل ملة[٣].

شرع الله التقية في الأقوال والأفعال وفي السكوت عن الحق حفظًا للنفس والمال، وإبقاء للدين، ولولا التقية لبطل دين الله وانقرض أهله. قال الصادق: «سمعت أبي يقول: لا والله، ليس على وجه الأرض شيء أحب إلينا من التقية»[٤]، «اتقوا الله على دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له»[٥]، «أبى الله إلا أن يعبد

---

(١) انظر: «بحار الأنوار» (٦٨/٣٦)، «مستدرك الوسائل» للميرزا النوري (٤٠٢/١٠).

(٢) انظر: «الكافي» (٢١٧/٢)، «وسائل الشِّيعة» (٢١٥/١٦)، «بحار الأنوار» (٥٦/١٢).

(٣) انظر: «بحار الأنوار» (٤٢٥/٧٢).

(٤) «الكافي» (٢١٧/٢)، «وسائل الشِّيعة» (٢٠٦/١٦)، «بحار الأنوار» (٣٩٨/٧٢).

(٥) «الكافي» (٢١٨/٢)، «وسائل الشِّيعة» (٤٦١/١١)، «بحار الأنوار» (٣٩٨/٧٢).

سرًّا ، أبى الله في دينه لكم ولنا إلا التقية »[١] ، « ما بلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف ، إن كانوا ليشهدون الأعياد ويشدون الزنانير ، فأعطاهم الله أجرهم مرتين »[٢] مرة للإيمان ، ومرة للعمل بالتقية .

قال الصادق كانت طائفة آمنت بمحمد وأخفت إيمانها تقية ، فنزلت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ على مصاعب التقية ﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ﴾ بالتقية ﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ الإذاعة [القصص : ٥٤][٣] ، والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من التقية[٤] .

هذه جمل – غثها وسمينها – للشيعة في التقية ، كلمات بعضها حق[٥] ، وكلها أريد بها باطل ، وأدعي أنا احترامًا لكل إمام أن جميعها موضوع على لسان الصادق والباقر ، وليس يوجد بين الكلمات ما يثبت أن إمامًا من الأئمة كان قد يأتي تقية في عبادته بعمل لا يعتقده قربة ، أو كان قد يضع حديثًا يراه باطلا يرفعه إلى الشارع تقية يتظاهر بالوفاق عند العامة نفاقًا ، ولا كلام لنا إلا في هاتين الصورتين من التقية ، صلى وصام وتصدق ، يقصد بعبادته الثواب أو التخلص من العذاب .

يقول إمام الشِّيعة الكليني في أصوله : إن أكثر الشِّيعة على أن النية غير خالصة وغير مخلِّصة ، فعبادته غير مقبولة .

يقول إمام الشِّيعة :

أ – العبادة خوفًا من العذاب عبادة العبيد .

---

(١) «الكافي» (٢/٢١٨)، «وسائل الشِّيعة» (١٦/٢٠٦)، «بحار الأنوار» (٧٢/٤٢٨) .

(٢) «الكافي» (٢/٢١٨)، «وسائل الشِّيعة» (١٦/٢١٩)، «بحار الأنوار» (١٤/٤٢٦)، «تفسير العياشي» (٢/٣٢٣) .

(٣) انظر : «الكافي» (٢/٢١٧)، «وسائل الشِّيعة» (١٦/٢٠٣)، «بحار الأنوار» (٧٢/٣٩٧-٣٩٨) .

(٤) انظر : «الكافي» (٢/٢١٩)، «وسائل الشِّيعة» (١٦/٢١٩)، «بحار الأنوار» (٧٢/٤٣١) .

(٥) وهو ما يتفق وقوله سبحانه : ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾ آل عمران: ٢٨ كالتقية عند الاضطرار، ولكن في كل الأحوال فإن مرادهم باطل، لأنهم يرون أن الحق ما أخفوه، وأن الباطل ما أظهروه .

ب - والعبادة طمعًا في الأجر عبادة الأجير.

ج - والعبادة طوعًا للأمر وحبًّا لله، هي عبادة الأحرار[١].

فكيف يكون حال إمام معصوم يأتي تقية بعبادة عند سلطان جائر وهمًا في خوفه، أو طمعًا في رضاه، أو سعيًا لإرضاء هوى باطل؟

أو كيف يكون أدب إمام له دين، يفتري على الله حكمًا أو على نبيه حديثًا يتعمد الكذب، ويزعم فيه التقية وهو واهم في خوفه، وضالٌّ ينافق في تظاهره بالوفاق للعامة؟

ثم كيف تنسب التقية إلى الباقر وفي طوماره: ولا تخش إلا الله، والله يعصمك من الناس[٢]؟

نحن أهلَ السنة والجماعة، نبرئ كل مؤمن له أدب من أن يتدرك إلى مثل هذا الدرك الأسفل من الأدب!

* * *

(١) انظر: «الكافي» (٢/٨٤)، «علل الشرائع» (١/١٣)، «وسائل الشّيعة» (١/٦٢)، «بحار الأنوار» (٨/٢٠٠).

(٢) انظر: «الكافي» (١/٢٨٠)، «بحار الأنوار» (٣٦/٢١٠).

بعض دَعَاوى الأئمة في كتب الشِّيعة

للأئمة على ما ترويه أمهات كتب الشِّيعة ، كلمات ثقلت في السماوات والأرض ، ولهم دعاوى عريضة تخترق السماوات إلى العرش .

وإليكم أمثلة قليلة من تلك الدعاوى الكثيرة التي لم تكن تنبغي لنبي ، ولم تكن أصلا من النبي الكريم محمد صلى الله عليه وعلى آله وأمته وسلم .

(١) قال الصادق : « كنا عند الله ربنا ليس عنده أحد سوانا ، ما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا ، ثم بدا له في خلق السماوات وخلق الأرض ، فخلق ونحن معه »[١] في الباب (١٠٧) من « الوافي » .

(٢) كان الصادق يقول : « إن الله خلق أرواحنا من نور عظمته ، ثم خلق أبداننا من طينة مكنونة تحت العرش ، فنحن خلق نورانيون ، لم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيبا ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا ، وخلق أبدان الشِّيعة من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ، ولم يجعل لأحد في مثل الذي خلق الشِّيعة منه نصيبا إلا للأنبياء ، ولذلك صرنا نحن والشِّيعة : هم الناس ، وصار سائر الناس همجًا : للنار وإلى النار »[٢] الباب (١٠٨) من « الوافي » .

(٣) عن الصادق : « إن الله خلق أبداننا من عليين ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك من عالم الجبروت ، وخلق أرواح شيعتنا من عليين ، وخلق أجساد شيعتنا من دون ذلك ، فمن أجل تلك القرابة - قرابة أجساد الأئمة وأرواح الشِّيعة - قلوب الشِّيعة تحنُّ إلينا »[٣] .

أرى أن الشِّيعة لا تحسن الوضع ، تضع أخبارًا لا تناسب شرف الأئمة ، ولا تستفاد

---

(١) انظر: «الكافي» (٤٤١/١)، «بحار الأنوار» (٢٤/١٥) .

(٢) «الكافي» (٣٨٩/١)، «بحار الأنوار» (٤٥/٥٨) .

(٣) «الكافي» (٣٨٩/١)، «بحار الأنوار» (٢٤٩/٥)، «بصائر الدرجات» (ص٣٤)، وانظر تفصيل عقيدة الطينة في: «أصول مذهب الشِّيعة» (٥٩٧/٢).

منها حكمة أدبية، أو فائدة اجتماعية. وأساطير الأمم اليونانية والهندية وغيرها لا تخلو من حكمة أدبية، وقد تكون جليلة مفيدة في الغاية، أما موضوعات الشِّيعة فليس لها من ثمرة إلا العداء وإلا اللعن على القرن الأول، وعلى كل أمة محمد ﷺ في جميع العصور.

(٤) الصادق سأله رجل عن قول الله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فقال: « منذ أنزل الله ذلك الروح على محمد ما عاد إلى السماء، وإنه لفينا »[١]، ولم يكن مع أحد من الأنبياء، الروح خلق أعظم من جبريل ومن ميكائيل، كان مع النبي ﷺ وبقي مع الأئمة.

(٥) كان الصادق يقول: « إني أعلم ما في الجنة وما في النار، وأعلم كل ما كان وكل ما يكون، ولو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبأتهما بما ليس لهما »[٢].

(٦) قال الباقر: « اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفًا، كان لصاحب سليمان الذي عنده علم من الكتاب حرف واحد منها، تكلم به فأتى بعرش الملكة قبل أن يرتد إلى سليمان طَرْفُه، ونحن عندنا منها اثنان وسبعون حرفًا، وحرف عند الله استأثر به الله في عالم الغيب عنده »[٣] (الوافي ٢/١٧٢).

يقول الباقر والصادق: « عيسى أعطي منها حرفين كان يعمل بهما يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه، وموسى أعطي أربعة، وإبراهيم أعطي ثمانية، ونوح أعطي خمسة عشر، وآدم خمسة وعشرين، وجمع كله لمحمد أربعة وخمسون، ثم زيد له ثمانية عشر، واسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفًا أعطي محمد اثنين وسبعين وحجب عنه واحد، لا ينقص علم

---

(١) «الكافي» (١/٢٧٣)، «بحار الأنوار» (١٨/٢٦٥)، (٢٥/٦١)، «مجمع البيان» للطبرسي (٩/٦٤)، «التفسير الصافي» (٤/٣٨١-٣٨٢).

(٢) انظر: «الكافي» (١/٢٦١)، «بحار الأنوار» (١٣/٣٠٠-٣٠١)، «بصائر الدرجات» (ص٢٥٠).

(٣) انظر: «الكافي» (١/٢٣٠)، «بحار الأنوار» (٤/٢١٠)، «بصائر الدرجات» (ص٢٢٨).

النبي وعلم الإمام من علم الله إلا بحرف واحد »[١] .

(٧) « ليس يخرج شيء من عند الله إلا ويبدأ برسول الله ، ثم بأمير المؤمنين علي ، ثم بواحد واحد من الأئمة ، لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا »[٢] ، فالأئمة يعلمون كل العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والمرسلين .

(٨) « أهل البيت ورثوا ما للنبي وما لجميع الأنبياء ، عندهم علم جميع الكتب ، وعندهم علم جميع الحوادث : ما يحدث بالليل والنهار يوما بيوم وساعة بساعة ، وعندهم صحف جميع الأنبياء »[٣] (الوافي ١٢٩/٢).

(٩) « العلم يتوارث ، ما نزل من السماء فلن يرفع أبدًا ، إن عليًّا كان عالما ، ولن يهلك عالم إلا بقي بعده من يعلم علمه وما شاء الله ، إن في علي سنة ألف نبي ، جمع الله لمحمد سنن من تقدم من الأنبياء ، وإن محمدًا جعل كل ذلك عند أمير المؤمنين »[٤] .

(١٠) علي وأولاده هم شجرة النبوة ، بيت الرحمة ، مفاتيح الحكمة ، معدن العلم ، موضع الرسالة ، مختلف الملائكة ، موضع سر الله ، هم وديعة الله في عباده ، هم حرم الله الأكبر، هم ذمة الله ، هم عهد الله ، عهدهم عهد الله ، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومن خفر بنا فقد خفر بذمة الله وعهده[٥] .

(١١) علي في كل شؤونه مثل النبي ﷺ ، ما آتاكم علي فخذوه ، وما نهاكم عنه علي فانتهوا ، من تعقب على عليٍّ في شيء مثل من تعقب على الله وعلى رسوله ،

(١) انظر: «الكافي» (٢٣٠/١)، «بحار الأنوار» (٢١١/٤)، «بصائر الدرجات» (ص٢٢٨) .

(٢) انظر: «الكافي» (٢٥٥/١)، «الاختصاص» (ص٣١٣) .

(٣) انظر: «الكافي» (٢٢٥/١)، «بحار الأنوار» (١٣٢/١٧)، «بصائر الدرجات» (ص١٥٥) .

(٤) انظر: «الكافي» (٢٢٢/١)، «بحار الأنوار» (١٦٩/٢٦) .

(٥) انظر: «الكافي» (٢٢١/١)، «بحار الأنوار» (٢٤٥/٢٦)، «بصائر الدرجات» (ص٧٧) .

ومن ردَّ على عليٍّ في صغيرة أو كبيرة يكون على حد الشرك بالله[1]، ومثل عليٍّ سائر الأئمة[2].

---

(١) انظر: «الكافي» (٦٧/١) (٤١٢/٧)، «بحار الأنوار» (١٢٩/٣٨)، «بصائر الدرجات» (ص٢١٩).

(٢) ورافضة عصرنا ألحقوا مراجعهم بسائر الأئمة في هذه المنزلة، فالراد عليهم رادٌّ على الله، يقول المظفر: «عقيدتنا في المجتهد أنه نائب الإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق ... والرادُّ عليه رادٌّ على الإمام، والرادُّ على الإمام رادٌّ على الله تعالى، وهو على حدِّ الشرك بالله تعالى» (عقائد الإمامية ص٣٤).

ثم تطور هذا المعتقد على يد الخمينية حين أعطت لمراجعهم حق الولاية الكاملة عن مهديهم (انظر: أصول مذهب الشِّيعة ٣/٢٣٢ وما بعدها) ولم يدرك الشيخ موسى جار الله تطبيق هذا المبدأ، وقد شهدنا في عصرنا تبني الخمينية له وتطبيقه لأول مرة في تاريخ طائفتهم حيث أحلوا مراجعهم محل الأئمة المعصومين، ولذلك أطلقوا لقب «الإمام» على «الولي الفقيه» وهو لقب له دلالته في العقيدة الشيعية.

وقبل ذلك وبعده جعلوا من قبور أئمتهم أوثانًا تعبد من دون الله، وبلغ من غلوهم أن قالوا: إن الله جل وعلا يزور قبر الحسين - تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا (انظر: كامل الزيارات ص٢٢٢ وسائل الشِّيعة ٤٨٠/١٤، بحار الأنوار ٦٠/٩٨)، وقد عقدت أمهات كتبهم أبوابا في المزارات والمشاهد، ضمنتها المئات من الروايات والتي تجسد الشرك وترسي قواعده، ففي «البحار» للمجلسي استغرق ما أسماه بكتاب المزار ثلاثة مجلدات، وفي كتاب «وسائل الشِّيعة» للحر العاملي بلغت أبواب المزار مئة وستة أبواب، وفي كتاب «الوافي» بلغت أبواب المزارات والمشاهد ثلاثة وثلاثين بابا، ومثل هذه الأبواب في بقية كتبهم المعتمدة في التلقي، مثل «من لا يحضره الفقيه» للقمي، و«تهذيب الأحكام» للطوسي، كما ألفوا في الزيارات ومناسكها كتبا مستقلة مثل «مناسك الزيارات» للمفيد، حيث جعلوا قبور الأئمة يحج إليها كما يحج إلى بيت الله العتيق، بل جعلوا زيارتها أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام مئات المرات. فقد جاء في «الوافي»: الصلاة في حرم الحسين لك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل (الوافي ٢/ج٢٢٣/٨) كما قالوا: بأن كربلاءآ والتي هي موضع قبر الحسين بزعمهم أفضل من الكعبة، بل إن الكعبة ليست حسب اعتقادهم سوى ذنب ذليل ومهين لأرض كربلاء. بل زعموا أن الله قال للكعبة لما افتخرت على كربلاء: لولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمه أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري واستقري، وكوني ذنبا متواضعا ذليلا مهينا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت وهويت بك في نار جهنم (البحار ١٠٧/١٠١).

وقد تغنى مرجعهم المعاصر محمد حسين كاشف الغطا بلا حياء ولا خجل بهذه الأسطورة، فقال:

ومن حديث كربلا والكعبة ... لكربلا بان علو الرتبة

ولذا فقد انتشر الشرك في بلاد الشِّيعة بلا نكير، لأن مصادرهم في التلقي والتي انفصلوا بها عن عموم المسلمين تؤيد هذا الشرك وترسي قواعده، مما يتعذر معه أي إصلاح ما لم يتبرؤوا من هذه المصادر، ويكسروا هذه الأصنام، كما دعاهم إلى ذلك الإمام الإيراني البرقعي في كتابه «كسر الصنم».

(١٢) علي مثل النبي ﷺ، كلفه الله بمثل ما كلف به نبيه في التبليغ والهداية، بيده مفتاح الجنة والنار، لا يدخلهما داخل إلا على حد قسمه، هو الفاروق الأكبر، وهو المؤدي عن كل من تقدم، لا يتقدمه أحد إلا أحمد، هو والنبي لعلى سبيل واحد، ولقد أعطي عليّ الست : علم المنايا، والبلايا، والوصايا، وفصل الخطاب، هو صاحب الكرات، هو صاحب دولة الدول، هو صاحب العصا، وصاحب الميسم، وهو الدابة التي تكلم الناس (الوافي٢/١٢٣) [١].

(١٣) ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ : ١] كان علي يقول : « ما لله من آية هي أكبر مني، ولا من نبأ هو أعظم مني، أنا النبأ العظيم » [٢].

(١٤) كان الصادق يقول : « ولايتنا ولاية الله، التي لم يبعث نبي قط إلا بها، وما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وتفضيلنا على من سوانا » [٣]، « جميع ملائكة السماوات

= ولذا قال العالم الإيراني أحمد الكسروي – والذي كان أستاذا في جامعة طهران وتولى رئاسة المحاكم في عدة مدن إيرانية – قال: «ومما يرى من لجاج الشِّيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عاما، وجرت في تلك المدة مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين، وانتشرت رسالات وطبعت كتب وظهر جليا أن ليس زيارة القبب والتوسل بالموتى ونذر النذور للقبور وأمثالها إلا الشرك، ولا فرق بين هذه وبين عبادة الأوثان التي كانت جارية بين المشركين من العرب، فقام الإسلام يجادلها ويبغي قلع جذورها، يبين ذلك آيات كثيرة من القرآن، فأثرت الوهابية في سائر طوائف المسلمين غير الروافض أو الشِّيعة الإمامية، فإن هؤلاء لم يكترثوا بما كان، ولم يعنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى عناية، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين» (التشيع والشِّيعة ص٨٩) كما يقول: «إنهم – يعني الشِّيعة الإمامية – يدافعون عن شركهم بقولهم: إنا لا نعتقد الأئمة آلهة ولا نزورهم لنعبدهم، بل نعتقدهم مقربين عند الله ونزورهم لكي نستشفعهم في حاجاتنا» . ثم يرد عليهم بقوله: « ولكن حجتهم داحضة، فإن الله لا حاجة للاستشفاع عنده وليس الله تبارك وتعالى كأحد من ملوك الأرض حتى يستشفع أحد عنده، ثم إن هذا عين جواب المشركين في قولهم كما حكى الله عنهم : ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]» انظر: «المصدر السابق» (ص٨٩) .

(١) انظر: «بصائر الدرجات» (ص٢١٩)، «الكافي» (١/١٩٦-١٧٩)، «بحار الأنوار» (٢٥/٣٥٢) .

(٢) انظر: «الكافي» (١/٢٠٧) .

(٣) انظر: «بصائر الدرجات» (ص٩٥)، «الكافي» (١/٤٣٧)، «بحار الأنوار» (٢٦/٢٨٢) .

يدينون بولايتنا »[١] ، « ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولم يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد ووصيه علي »[٢] .

(١٥) كان علي يقول : « علمني رسول الله ألف باب من العلم ، يفتح كل باب ألف باب ، خصني النبي من مكنون سره »[٣] (الباب ١١٧ من الوافي ١٨٩/٣) .

« حدثني فلان : أن النبي حدث عليا يوم توفي بألف باب ، يفتح كل باب ألف باب ، فذلك ألف ألف باب ، فقلت : هل ظهر ذلك لشيعتكم ومواليكم ؟ فقال : ظهر باب أو بابان ، فقلت : ما يروى من علمكم وفضلكم من ألف ألف باب إلا باب ؟ فقال : ما عسيتم أن تروا من فضلنا ! لا ترون من فضلنا إلا ألفا غير معطوفة »[٤] (الألف في الخط الكوفي تكتب بالعطف من طرفها التحتاني).

(١٦) أوصى النبي ﷺ إلى علي بألف كلمة وألف باب ، يفتح كل كلمة وكل باب ألف كلمة وألف باب ، واستحفظ الاسم الأكبر ، وكل آثار النبوة ، والاسم الأكبر هو كتاب الله الذي كتبه الرحمن بيده ، يحتوي على كل ما في العالم ، ويجمع عليٌّ كل العلوم ، الاسم الأكبر هو العالم الأكبر[٥] ، على حد قول الصوفية : « وفيك انطوى العالم الأكبر »[٦] .

وقلوب الأئمة الصافية المصيقلة بنور الله ينتقش فيها كل ما في اللوح المحفوظ ، والاستحفاظ هو هذا الانتقاش وهذا الانعكاس ، فقلب الإمام صار عقلا بالفعل ، بلغ رتبة الشهود التام ، فالإمام يعاين كل ما في الوجود معاينته كل ما في البيت .

---

(١) انظر: «بصائر الدرجات» (ص٨٧)، «الكافي» (٤٣٧/١)، «بحار الأنوار» (٣٤٠/٢٦) .

(٢) انظر: «بصائر الدرجات» (ص٩٢)، «الكافي» (٤٣٧/١)، «بحار الأنوار» (٢٨٠/٢٦) .

(٣) انظر: «نوادر المعجزات» لابن جرير الطبري الشيعي (ص١٣١)، «بحار الأنوار» (٣٠٨/٤٦) .

(٤) «الكافي» (٢٩٧/١)، «الفصول المهمة» (٥٥٨/١) .

(٥) انظر: «الكافي» (٢٩٦/١)، «الفصول المهمة» (٥٦٧/١-٥٦٨)، «بحار الأنوار» (٢٤٩/٢٣) .

(٦) هذا عجز بيت منسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصدره :
وتحسب أنك جِرم صغير
انظر: «ديوان الإمام علي» (ص٤٥) جمع وترتيب عبد العزيز الكرم .

(١٧) يقول الإمام : عندنا علم التوراة وعلم الأناجيل وعلم الزبور وتبيان كل ما في الألواح ، وكل إمام يعرف كل كتاب على اختلاف الألسنة [١] .

تقول كتب الشِّيعة : قد دلت الأخبار على أن النبي كان يعلم علم ما كان وما يكون، وجميع الشرائع والأحكام ، وأن النبي قد علَّم جميع ذلك أمير المؤمنين عليًّا ، وعليٌّ علم أولاده ، ثم بعد ذلك كله لكل إمام ترقيات في العلوم في كل يوم وكل ساعة ، وليس لعلم إمام نهاية وغاية [٢] (الوافي ١٦٩/٢).

(١٨) جميع علوم جميع الأنبياء جمعها الله في نبيه محمد ، ومحمد جمعها في وصيه علي ، علي أعلم من جميع الأنبياء[٣] .

(١٩) « الكافي » (٧٩/٢) عن الصادق : « كان في ذؤابة سيف رسول الله صحيفة صغيرة، فقلت : أي شيء كان في تلك الصحيفة ؟ قال : هي الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف، أخرج منها حرفان فقط إلى هذه الساعة » [٤] .

(٢٠) عصا موسى وصلت بوسائط الأنبياء إلى أهل البيت ، هي عند الباقر ، ألواح موسى عندهم ، وهم ورثة الأنبياء [٥] ، وحجر موسى يكون بيد القائم ، به طعام جيشه وشرابه ، وبه جميع ما يحتاج إليه جيشه [٦].

---

(١) انظر: «الكافي» (٢٢٥/١)، «بحار الأنوار» (١٨٧/٢٦) .

(٢) انظر: «الكافي» (٢٦٣/١) وما بعدها، باب أن الله عز وجل لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين وأنه كان شريكه في العلم .

(٣) وعقد شيخ الدولة الصفوية المجلسي أبوابًا في ذلك، منها باب أنهم أعلم من الأنبياء عليهم السلام، وذكر فيه ثلاثة عشر حديثا من أحاديثهم المنسوبة للأئمة، وباب تفضيلهم على الأنبياء وعلى جميع الخلق .... وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم، وذكر فيه ٨٨ حديثا من أحاديثهم، وغيرها من الأبواب (بحار الأنوار ٢٦٧/٢٦-٣١٩). انظر التفصيل في: «مسألة التقريب» (٢٩/١) وما بعدها، «أصول مذهب الشِّيعة» (٢٢٠/٢) وما بعدها .

(٤) «الكافي» (٢٩٦/١)، «بحار الأنوار» (١٣٣/٤٠) .

(٥) انظر: «بصائر الدرجات» (ص٢٠٣)،«الكافي» (٢٣١/١)، «بحار الأنوار» (٢١٨/٢٦) .

(٦) انظر: «بصائر الدرجات» (ص٢٠٨)، «الكافي» (٢٣١/١)، «الغيبة» للنعماني (ص٢٤٤)، «بحار الأنوار» (١٨٥/١٣) .

(٢١) قال الصادق : كل ما كان عند الأنبياء فقد انتهى إلى آل محمد ، عندي سيف رسول الله ، ورايته ودرعه ولامته ، وعندي مغفره ، وعندي ألواح موسى وعصاه ، وعندي خاتم سليمان ، وعندي الطست الذي كان موسى يقرب به القربان ، وإن عندي الاسم الذي كان النبي إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين شيء ، وإن عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة ، ومثل السلاح عندنا مثل التابوت عند بني إسرائيل ، من صار إليه السلاح منا أوتي الإمامة [1].

(٢٢) الجفر الأبيض والجفر الأحمر : قلت للصادق : إن شيعتك يتحدثون أن النبي علّم عليا بابا يفتح له منه ألف باب ؟ قال : النبي علّم عليا ألف باب ، يفتح من كل باب ألف باب ، فقلت : هذا والله العلم ، قال : إنه لعلم ، وما هو بذاك ، ثم قال : وعندنا الجفر ، قلت : وما الجفر ؟ قال : وعاء من أدم فيه علم الأنبياء والمرسلين ، وكل الأوصياء وعلوم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ، فيه زبور داود ، وتوراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وصحف إبراهيم ، وكل حلال وكل حرام. قال : وعندي الجفر الأحمر ، قلت : وأي شيء فيه ؟ قال : السلاح ، ولا يفتح إلا للدم ، يفتحه صاحب السيف. قلت : هذا والله العلم ! قال : إنه لعلم وليس بذاك[2] .

(٢٣) الجامعة : ثم قال : وإن عندنا الجامعة ، قلت : وما هي الجامعة ؟ قال : صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع النبي ، بإملائه من فيه ، وخط علي بيمينه ، فيها كل حلال وحرام ، وكل شيء يحتاج إليه الناس ، قلت : هذا والله العلم! قال : إنه لعلم ، وليس بذاك ![3] .

(٢٤) وإن عندنا لمصحف فاطمة ، هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، مكثت فاطمة بعد النبي ﷺ خمسًا وسبعين يومًا صبت

---

(١) انظر : «بصائر الدرجات» (ص١٩٥)، «الكافي» (٢٣٣/١)، «الاحتجاج» للطبرسي (١٣٣/٢)، «بحار الأنوار» (٢٠١/٢٦-٢٠٢) .

(٢) انظر : «الكافي» (٢٣٩/١) .

(٣) انظر: «بصائر الدرجات» (ص١٦٣)، «الكافي» (٢٣٩/١)، «وسائل الشّيعة» (٣٥٦/٢٩)، «الفصول المهمة» (٤٨٥/١)، «بحار الأنوار» (٢٢/٢٦) .

عليها مصائب من الحزن لا يعلمها إلا الله ، فأرسل الله إليها جبريل يسليها ويعزيها ويحدثها ، ويخبرها عن أبيها وبما يكون بعدها في ذريتها ، وكان عليٌّ يستمع ويكتب كل ما سمع ، حتى جاء منه مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ، ليس فيه شيء من حلال ومن حرام ، ولكن فيه علم ما يكون ، قلت : هذا والله العلم! قال : إنه لعلم ، وما هو بذاك (١) ، قلت : فأي شيء العلم ؟ قال : ما يحدث بالليل والنهار ، والأمر بعد الأمر ، والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة .

(٢٥) كيف يكون الإمام ؟ وأي شيء يكون بيد الإمام ؟

الإمام يستوي عليه درع النبي ﷺ ، يكون عنده سلاح النبي ، يكون عنده سيف النبي ذو الفقار ، يكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة ، وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة ، يكون عنده الجامعة ، والجامعة صحيفة طولها سبعون ذراعا فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ، يكون عنده الجفر الأكبر ، ويكون عنده الجفر الأصغر ، إهاب ماعز ، وإهاب كبش ، فيها جميع العلوم ، ويكون عنده مصحف فاطمة (٢) .

(٢٦) الجفر في صاحب الزمان : قال الصادق : نظرت صبيحة هذا اليوم في كتاب الجفر - وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا ، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة - الذي خص الله به محمدًا والأئمة من بعده ، وتأملت فيه مولد غائبنا وغيبته وإبطائه وطول عمره ، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوبهم ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم التي قال الله تقدس ذكره : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ

---

(١) سقط من نقل الشيخ موسى جار الله لهذا الحديث من أحاديثهم بعد قوله عن مصحف فاطمة : «إنه لعلم وما هو بذاك»، سقط النص التالي: «... ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال: قلت: جعلت فداك هذا والله هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك، قال: قلت : جعلت فداك، فأي شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار...» إلخ . انظر النص بتمامه في: «الكافي» (١/٢٣٨-٢٤٠)، وقد نقلته بنصه في: «مسألة التقريب» (١/٢٥٨-٢٥٩) .

(٢) انظر: «الخصال» للصدوق (ص٥٢٨)، «الاحتجاج» للطبرسي (٢/٢٣١)، «بحار الأنوار» (٢٥/١١٧) .

أَلْزَمْنَهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء : ١٣] يعني الولاية ، قلنا : يا ابن رسول الله ، كرمنا وشرفنا ببعض ما أنت تعرفه من علم ذلك ؟ فقال : إن الله جعل في القائم منا سننا من سنن أنبيائه :

١ - سنة من نوح : طول العمر .

٢ - سنة من إبراهيم : خفاء الولادة ، واعتزال الناس .

٣ - سنة من موسى : الخوف والغيبة ، وقدر غيبته قدر غيبة عيسى .

٤ - سنة من عيسى : اختلاف الناس فيه .

٥ - سنة من أيوب : الفرج بعد البلوى .

٦ - سنة من محمد : الخروج بالسيف ، يهتدي بهداه ويسير بسيرته ، وقدر غيبته تقدير غيبة عيسى ، وقدر إبطائه بإبطاء نوح ، وجعل بعد ذلك عمر الخضر دليلا على عمره [١] .

(٢٧) الأئمة كانوا ينظرون في الجفر : « عن أبي الحسن موسى بن جعفر أن ابني عليًّا (هو الرضا أبو الحسن الثاني) أكبر أولادي ، وأبرهم عندي ، وأحبهم إلي ، وهو ينظر معي في الجفر ، ولم ينظر فيه إلا نبي أو وصي نبي » [٢] (الوافي ٢/٨٦).

(٢٨) كتاب علي في الوصايا : الوصايا كتبها علي ، واستودعها حين سار إلى الكوفة أم المؤمنين السيدة أم سلمة ، فلما رجع الحسن دفعتها إليه [٣] (الوافي ٢/٨٠) .

وما في الوصايا على حسب بيان كتب الشِّيعة ، أشياء يعلمها كل أحد بأحسن مما في كتب الشِّيعة .

---

(١) انظر: «كمال الدين وتمام النعمة» للصدوق (ص٣٥٣) وما بعدها، «الغيبة» للطوسي (ص١٦٩)، «بحار الأنوار» (٥١/٢٢٠)، وانظر في نقد مسألة المهدية والغيبة عندهم: «أصول مذهب الشِّيعة الإمامية» (٢/٤٥٣) وما بعدها .

(٢) انظر: «الكافي» (١/٣١١-٣١٢)، «بحار الأنوار» (٤٩/٢٤)، «الإرشاد» للمفيد (٢/٢٤٩-٢٥٠)، «الغيبة» للطوسي (ص٣٦) .

(٣) انظر: «الكافي» (١/٢٩٨) .

(٢٩) طومار الوصية : عن الصادق : « طامور الوصية الذي كتب فيه وصية الله ووصية رسوله نزل على محمد قبل وفاته كتابًا مكتوبًا بخط إلهي مشاهد ، لم ينزل على محمد كتاب مختوم إلا طومار الوصية ، وعلى الكتاب خواتيم من ذهب ، دفعه النبي إلى علي ، عليّ فتح الخاتم الأول ومضى لما فيها ، ثم الحسن فتح الخاتم الثاني ، ومضى على ما أمر به ، فلما توفي الحسن ، فتح الحسين الخاتم الثالث ، فوجد فيها : إن قاتل فاقتل ، وتقتل ، واخرج بأقوام للشهادة لا شهادة لهم إلا معك ، والخامس (وهو محمد بن علي الباقر) فتح الخاتم الخامس ، فوجد فيها : فَسِّرْ كتاب الله ، واصدق أباك ، وورث ابنك ، واصطنع الأمة ، وقم بحق الله ، قل الحق في الخوف والأمن ، ولا تخش إلا الله ، والله يعصمك »[١] (الكافي والوافي) .

(٣٠) الإمام له معراج في كل أسبوع : يقول الصادق : « إن لنا في كل ليلةِ جمعة سرورًا ، قلت : زادك الله ، وما ذاك ؟ قال : للإمام في كل ليلة من ليالي الجمعة عروج إلى عرش الله ، يجتمع فيه مع النبي ومع جميع الأنبياء والأوصياء ، فتصبح الأنبياء وقد ملئوا سرورًا ، ويصبح الإمام الوصي وقد زيد في علمه الجم الغفير »[٢] .

(٣١) ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن ٢٦ - ٢٧] ، والمرتضى من الرسول هو علي المرتضى ، يقول الله ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ ﴾ يدي عليّ ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ ليعلم النبي أن قد أبلغ رسالات ربه ، وأحاط عليّ بما لدى النبي من العلم ، وأحصى عليٌّ كل شيء كان ، وكل شيء يكون عددًا ، منذ آدم إلى يوم القيامة ، في قلب علي العلم ، ومن خلفه الرصد ، يعلمه علمه ويعلمه الله العلم إلهام ، والرصد هو التعلم من النبي[٣] .

(٣٢) الإمام لا يعلم الغيب ، وإذا شاء الإمام أن يعلم أعلمه الله ، والإمام يعلم متى يموت ، ولا يموت الإمام إلا باختياره ، وعلي كان يعلم ساعة موته ، وكان يعلم قاتله ، ومع

(١) «الكافي» (١/٢٧٩-٢٨٠)، «الغيبة» للنعماني (ص٦٠)، «بحار الأنوار» (٣٦/٢١٠) .

(٢) «بصائر الدرجات» (ص١٥٠)، «الكافي» (١/٢٥٤)، «بحار الأنوار» (١٧/١٥١،١٣٦) .

(٣) انظر: «بحار الأنوار» (٣٦/٩٠)، «تفسير القمي» (٢/٣٩٠) .

ذلك خرج إلى الصلاة ، وقد قال لما سمع صياح الإوز في الدار : « صوائح تتبعها نوائح » (١) ولم يدافع عن نفسه ، وكان أقوى وأقدر من قاتله ، وهل كان هذا من باب إلقاء النفس إلى التهلكة ؟ فيكون فيما اشتهر : « إن حفظ النفس واجب عقلا وشرعا » فيه شيء .

(٣٣) الإمام يعلم جميع أحوال جميع الناس ، وكانوا يقولون : « لو وجدنا أوعية أو مستراحًا لقلنا » (٢) ، « ولو كان لألسنة الناس أوكية لأخبر الإمام كل امرئ بما له وما عليه » (٣) .

(٣٤) الولاية والنبوة مُندرجتان في ربوبية الله ، والله يقول : ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف : ١٧٢] أليس محمد برسولي ؟ أليس علي أمير المؤمنين ؟ يقول للباقر: والولاية ، ولاية علي من ضرورات الربوبية (٤) .

(٣٥) خلق الله محمدًا وعليًّا وفاطمة أول ما خلق ، فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق العالم، وأشهد هؤلاء الثلاثة خلق العالم ، ثم فرض طاعة هؤلاء على العالم ، فوض أمور العالم إلى هؤلاء الثلاثة ، فهم يفعلون ما شاؤوا : يحلون ما شاؤوا ، ويحرمون ما شاؤوا (٥) .

وقول الله في الكتاب : ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف : ٥١] في أهل

(١) انظر: «أصول الكافي» (٢٥٨/١) باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم، وتأمل هذا الأصل عندهم، ثم انظر فيما جاء في « الكافي» نفسه من نصوص تقول بأن المانع لإمامهم المنتظر من الخروج هو خوف القتل، عن أبي عبد الله - عليه السلام - قال: «إن للقائم - عليه السلام - غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولم؟ قال: إنه يخاف - وأومأ بيده إلى بطنه - يعني القتل» (انظر: أصول الكافي ٣٣٧/١، ٣٣٨، ٣٤٠)، وهو ما قرره شيخ الطائفة عندهم الطوسي حينما قال: «ولا علة تمنع من ظهوره سوى خوف القتل» (انظر: الغيبة للطوسي ص١٩٩) ولعلك بعد هذا التأمل والنظر تدرك التناقض بينهما، فإذا كان الإمام يعلم متى يموت ولا يموت إلا باختيار منه، فلماذا يخاف من القتل؟! ولماذا يختفي؟!

(٢) انظر: «الكافي» (٢٢٩/١) .

(٣) انظر: «المحاسن» للبرقي (٢٥٨/١)، «الكافي» (٢٦٤/١)، «الغيبة» للنعماني (ص٤٤)، «بحار الأنوار» (٧٥/٢) .

(٤) انظر: «الكافي» (٤١٢/١)، «بحار الأنوار» (٣١١/٣٧) .

(٥) انظر: «الكافي» (٤٤١/١)، «بحار الأنوار» (١٩/١٥)، (٣٤١/٢٥) .

الضلالة فقط ، وبدلالة قوله : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا * مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ [الكهف : ٤٩ - ٥٠] لم يتخذ الله الظالمين عضدًا في خلق السماوات والأرض ، وقد اتخذ هؤلاء الثلاثة عضدًا[١].

(٣٦) أثافي الإسلام ثلاثة : ١ - الصلاة ٢ - الزكاة ٣ - الولاية ، في كل ركن رخصة وبدل لا يوجب تركها كفرًا ، إلا الولاية فلا بدل لها ولا رخصة فيها ، فترك الولاية كفر[٢] .

كل هذه بعض ما للأئمة والشِّيعة من الدعاوى ، نقلتها من « الكافي » و « التهذيب » وكتب « الوافي » ، لا علاقة لها بالعلم والدين ، ولا نسب لها بالنبوة والإمامة .

ومن هذه الدعاوى العريضة حدثت في الإسلام وقرونه أمور ضلت بها الناس :

١ - غلاة من الشِّيعة تدعي الألوهية والربوبية في الأئمة ، وقد حدث منهم طائفة متظاهرة ماكرة زمن الإمام علي ، وظهرت ظهورًا بالمدينة وغيرها زمن الباقر والصادق ،وكانت بالمدينة مجالس للشيعة تتناظر فيها في ربوبية الأئمة ، ثم جماعة من الشِّيعة ،منهم المفضل والقاسم ، وصالح بن سهل ، قد راجعت جعفر بن محمد في ذلك[٣] ، ووجد ناس في سوق المدينة تقول للصادق : « لبيك يا جعفر لبيك »[٤].

وأبو الخطاب محمد بن المقلاص[٥] كان من أخص أصحاب الصادق ، حتى نشر دعوته ، ولعنه الصادق وطرده ، ولم يكن ابن المقلاص إلا ماكرًا يتظاهر بالتشيع[٦] .

---

(١) انظر: «بحار الأنوار» (٣٦٣/٣١) .

(٢) انظر: «الكافي» (١٨/٢) .

(٣) انظر: «الكافي» (٢٣٢/٨) .

(٤) انظر: «الكافي» (٢٢٥/٨)، «بحار الأنوار» (٤٣/٤٧) .

(٥) هو محمد بن مقلاص الأسدي الكوفي، كان يقول : إن الأئمة أنبياء، ثم عدل عنه وكان يقول: إنهم آلهة، وإليه تنسب فرقة «الخطابية» من الشِّيعة الغالية. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (٢١٠/١) ط. دار المعرفة .

(٦) جاء في نصوصهم: «إن أبا الخطاب كذب على أبي عبد الله، لعن الله أبا الخطاب» انظر: «رجال الكشي» (١٩٥/١)، «بحار الأنوار» (٢٥٠/٢)، «معجم الخوئي» (٢٧٦/١٨، ٢٠٨/٢٠) .

وللشيعة في كتبها باب في نفي الربوبية عن الأئمة(١) ، وهل توجد ضرورة أو حاجة إلى عقد مثل هذه الأبواب ؟ !

هذه الدعاوى الفارغة التي ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم : ٩٠] أن دعوا لعالم الغيب والشهادة عضدا إماما لا ينقص علمه من علم عالم الغيب والشهادة إلا بحرف واحد ، عجلٌ له خوار ، قد عبدته اليهود وقيل فيه : ﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٨٨] ثم قالت فيه اليهود ﴿ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٩١] فكيف بإمام مفوض من الله له علم مثل علم الله ، وهو يملك رقاب جميع الناس ، وبيد جده مفاتيح الجنات ومفاتيح كل أبواب جهنم ؟ ! وهل يستبعد بعد كل هذه الدعاوى أن تنبت في عالم الإسلام نبات الكمأة نوابت أغمار تؤله الأئمة ؟ أو يقوم مكّار من الأشرار يدعو الناس إلى تأليه إمام من أئمة الأمة ؟ وكان أبو الخطاب يقول في أول دعوته : إن الأئمة أنبياء ، ثم صار يقول : إن الأئمة آلهة (٢) .

٢ - **حدثت في مذهب الإسلام عقيدة يهودية محضة** : عقيدة البداء لله ، فإذا قال إمام قولا أو أخبر أنه سيكون له قوة وظهور ، ثم لا يقع ما قاله ، أو يقع خلافه ، فكان الإمام يقول : بدا لله في ذلك الأمر ، فأتى بغيره (٣) .

٣ - **ابتدعت في الإسلام تقية النفاق ، أو نسميها نفاق التقية** ، يقول إمام قولا يظهر فيما بعد بطلانه ، أو يأتي بعمل حكم إمام قبله ببطلانه ، أو يجيب في مسألة بجواب غير جوابه الأول ، فإن قيل له في ذلك قال : إنما قلته تقية ، أو إنما فعلته تقية .

وهذه التقية التي وضعت حيلة للتخلص من تبعة دعوى استعملها أئمة الشِّيعة ومجتهدوها أصلا من أصول الفقه في رد كل سنة ثبتت من إمام أو من النبي ﷺ ، إذا خالفت

(١) انظر : «الفصول المهمة» باب إن الله سبحانه إله واحد لا شريك له في الربوبية (١٣٥/١) .

(٢) انظر : «الملل والنحل» (٢١٠/١) .

(٣) انظر باب البداء في : «أصول الكافي» (١٤٦/١) وما بعدها . وانظر الدراسة النقدية لهذه العقيدة في : «مسألة التقريب بين أهل السنة والشِّيعة» (٣٤٤/١)، «أصول مذهب الشِّيعة» (٥٧٩/٢) .

أخبار الشِّيعة أو وافقت أخبار الأمة [١].

٤ - **اخترعت أئمة الشِّيعة حيلة الكتمان**[٢] : كان الإمام يدعي علم كل ما كان وكل ما يكون ، وكان يدعي علم جميع أحوال جميع الناس ، ثم لم يكن يكشف الغطاء عن وجه علومه ، وكان يقول : « لو وجدنا أوعية أو مستراحًا نستريح إليه بإيداع شيء من الأسرار لقلنا » [٣] ، ولم يكن يخبر لأحد عن أحواله ، ويقول : « لو كان لألسنة الناس أوكية لأخبر الإمام لكل امرئ بما له وما عليه » [٤] ، وكانوا يقولون : « كلامنا صعب مستصعب ، لا يحمله[٥] إلا نبي مرسل ، أو ملك مقرب ، أو رجل امتحن الله قلبه للتقوى » [٦] .

ثم استطرد الأئمة والشِّيعة حيلة الكتمان في نشر الأخبار التي لم يكن يرويها إلا الأئمة ، فلم تكن تنتشر مثل هذه الأحاديث إلا بين الشِّيعة ، وكانوا يقولون : إن العلم لم يزل مكتومًا منذ زمن نوح إلى قيام القائم [٧].

ثم درجت الشِّيعة أو دركت بهذه البدع الأربع [٨] إلى إنكار كل ما ترويه أئمة الأمة، فوضعت الشِّيعة على لسان الباقر : « إن كل شيء لم يخرج من عند الأئمة فهو باطل » [٩] ،

---

(١) انظر باب التقية في: «أصول الكافي» (٢/٢١٧-٢٢١)، وانظر الدراسة النقدية لهذه العقيدة في: «مسألة التقريب بين أهل السنة والشِّيعة» (٣٣٠/١) وما بعدها، «أصول مذهب الشِّيعة» (٤٣٥/٢) وما بعدها .

(٢) انظر: باب الكتمان في «أصول الكافي» (٢/٢٢١-٢٢٦) .

(٣) انظر: «الكافي» (٢٢٩/١) .

(٤) انظر: «المحاسن» للبرقي (٢٥٨/١)، «الكافي» (/٢٦٤)، «الغيبة» للنعماني (ص٤٤)، «بحار الأنوار» (٧٥/٢) .

(٥) في المصدر: لا يحتمله .

(٦) انظر: «أصول الكافي» باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب (١/٤٠١-٤٠٢)، «بحار الأنوار» باب أن حديثهم صعب مستصعب (٢/١٨٢-٢١٢) .

(٧) انظر: «أصول الكافي» (٥١/١) .

(٨) أي التي تقدم ذكرها وهي: ادعاء ألوهية الأئمة، وعقيدة البداء، ونفاق التقية، وحيلة الكتمان .

(٩) انظر: «أصول الكافي» باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الأئمة، وأن كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل (٣٩٩/١) .

« ليس عند أحد من الناس حق ولا صواب ، ولا أحد يقضي بقضاء حق إلا ما خرج منا أهل البيت » ، « فوالله ليس الأمر إلا من هاهنا (ويشير إلى بيته أو صدره) »[١] ، « يا سدير ، أريك الصادِّين عن دين الله ؟ فأشار إلى أبي حنيفة ، وسفيان الثوري ، وهم حِلَق في المسجد ، فقال : هؤلاء الصادون عن دين الله ، بلا هدى من الله ، ولا كتاب منير ، إن هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم لأتى الناس إلينا ، ولأخبرناهم عن رسول الله »[٢] .

عن محمد بن مسلم قال : مرَّ بي الباقر والصادق وأنا جالس عند قاض بالمدينة ، فدخلت عليه من الغد ، فقال : ما مجلس رأيتك فيه أمس ؟ وما يؤمنك أن تنزل اللعنة فتعم من في المجلس! قلت للصادق : إني أخالط الناس ، فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون أبا بكر وعمر ، لهم أمانة وصدق ووفاء ، ومن أقوام يتولونكم ليس لهم أثر من أمانة ولا وفاء ولا صدق ، فاستوى الصادق جالسًا فأقبل عليّ كالغضبان ، ثم قال : لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ، ولا عتب لمن دان الله بولاية إمام عادل ، قلت : لا دين لأولئك ؟ ولا عتب ولا ذنب على هؤلاء ؟ قال الصادق : نعم! ألا تسمع لقول الله : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة بولاية إمام عادل من الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة ٢٥٧] كانوا على نور الإسلام ، فلما تولوا كل إمام جائر ليس من الله خرجوا من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر (الكافي ٢/٢٨١)[٣] .

قلت للصادق : أنزل مكة ؟ قال : لا تفعل! أهل مكة يكفرون بالله جهرة ، قلت : أنزل في حرم النبي ﷺ ؟ قال : هم شر منهم! أهل المدينة أخبث من أهل مكة سبعين ضعفًا، عليك بالعراق : الكوفة! أهل الشام شر من أهل الروم ، والمخالف شر من سائر الكفار ، لعنة

---

(١) «أصول الكافي» (١/٣٩٩) .

(٢) «أصول الكافي» (١/٣٩٢-٣٩٣) .

(٣) انظر: «الغيبة» للنعماني (ص١٣٢)، «بحار الأنوار» (٢٣/٣٢٣) .

الله عليهم وعلى أسلافهم (الكافي ٢/ ٣٩٦، التهذيب ٢/١٥)[١].

قلت للصادق : أي من الأمرين أفضل ؟ ١ - العبادة في السر مع الإمام المستتر في دولة الباطل ؟ ٢ - أو العبادة في ظهور الحق ودولته مع الإمام منكم الظاهر ؟ قال : صدقة السر أفضل من صدقة العلانية ، فالعبادة زمن غيبة الإمام في دولة الباطل ، إذا أحسن أعماله ودان بالتقية ، أفضل للسبق وأفضل من كثير من شهداء بدر وشهداء أحد (الكافي٢/٢٤٣)[٢].

فهذه الدعاوى المسرفة ، وهذه البدع الأربع المتلفة ، ثم كل هذه التقولات على الله وعلى الأمة قد كانت أو وضعت على ألسنة الأئمة ، فأحدثت في قلوب الشِّيعة عداوة عادية لا أمل لزوالها ، ولا دواء لأدوائها إلا أن تتبرأ الشِّيعة الإمامية منها كلها تبريًّا يربط قلوبها على احترام القرن الأول ، كادعائها احترام الأئمة من بيت علي وأولاده .

وولايتنا نحن أهلَ السنة والجماعة لأهل البيت وللأئمة حبًّا واحترامًا واتباعًا أصدق وأشد وأقوى وأقوم من ولاية الشِّيعة الإمامية لأهل البيت ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٨].

وكل ما قدمت نقله من الدعاوى :

١ - مصحف السيدة فاطمة على أبيها وعليها الصلاة والسلام .

٢ - مصحف علي الذي غاب بيد الإمام الغائب المنتظر .

٣ - طوامير الوصايا .

٤ - صحيفة الفرائض .

٥ - صحيفة في ذؤابة سيف النبي ﷺ.

---

(١) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٤٤٣/١٤)، «بحار الأنوار» (٨٣/٩٦) .

(٢) انظر: «وسائل الشِّيعة» باب استحباب العبادة في السر... (٧٧/١) .

٦ - الجفر الأبيض والجفر الأحمر، والجفر الأكبر والأصغر.

٧ - الجامعة.

٨ - ألف حرف وألف باب، يفتح كل حرف وكل باب ألف حرف وألف باب.

فإن الإسلام وكتابه أرفع وأغنى من كل هذه الدعاوى، وشرف الإمام ووقاره أعلى وأحكم وأعقل من أن يدعي ويتظاهر بمثل هذه الدعاوى، والإمام لم يكن يتعدى حدود أدب النبي ﷺ، ولم يكن ليعرض ويغفل عن هدى الله في كتابه، والله في كتابه الكريم يقول: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥]، ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥].

ومن ينظر في الجفر ويتيه في جداول الأحرف فهو معرض تائه، واهم متوهم.

فهذه الدعاوى التي نقلتها أمهات كتب الشّيعة، ثبتت أو لم تثبت، فإن أكثرها يحطُّ من شأن الإمام حطًّا، وليس فيها من شرف وفضيلة لإمام أصلا، فإن العالِم لا يدعي، والإمام لا يتزيد، وأدب النبي أن يتواضع ويستزيد: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه ١١٤]، والملك المقرب ذكره وأدبه أن يقول ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] فإن كان ثبت البعض من البعض فلا يكون إلا من نزع عرق إلى أم قيصرية أو جدة كسروية[1]، لا أثرًا ولا إرثًا من بيت النبوة، فإن الدعاوى إن ثبتت فقد أتت بواسطة شهربانو من يزدجرد[2]، لا من محمد بواسطة السيدة فاطمة عليها وعلى أبيها الصلاة والسلام.

***

(١) بل من وضع المجوسية الفارسية، واليهودية التلمودية على الأئمة، والأئمة المشهود لهم بالإيمان والفضل براء من هذه الدعاوى والأساطير.

(٢) هي الأميرة شهربانو بنت يزدجرد آخر ملوك الفرس، أُسِرت في معارك فتح بلاد الفرس في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأعطاها للحسين بن علي رضي الله عنهما، فولدت له علي بن الحسين السجَّاد، واختلف في اسمها، فقيل: سلافة: وقيل سلامة، وقيل: غزالة (انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٦٧/٣، البداية والنهاية لابن كثير ١٢٢/٩، انظر ايضاً: الكافي ٤٦٦/١-٤٦٧).

البَدَاء لله في عقيدة الشّيعة

البَدَاء كلمة قرآنية نزلت في آيات عديدة ، ومعنى الكلمة واحد في كل الآيات معلوم من اللغة ومن سياق القرآن الكريم .

بَدا بدوًّا ، وبَدا بَداء : ظهر بعد أن كان مخفيًّا مَسْتُورًا . يقول القرآن الكريم : ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا ﴾[الأعراف : ٢٠] ليظهر لهما ما كان مَسْتُورًا عنهما .

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ﴾[الأعراف : ٢٧] كانت مَسْتُورة باللباس وظهرت بعد النزع .

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ﴾[الزمر : ٤٧- ٤٨]

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف : ٣٥] .

كل هذه ظهور شيء لم يكن معلومًا لهم من قبل .

﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨]

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٨٤]

﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٩].

فالإبداء في هذه الآيات الكريمة مقابل للإخفاء ، ولا يكون بداء إلا بعد خفاء .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ ﴾ [المائدة : ١٠١] يظهر بالبيان ما كان يجهله الإنسان.

فالبَدَاء : هو ظهور شيء كان مجهولا ، أما الضلال : فزوال شيء كان يزعمه معلومًا ، ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا ﴾ [الأعراف : ٣٧] ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٤] .

أما الغفلة : فهي أن لا يعلم ما هو كائن وحادث وحاضر ، والإنسان له كل هذه الثلاثة؛ لأن الجهل يحيطه من بين يديه ومن خلفه ، يذهل عما مضى ، ويغفل عما حضر ، ويجهل

ما يكون ، وحيث إن الله جل جلاله يعلم علمًا إجماليًّا وعلمًا تفصيليًّا كل شيء ، كليات الأشياء وجزئياتها ؛ علمًا مطلقًا كليًّا من الأزل إلى الأبد في كل آن قبل خلقها وبعده على حد سواء في الظهور والإحاطة ، فالبداء والضلال والغفلة في علم الله محال مستحيل ممتنع.

وقد يكون أن الإنسان يعلم ويستيقن شيئًا إلا أنه يخفيه جُحُودًا أو تَقِيّة ، فوقوع هذا الشيء قد يسمى بداء أيضًا ، وإن كان معلومًا له قبل وقوعه : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٢٧ - ٢٨] كانوا يخفون جحودًا ، شيئًا يستيقنونه ، فبعد ما وقع زال الإنكار والجحود ، فجعل بداء .

والبداء مُحَال في جناب الله ، ممتنع لله، وفي علم الله ، وهذه بينة ضرورية ؛ لأن علم الله مطلق في الأزمنة أزلا وأبدًا.

وقد اتفق على هذه البينة الضرورية كل الأديان ، والله جل جلاله مقدس ، قد تقدس عند كل الأديان ، لا يعتريه شيء مما يعتري الإنسان.

في الفصل السادس من تكوين التوراة : « ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير في كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه جدًّا ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته ، لأني حزنت أني عملتهم » .

فالبداء عقيدة يهودية من غير تأويل ، أتت بها أسفار التوراة وكتب العهد العتيق من غير أن يكون فيها مجال لمجاز ، ثم أعدت عقيدة البداء عدوى الوباء من أسفار التوراة إلى كتب الشِّيعة ، فترى فيها عقيدة البداء في أخبار مستفيضة بمبالغات مسرفة شيعية إمامية .

يقول نصير الدين الطوسي في نقد المحصل : إن الشِّيعة لا تقول بالبداء ، ولم يقع إلا في رواية رووها عن الصادق ، أنه جعل بعده ابنه إسماعيل القائم مقامه بعده ،

فظهر من إسماعيل عمل ما ارتضاه أبوه ، فجعل القائم بعده ابنه موسى ، فسئل الصادق عن ذلك ، فقال : بدا لله في إسماعيل. هذه الرواية يقول فيها الطوسي : « إن خبر الواحد لا يوجب علمًا ولا عملا »[١] ، ولما مات إسماعيل قال الصادق : بدا لله في إسماعيل ابني إذ اخترمه قبلي، ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي ، ظهر خلاف قول قاله من قبل، وما طوعت له نفسه أن يعترف ، فتعاظم في جنب الله واستكبر حتى أسند البداء لله[٢].

تروي كتب الشِّيعة أن الصادق كان يقول : « لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا من الكلام في البداء »[٣] .

هذا إسراف في القول لا يكون لنبي ، ولم يكن من النبي ﷺ .

تروي كتب الشِّيعة عن الصادق : « ما عُبد الله بشيء مثل القول بالبداء »[٤] .

والإيمان بالبداء أفضل العبادة ، مبالغة شيعية ، وليس فيها بلاغة إمامية.

عن الصادق : « ما بعث الله نبيًا إلا أخذ عليه ثلاث خصال : ١ - الإقرار له بالربوبية ٢ - خلع الأنداد ٣ - وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء »[٥] .

لا بأس في هذا القول ، وهو صواب في أصله ، إلا أن الثالث ، وهو تقديم ما يشاء وتأخير ما يشاء ، هو الاختيار ، واختيار الله مطلق ، وهو بالعلم، لا بالبداء ، وليس يمكن أن يوجد في الله بالنسبة إلى علمه بداء أصلا أبدًا ، وقول كتب الشِّيعة : إن مصالح العباد موقوف على القول بالبداء ، زخرف من القول وغرور.

لم ينبن شيء على القول بالبداء ، وإنما بني كل شيء على أسبابه ، بعلم الله وقدرته ،

---

(١) «تلخيص المحصل» للطوسي (ص٢٥٠)، ط.مكتبة الكليات الأزهرية .

(٢) يعني بحسب افتراء كتب الشِّيعة عليه ، وإلا فإن الإمام جعفر بريء من هذه المفتريات والضلالات .

(٣) انظر: «التوحيد» للصدوق (ص٣٣٤)، «الفصول المهمة» (١/٢٥٣) .

(٤) انظر: «الكافي» (١/١٤٦)، «بحار الأنوار» (٤/١٠٨) .

(٥) انظر: «الكافي» (١/١٤٧)، «بصائر الدرجات» (ص٥٠١)، «الفصول المهمة» (١/٢٢٠)، «بحار الأنوار» (٤/١٠٨) .

وقد قدر في الأزل أن يتحقق كل شيء بأسبابه .

لا يقع شيء إلا : ١ - بقضاء الله ٢ - بقدر الله ٣ - بإرادته ٤ - بمشيئته ٥ - بكتاب من الله ٦ - بأجل ووقت عينه الله ٧ - بإذن من الله وإمضائه. ولما يمكن ولن يمكن أن يوجد لله بداء ، أن يظهر له شيء لم يكن يعلمه.

تقول كتب الشِّيعة : إن القول بالبداء هو رد لليهود إذ يقولون : إن الله قد فرغ من الأمر ، وهذا القول من الشِّيعة خدعة وحيلة في إغفال الجاهل ، وتقوُّل على اليهود باطل ، وقد قدمت آيات التكوين في هذه المسألة ، وما استعارت الشِّيعة عقيدة البداء إلا من أسفار التوراة ، فدعوى الرد بالبداء كفران للنعمة المستعارة .

تقول كتب الشِّيعة تزخرف قولها : إن البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع ، فالبداء نسخ تكويني ، كما أن النسخ بداء تشريعي.

وهذا القول زخرفة ؛ إذ لا بداء في النسخ ، والحكم كان موقتًا في علم الله ، وأجل الحكم وانتهاء الحكم عند حلول الأجل معلوم عند الله قبل الحكم فأين البداء ؟! نعم ، بدا لنا ذلك من الله بعد نزول الناسخ، وبعد وقوع المحو ، فالبداء لنا في علمنا ، لا لله ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد : ٩٣] لا محو إلا لثابت بعد ثبوته ، ولا إثبات إلا لما لم يكن ثابتًا قبل ، وكل من المحو والإثبات بعلمه وقدرته وإرادته ، من غير أن يكون له بداء في شيء ، وكيف يتوهم له البداء وعنده أم الكتاب ، وله في الأزل العلم المحيط؟! ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٥٩] ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣] ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ

فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ١٦] .
فتوهم البداء لله في شيء من الأشياء في زمان من الأزمان تكذيب لكل هذه الآيات.

وللشيعة في كل ما تدعيه أو تتخذه عقيدة تعصب عصيب يضطرها إلى وضع فاحش ، فقد وضعت الشِّيعة حديث أخذ الميثاق من كل نبي أن يقول بالبداء ، ثم وضعت : أن الملك يكتب الميثاق في رحم الأم ويشترط لله البداء ، يقول الباقر :« يوحي الله إلى الملكين : أن اكتبا عليه قضائي وقدري ونافذ أمري ، واشترطا لي البداء »[1] .

فأي حاجة لله أن يشترط ؟ أو كيف يكون شأن الله إن لم يشترط ؟

ولمن ؟ وعلى من يكون الاشتراط ؟

وإذا جوَّزتم البداء لله خلاف علمه وقدره ، فجواز البداء على خلاف اشتراطه أقرب وأمكن وأوقع .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام :٢١] .

بداء الشِّيعة في كتبها عقيدة يهودية محضة ، سلكته الكتب عن ألسنة الأئمة في قلوب الشِّيعة تخلصًا من تبعة دعوى من دعاويها ، وأدب الأئمة خالص من كلها بريء.

* * *

(١) انظر: «الكافي» (١٤/٦)، «بحار الأنوار» (٣٤٤/٥٧) .

نكاح المتعة

مادة المتعة قد نزلت في آيات كثيرة لمعان أصلها واحد:

١ - متعة التسريح بإحسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب ٢٨]، ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٩]، ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤١].

٢ - متعة الحج يسميها الفقهاء المتعة، وقد ذكرها القرآن الكريم بالتمتع ﴿ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ﴾ [البقرة: ١٩٦].

٣ - والمعنى الثالث للتمتع هو الانتفاع بطيبات الرزق ولذائذ الحياة ﴿ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [هود: ٣]، ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء: ٧٧].

أما متعة النكاح ونكاح المتعة فلم ينزل قرآن فيها وفيه، ولبيان هذا المعنى الجليل عقدت هذا الباب دفعا لما شاع في كتب الشِّيعة أن قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: ٢٤] نزل في نكاح المتعة.

وتمهيدًا للبيان أقدم ما قالته كتب الشِّيعة في تحقيق نكاح المتعة، ومتعة النكاح:

١ - نكاح بأجر مسمى موقت بأجل مسمى، والأجر شرط في عقد المتعة خاصة يبطل بفواته العقد بلا خلاف، والأجل شرط في عقد المتعة إجماعًا، إن سمي الأجل فمتعة، ولو لم يذكر الأجل انعقد دائمًا. ولا تكون إلا بهذين:

١ - بأجل معلوم مسمى.

٢ - بأجر معلوم مسمى.

قيل للصادق : ما أدنى ما يتزوج به المتعة ؟ قال : كَفٌّ من بُرٍّ [1]، حفنة من شعير.

٣ - والأحوط أن يشترط على المرأة جميع شرائط المتعة ، يقول : أتزوجكِ متعة على كتاب الله وسنة نبيه نكاحًا غير سفاح ، على أن لا ترثيني ولا أرثك ، كذا يومًا ، بكذا أجرًا ، على أن عليك العدة.

٤ - ليس في المتعة إشهاد ولا إعلان ، تزوج المتعة بغير شهود ، فلا بأس به ، لأن الشهود في النكاح لأجل المواريث فقط.

٥ - إن شرط أنها ترث ورثت ، وإن لم يشترط فليس لها ولا له ميراث ، ولا حاجة إلى اشتراط أنها لا ترث ، لأن من شروط المتعة أن لا يكون بينهما توارث.

٦ - أما الأجل فإنه يشترط عليها ما شاء ، بعد أن يكون أيامًا أو شهورًا أو سنين معلومة.

٧ - إذا شرط دفعة أو دفعتين يصرف وجهه منها عند الفراغ ، ولا ينظر.

٨ - ومتى عقد عليها متعة على مرة واحدة مبهما كان العقد دائما.

٩ - لا طلاق في المتعة ، ينقضي العقد بانقضاء المدة.

١٠ - ولا إحصان بالمتعة.

١١ - عدة المتعة حيضتان فيمن تحيض ، وخمسة وأربعون يوما فيمن لا تحيض.

١٢ - المتمتع بها إذا مات عنها زوجها عدتها عدة الوفاة، عدة النكاح الدائم أربعة أشهر وعشر.

١٣ - إذا أراد أن يتمتع بامرأة فليس عليه أن يفتش عنها ، بل يصدقها في قولها. عن رجل : قلت للصادق : « إني تزوجت امرأة متعة فوقع في نفسي أن لها زوجًا ، ثم فتشت عن ذلك ، فوجدت أن لها زوجًا ، قال الصادق : ولم فتشت ؟ ! » [2] .

---

(١) انظر : «الكافي» (٤٥٧/٥) ، «تهذيب الأحكام» (٢٦٠/٧) «وسائل الشّيعة» (٤٩/٢١) .

(٢) انظر: «تهذيب الأحكام» (٢٥٣/٧)، «وسائل الشّيعة» (٣١/٢١) .

عن الصادق قيل له : « إن فلانًا تزوج امرأة متعة فقيل له : إن لها زوجًا ، فسألها ، فقال: ولم سألها ؟ » [١] .

عن محمد بن عبد الله الأشعري : قلت للرضا : الرجل يتزوج بالمرأة فيقع في قلبه أن لها زوجًا ، قال : ما عليه ، أرأيت لو سألها البينة كان يجد من يشهد أن ليس لها زوج ؟! (التهذيب ١٨٧/٢)[٢] أعطاها شيئًا من مهر المتعة ثم تبين أن لها زوجًا ، كان لها ما أخذت بما استحل من فرجها ، وليس عليه أن يعطيها ما بقي عليه (التهذيب ١٨٩/٢) .

أعطاها المهر ، ثم خلاها [٣] قبل أن يدخل بها ؟ يجب عليها أن ترد النصف مما أخذت منه .

تزوج جارية متعة ، فجعلته في حِل من صداقها ؟ يجوز أن يدخل بها من غير أن يعطيها شيئًا .

سافح ذات بعل ، أو المعتدة ، أو عقد على المعتدة ؟ حرمت عليه أبدًا (التهذيب ٢٥١/٢) .

١٤ - لا حد لعدد المتعة (التهذيب ١٨٨/٢) ، لا بأس أن يتمتع الرجل متعة ما شاء من العدد ، لأنها بمنزلة الإماء ، وليس ذلك مثل نكاح الغبطة [٤] الذي لا يجوز فيه العقد على أكثر من أربع.

سئل الصادق : عن المتعة : أهي من الأربع ؟ فقال : لا ، ولا من السبعين! تحل لك من المتعة ما شئت! وقال : تزوج منهن ألفًا ، فإنهن من المستأجرات ، هي مستأجرة لا تطلق ولا ترث وعدتها ٤٥ يومًا [٥].

١٥ - والمتعة لا تُحِلُّ للزوج الأول ، لا يُحِلُّ إلا النكاح الدائم .

١٦ - للبالغة الرشيدة أن تمتع نفسها ، وليس لأحد من أوليائها اعتراض ، بكرًا كانت

---

(١) انظر: «تهذيب الأحكام» (٢٥٣/٧)، «وسائل الشِّيعة» (٣١/٢١) .

(٢) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٣٢/٢١) .

(٣) يعني طلقها.

(٤) نكاح الغبطة هو النكاح المستدام المنعقد بغير أجل ولا اشتراط (انظر : المقنعة للمفيد٤٩٧) .

(٥) انظر: «الكافي» (٤٥١/٥)، «من لا يحضره الفقيه» (٤٦١/٣)، «تهذيب الأحكام» (٢٥٨/٧-٢٥٩) .

أو ثيبًا.

١٧ - قلت للصادق : « جارية بكر بين أبويها تدعوني إلى نفسها سرًّا من أبويها ، أفأفعل ذلك ؟ قال : نعم! واتق موضع الفرج...وإن رضيت هي بذلك ، فإنه عار على الأبكار »(١).

١٨ - قلت للصادق : « إني أكون في بعض الطرقات ، فأرى المرأة الحسناء ، ولا آمن أن تكون ذات بعل أو من العواهر ؟ قال : ليس هذا عليك ، وإنما عليك أن تصدقها عن نفسها »(٢).

١٩ - محمد بن الفضل قال : « سألت أبا الحسن عن المرأة الحسناء الفاجرة : هل للرجل أن يتمتع منها يومًا أو أكثر ؟ قال : يتزوج الفاجرة متعة ويحصنها به »(٣)، ليس عليه من إثمها شيء ، واختلاط الماء بعد أن قال الشارع : الولد للفراش وللعاهر الحجر، غير قادح (٤).

٢٠ - في « التهذيب » و « الكافي » : محمد بن أحمد بن يحيى ، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد ، عن زيد بن علي ، عن آبائه ، عن علي ابن أبي طالب أنه قال : « حرم النبي يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة »(٥)، « وهذه الرواية وردت مورد التقية ، ودين الأئمة(٦) إباحة المتعة »(٧).

٢١ - في « الكافي » و « التهذيب » : « سألنا الباقر عن المتعة ؟ فقال الباقر : أحلها الله في كتابه وسنة نبيه ، نزلت في القرآن ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [النساء : ٢٤] فهي حلال إلى يوم القيامة ، فقيل له : يا أبا جعفر مثلك يقول هذا ، وقد

(١) انظر: «تهذيب الأحكام» (٧/٢٥٤)، «وسائل الشِّيعة» (٢١/٣٣-٣٤) .

(٢) انظر: «الكافي» (٥/٤٦٢)، «بحار الأنوار» (١٠٠/٣١٠) .

(٣) انظر: «تهذيب الأحكام» (٧/٢٥٣)، «وسائل الشِّيعة» (٢٠/٤٣٧)، (٢١/٢٩) .

(٤) انظر : «جواهر الكلام في شرائع الإسلام» لمحمد حسن النجفي (٣٠/١٥٩-١٦٠) .

(٥) انظر: «تهذيب الأحكام» (٧/٢٥١) .

(٦) على حد زعم الروافض ، وإلا فإن أئمة الإسلام بريئون من هذه الفرية .

(٧) انظر: «تهذيب الأحكام» (٧/٢٥١) .

حرمها عمر! فقال : وإن كان فعل ، فقيل : فإنا نعيذك بالله من ذلك ، أن تحل شيئًا حرمه عمر! فقال الباقر : أنت على قول صاحبك ، وأنا على قول رسول الله ﷺ ، هلم ألاعنك أن القول ما قال النبي ﷺ ، وأن الباطل ما قاله صاحبك! فأقبل عبد الله الليثي وقال : أيسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن ذلك ؟ فأعرض الباقر حين ذكر نساءه وبنات عمه »(١) .

٢٢ - قال الصادق : المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله ﷺ ، وكان الصادق يبالغ في المتعة ويعدها قربة وركنا من الإيمان ، وكان يقول : « ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ، ومن لم يستحل متعتنا »(٢) .

والشِّيعة تحب المتعة ، تقربًا إلى الله ، وإرغامًا لعمر ، وكان الباقر يفرح بذلك.

روى الفقيه(٣) : إن المؤمن لا يكمل إيمانه حتى يتمتع ، وللتمتع ثواب لا يحصيه إلا الله ، إذا أُراد بالتمتع وجه الله ، وخلافًا على من أنكرها(٤) .

تروي كتب الشِّيعة : « لما أسري بالنبي إلى السماء قال : لحقني جبريل ، فقال : يا محمد ، إن الله يقول : إني قد غفرت للمتمتعين من النساء من أمتك »(٥) ، و « ما من رجل تمتع ثم اغتسل إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه سبعين ملكًا يستغفرون له إلى يوم القيامة ، ويلعنون مجتنبيها... »(٦) .

٢٣ - قال الصادق : « إني لأكره أن يخرج الرجل من الدنيا وقد بقيت عليه خلة من خلال رسول الله لم يقضها ، فقلت : وهل تمتع النبي ﷺ ؟ فقال : نعم ، وقرأ : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ

(١) انظر: «الكافي» (٥/٤٤٩)، «تهذيب الأحكام» (٧/٢٥١)، «وسائل الشِّيعة» (٢١/٦) يتضمن هذا النص التشكيك في دين الباقر وصدقه وعدله من قوم يزعمون التشيع له، فهو يرضى لبنات المسلمين -كما يزعمون- ما لا يرضاه لبناته وأخواته وبنات عمه ، كما يدل على أن هذه المتعة لا يرضاها أهل الفطرة والدين.

(٢) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٢١/٧-٨)، «بحار الأنوار» (٥٣/٢٩) .

(٣) يعني «من لا يحضره الفقيه» .

(٤) انظر: «من لا يحضره الفقيه» (٣/٤٦٦)، «وسائل الشِّيعة» (٢١/١٤) .

(٥) انظر: «من لا يحضره الفقيه» (٣/٤٦٣)، «وسائل الشِّيعة» (٢١/١٣)، «بحار الأنوار» (١٠٠/٣٠٦) .

(٦) انظر: «وسائل الشِّيعة» (٢١/١٦)، «بحار الأنوار» (١٠٠/٣٠٧) .

﴿إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم : ٣] »(١) .

تقول كُتب الشِّيعة : إن النكاح درجات على حسب قدرة الرجال : فأحل الله للرجال من واحدة إلى أربع على حسب القدرة ، ومن لم يكن له قوة على واحدة يتزوج ملك اليمين ، ومن لم يقدر على ذلك أيضًا ، فقد أحل الله له المتعة بأيسر ما يقدر عليه من المهر ، من غير لزوم النفقة ، أغنى الله كل فريق بما أعطاهم من القوة.

يروي « الوافي » (١٥/١٢) عن الصادق أنه قال : « ما أظن رجلا يزداد في هذا الأمر - في التشيع ومعرفة الإمام - خيرًا إلا ازداد حبًّا للنساء »(٢).

تقول الشِّيعة تفتخر: إن حيلة المتعة، وزينة التمتع شعار لأهل البيت، وشارة لبيت النبوة..

كل هذه بلاغة الشِّيعة ، دين الشِّيعة ، أدب الشِّيعة ، وكلها من الشِّيعة ، ليس من الإسلام ولا من كتابه ولا من شرعه ولا من أدبه في شيء ، واحترامًا لأهل البيت وإجلالا لشرف البيت أقول ولا أرتاب : إن الإمام وبيت الإمام من كل هذه بريء .

وإذ افتلينا كتب الشِّيعة واجتلينا ما لها في حيلة المتعة ، فلا علينا إن اقتفينا اجتهاد أئمة المذاهب واقتدينا به ، ثم اكتفينا بنوره واهتدينا به إلى هدى الله في كتابه.

روى الإمام مالك والزهري عن أئمة أهل البيت ، عن علي أمير المؤمنين : أن النبي ﷺ نهى يوم خيبر عن نكاح المتعة(٣) .

روى الإمام الشافعي عن ابن عيينة عن الزهري عن الحسن عن أبيه الباقر محمد بن علي، عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ حرم نكاح المتعة يوم خيبر(٤) .

روى محمد ابن الحنفية، عن أبيه علي بن أبي طالب أن منادي رسول الله ﷺ نادى يوم

---

(١) انظر: «من لا يحضره الفقيه» (٤٦٣/٣)، «وسائل الشِّيعة» (١٣/٢١)، «بحار الأنوار» (٢٩٩/١٠٠) .

(٢) انظر: «الكافي» (٣٢١/٥)، «وسائل الشِّيعة» (٢٢/٢٠) .

(٣) أخرجه مسلم (١٤٠٧) .

(٤) «مسند الشافعي» (ص٢٥٤) ط. دار الكتب العلمية .

خيبر : « ألا إن الله ورسول الله ينهيانكم عن المتعة [١] .

والإمام الطحاوي في «معاني الآثار» يروي بسند ثابت أن عليًّا قال لابن عباس : إنك رجل تائه ، ألم تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء ؟ [٢] .

وروى عن عبد الله بن عمر : والله لقد علم ابن عباس أن رسول الله قد حرمها يوم خيبر[٣].

وقد روت كتب الشِّيعة بالسند عن زيد بن زين العابدين علي عن آبائه عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ حرم يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة [٤] .

والشِّيعة لا تنكر هذه الرواية ، وإن قالت : إنها وردت مورد التقية[٥] ، ودعوى التقية بعد ثبوت الرواية هراء وهواء وهي طعن على دين الإمام.

وقد أجمعت الشِّيعة على أن عمر رضي الله عنه نهى عن متعة النساء على ملأ من الصحابة والإمام علي عنده حاضر ، ولم ينكر ذلك على عمر منكر، فهذا إجماع على ثبوت النهي ، وعلى ثبوت النسخ ، والمجلس كان مجلس استشارة ، ولم يكن أحد يسكت فيه خوفًا أو وهمًا ، ولم يكن من دأب علي رضي الله عنه أن يسكت في مثل هذه الساعة على مثل هذه المسألة ، وفي السكوت هدم لحكم جليل من أحكام الدين هو « شعار له وشارة » .

ودعوى التقية بعد كل هذه شأن ذليل متهور يهرأ ويهزأ ويتفل على وجه الحق، ثم ينجو بالسوأة.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، والمعروف ما أخرجه البخاري (٤١٩٨)، ومسلم (١٩٤٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أمر مناديًا فنادى في الناسِ: «إنَّ اللهَ ورسولَهُ ينهيانِكم عنْ لحومِ الحُمُرِ الأهليةِ» .

(٢) أخرجه مسلم (١٤٠٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٤/٣)، والبيهقي في «السنن الصغرى» (٥٧/٣) وغيرهم، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٢٦٨/٤)، وصححه الألباني (صحيح النسائي ٣٣٦٥).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٨٩/١٢)، وقال الهيثمي: «فيه منصور بن دينار ، وهو ضعيف» (مجمع الزوائد ٢٦٨/٤) .

(٤) انظر: «تهذيب الأحكام» (٢٥١/٧)، «وسائل الشِّيعة» (١٢/٢١) .

(٥) انظر: المصدرين السابقين .

وابن عباس قد اشتهر عنه القول بالمتعة[1] حتى جرت مجرى الأمثال، وكان يقول بالمتعة جماعة من الصحابة، وعن جابر أنهم كانوا يتمتعون من النساء حتى نهاهم عنها عمر ثم امتنعوا، والنهي زمن عمر كان بإجماع من الصحابة وفيهم علي، والإجماع إجماع على ثبوت نهي الشارع، وعلى ثبوت النسخ من الشارع، ثم قد أجمعت الأمة على منع المتعة والامتناع عن المتعة.

وقد كانت في عهد الرسالة تثبت سنة وتخفى على جماعة من الصحابة كثيرة، وعلمها عند واحد أو جماعة، ويرى صحابي رأيًا من عند نفسه يخالفها أو لا يخالفها، وابن عباس قد خفي عليه سنن في أبواب الربا والصرف، كما خفي عليه وعلى جماعة من الصحابة تحريم المتعة حتى أجمعت شورى الصحابة عند عمر وعلي على أن الشارع حرمها تحريم الأبد، وهذا معنى قول جابر: «إنهم كانوا يتمتعون حتى نهاهم عمر...»[2].

قال ابن المنذر: «جاء من الأوائل الترخيص في المتعة، ولا أعلم اليوم من يجيزها إلا بعض الشِّيعة»، وقال عياض: «ثم وقع الإجماع على تحريمها»[3].

قال الشعبي: «حدثني بضعة عشر نفرًا من أصحاب ابن عباس أنه ما خرج من الدنيا حتى رجع عن قوله في الصرف والمتعة، فإن لم يقبل رجوعه فإجماع التابعين بعده يرفع قوله، والأمة ترث العلم ولا ترث ضلال أحد»[4].

---

(١) وهذه غير متعة الرافضة؛ لأن متعة الرافضة ركن من أركان دينهم وملعون من تركها، ويثاب فاعلها بأجزل الثواب، وما يلحق بهذه المتعة عندهم من المتعة الدورية، وعارية الفروج، والتصدق بالفروج، واللواط بالنساء، مما يجزم الناظر فيها بأنها من مخلفات المزدكية الإباحية المجوسية البائدة وليست من دين الله في شيء، وقد ثبت رجوع ابن عباس رضي الله عنهما عن هذا القول (انظر: فتح الباري ١٧٣/٩، وتفسير القرطبي ١٣٢/٥، سنن الترمذي ٤٢١/٢ تحقيق د. بشارعواد).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٤٢٦٨) وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم»، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٢/١)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٦/٣)، وانظر تفصيل المسألة في: «زاد المعاد» (٣٤٣/٣-٣٤٥).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١٧٣/٩).

(٤) انظر: «المبسوط» للسرخسي (٦/١٤).

وتمتع جماعة من صحابي أو تابعي ليس بحجة ، ثم خلاف جماعة لم يبلغها حديث التحريم ، أو بلغها وعملت على خلافه لا يقدح أصلا وأبدا في الحجة. إذ قد صح عند الأمة حديث التحريم المؤبد بإجماع في شورى الصحابة ، حيث إن جابرًا يقول : إن من لم يبلغه النسخ كان يتمتع ، يعتقد أن الأمر باق على ما كان ، حتى ثبت النسخ والتحريم المؤبد في شورى الصحابة زمن عمر ووافقته الأمة.

وقد روى الإمام أحمد والإمام مسلم عن سبرة الجهني التحريم المؤبد من يوم الفتح إلى يوم القيامة (١).

وقول الله جل جلاله في سورة النور : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٣٣] هذه الآية الكريمة وحدها من بين سائر الآيات الكريمة تكفي تمام الكفاية أن تثبت أن المتعة كانت محرمة في صدر الإسلام تحريم أبد ، ولو حلت المتعة لما كان لهذه الآية الجليلة ولا لجملة من جملها الخمس معنى.

والاستعفاف هو مبالغة التعفف ، ومن لم يتمكن من نكاح فعليه الاستعفاف حتى يمكنه الله ويغنيه من فضله ، ولو حل تمتع لبطل هذا الأمر ، والمتعة بأجرة سماها القرآن البغاء ، فقال : ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور : ٣٣] حرمها على الإماء فحرمتها على الحرائر أولى وأظهر ، ولم يكن البغاء حلالا في زمن من الأزمان ولا في دين من الأديان.. فالمتعة هي بغاء وزنا مهين ، لا يرتكبها ساعة الاضطرار إلا مهين مكره ، ولا يرتكبها أحد باختياره ، وإذا كان عرض المتعة وأجرتها حرامًا ، والإكراه يوجب عقاب الله وغضبه ، فنفس العمل أشد وأفحش.

وهذه الآية الكريمة الجليلة في نظمها بلاغة معجزة ، فقد جمعت في جملها الخمس من

(١) أخرجه أحمد (٢٤ / ٦٨) برقم ١٥٣٥١ ط . الرسالة ، ومسلم (١٤٠٦)، وغيرهما.

مصالح المجتمع وتدابير الإصلاح أمورًا لا يحيط بها عقل حكيم، ولا تبلغ إليها بلاغة بشر في مثل هذه الجملة الوجيزة الجزيلة.

بل إضافة المال إلى الله وحده في قوله: ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ﴾ والموصول بصلته وحده في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ ثم إتباع ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ﴾ بعد قوله: ﴿وَءَاتُوهُم﴾، ثم جعل الغاية ﴿لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ كل هذه الأمور بمفردها يكفي في قلب نظام العالم قلبًا ينجو به العالم اليوم من كل أزمة ومن كل مشكلة ومن كل خطر في المجتمع الإنساني.

ويكفينا الآن ويغنينا عن كل بيان أن قوله: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾ تمام الآية، نص قاطع محكم في تحريم المتعة تحريم أبد.

وثبت عند أهل العلم وأئمة الاجتهاد وأئمة المذاهب تحريم المتعة بوجوه:

١ - إجماع الأمة على التحريم بعد ما تقرر النهي والنسخ في شورى الصحابة زمن عمر، وكان علي حاضرًا بالمجلس، وقد ثبت بإجماع من الشِّيعة وأهل السنة والجماعة برواية زيد بن زين العابدين عن رواية محمد ابن الحنفية عن إمام الأئمة وأمير المؤمنين على تحريم المتعة تحريم أبد.

الرواية ثابتة قطعًا ودعوى التقية ساقطة بالضرورة، فالإجماع قطعي.

وجَعْل المتعة حلية لأهل البيت، أو إشارة وشعارًا للأئمة لا يكون إلا جنفًا من نجف، أو شنيعة من شيعة، يصدق فيها قول القائل: عدو عاقل خير من صديق جاهل.

نحن نقول: إن أداء التراويح جماعة شعار للسُّنَّة، وأداء الفرائض جماعة شعار للإسلام، فهذا القول يمكن أن يكون له وجه أدبي ووجه ديني، أما اتجار المرأة بفرجها في سعتها وضيقها، وامتهان الرجل المرأة في شرفها وعفافها، فلن يكون إلا خزيًا لا يدانيه خزي؛ يحمارُّ منه وجه الأدب، ويسوادُّ منه جلد الأجرب، فكيف يجعل شارة لبيت نبوة العرب؟! إلا من عجمي كسروي مدائني إذا لقي عربيًّا سمعت له شهيقًا وهو يفور، يكاد يتميز من الغيظ.

٢ - كل آية فيها حل النكاح أو تحريمه يدل على تحريم المتعة، فإن النكاح إذا أطلق فلا

يشمل نكاح المتعة لا لغة ولا شرعا، لا يطلق على المتعة وعلى التمتع اسم النكاح، كما لا يطلق على ماء الورد اسم الماء إلا بالإضافة، ولا يطلق اسم الأزواج واسم امرأة الرجل واسم نساء المؤمنين ونسائكم على المتمتع بهن، هذه بينة لغوية وبينة بيانية إنكارها مكابرة واستكبار ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١ – ٧].

لا ريب أن التمتع ابتغاء وراء ذلك، فالتمتع عدوان وراء ذلك، و﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة ولا إشارة إلا إلى مشاهَد، ولا مشاهد إلا الأزواج وما ملكته الأيمان، ومطلق الأزواج خصوصًا في صورة الإضافة إلى الضمير لا يشمل إلا صاحبة تعيش معك في بيتك تملك عصمتها بنكاح مطلق دائم، ولم يرد لا في اللغة، ولا في القرآن الكريم، ولا في كتب العهد العتيق والعهد الجديد إطلاق اسم المرأة والزوج على من يتمتع بها الرجل بأجرة أو بقوة، وقد جاء في أسفار «التوراة» اسم زانية واسم بغي على من تمتع بها الرجل بأجرة ذات قيمة وترك عندها رهنا عصاه وخاتمه شارة رياسته[1]، وقول النذيرة أمة الله سيدة نساء العالمين في القرآن الكريم: ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠] حكاية لما كان عليه عصرها من التمتع سمته السيدة بغاء وبغيًا، واحتفظ القرآن بعبارتها اعتبارًا، ثم قص لنا القرآن الكريم قول اليهود: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨] فجعل التمتع بغاء من جانب المرأة، وسوءًا أسوأ من جانب الرجل.

٣ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٩] دلت الآية الكريمة على أن عقد النكاح المشروع لا ينقطع إلا بطلاق، فالتمتع لا يكون عقدًا حلالا لأنه ينقضي وينقطع بغير طلاق، وتدل على أن عقد النكاح الحلال يوجب المتاع، متاع

(١) انظر: سفر التكوين، الإصحاح ٣٨، فقرة ١٨-١٩.

التسريح، ونكاح المتعة لا يوجب متاع التسريح فلا يكون عقدًا حلالا، وتدل دلالة صريحة على أن عقد النكاح لا يوجب العدة على المرأة إلا بعد المس، وإنما الموجب النهائي للعدة هو المس، والمس لا يوجب العدة إلا على الأزواج لقول الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فكل نكاح لا يُوجب به القرآن عليها العدة يكون باطلا بالضرورة، ولا آية أوجبت عدة في متعة!

٤- كل آيات الطلاق، وآيات الصداق، وآيات العدة، وآيات المواريث، وكل آيات الحقوق مثل ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] تدل دلالة ظاهرة قطعية تفيد اليقين على أن العقد الحلال إنما هو هذا النكاح الذي ثبت به كل هذه الأشياء وكل هذه الحقوق، فكل عقد لا يترتب عليه طلاق أو لا يترتب عليه إرث، أو كل عقد لا يكون فيه ما لها مثل الذي عليها لا يكون حلالا مشروعًا. هذه بينة في كل الشرائع، وبينة في كل القوانين.

٥- ذكر القرآن الكريم في ثلاث آيات من سورة النساء في المحرمات خمس عشرة نسوة، أولاها: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٢] امرأة كانت في نكاح أبيك، وأخراها محصنة لم تدخل في نكاحك ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٢٤] فكل محصنة لم تدخل في نكاحك هي حرة مطلقة يحرم عليك أن تنكحها إلا إذا ملكت عصمتها بعقد وشهود ومهور ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] ملكت أيمانكم عصمتهن بعقد وشهود ومهور: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] كتب الله عليكم ذلك كتابًا ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقد كتب الله لنا في حل النكاح مقاصد مطلوبة أصلية، قضاء الوطر فيها مطلوب تابع، فقال: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم﴾ [النساء: ٢٤] ما كتب الله لكم ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ فالنكاح لم يشرع لمجرد قضاء الوطر، بل لأغراض

مشروعة مطلوبة ولمقاصد أصلية يتوسل بالعقد إليها.

وسفح الماء في الشهوة واقتضاء الشهوة بالمتعة، لا يقع وسيلة إلى المقاصد التي كتب الله لنا، فلا يكون مشروعًا، هذا برهان عقلي بمعنى معقول أفادته نصوص الكتاب الكريم الحكيم.

المتعة لا ينبني عليها نظام المجتمع، إلا إذا كان المجتمع شيوعيًّا يشترك في نسوته رجالُه، أو يشرك كلَّ امرأة في نفسها رجاله، المتعة لا ينبني على قواعدها بيت عائلة أو أسرة، المتعة لا يقوم على عمودها نسب، ولا تنمو من نواتها شجرة لها أغصان ولها أفنان، وكل هذه مقاصد أصلية مطلوبة في بقاء النوع بالنكاح، فحيث لا تتحقق يقينًا لا يكون فيها النكاح مشروعًا، فنكاح المتعة باطل بحكم الكتاب ونصوصه الظاهرة.

٦ - ذكر القرآن الكريم المحرمات في النكاح، ثم أباح ما وراء ذلك بالنكاح، وإذ ذكر حال من لا يجد نكاحًا ولا يستطيع طولا أن ينكح، ذكر النكاح فقط، ولم يذكر الإجارة، ولم يذكر المتعة، فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥] فهذه الآية الكريمة نص قطعي يحرم نكاح المتعة؛ لأن من لم يستطع طولا أن ينكح لو كان يحل له في شرع القرآن الكريم نكاح المتعة بأجرة أو التمتع إلى أجل لذكره القرآن الكريم، وإلا يكون القرآن الكريم قاصرًا في بيان شرعه، فقصر القرآن الكريم حصر لأنواع النكاح المشروع في شرع القرآن الكريم.

ومجتهد الشِّيعة الذي تفلسف في توجيه هواه ومذهبه قد نسي، ومر على آية في القرآن الكريم وأعرض عنها، وكأين من آية في القرآن الكريم، وسنن أمة النبي الحكيم ﷺ يمرون عليها وهم عنها معرضون، آية: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] فإن هذه الآية الفريدة الكريمة تهدي من لا يجد نكاحًا إلى الاستعفاف حتى يغنيه الله من فضله لا إلى التمتع ولا إلى الاستئجار، لا يتمتع ولا يمتع، لا يستأجر ولا يؤجر إلا مذهب الشِّيعة لا دين الكتاب الكريم، ولا أهل

بيت النبي الحكيم.

٧ - الإجارة في أصل وضعها عقد مؤقت لأنها في المنافع فقط، أما النكاح فهو في أصل وضعه عقد مؤبد، فالتوقيت في النكاح لا يخلو من حالين:

(أ) إما أن يبطل العقد، فلا ينعقد النكاح، فلا نكاح.

(ب) وإما أن يبطل هو نفسه، وينعقد النكاح مؤبدًا، وهذا معنى قولنا: لا نكاح إلى أجل.

٨ - المتعة بأجرة إلى أجل إجارة، وإجارة المنفعة بيع وتجارة، ولم يستحل دين تجارة المرأة ببدنها وعرضها وشرفها وعفافها، ولو جاز لامرأة بذل شرفها وعفافها مقابل أجرة بالغة أو تافهة، لحسن لها بذل شرفها في سبيل هواها وشغفها لعشيقها، فإن بذل المرأة نفسها في سبيل الهوى والحب، إجابة لداعي الهوى أقرب إلى العفاف والشرف من بذلها في سبيل حفنة من الحب.

٩ - الكتاب الكريم يقول في نكاح النساء: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥]، ويقول في نكاح الرجال: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] ونكاح المتعة لا إحصان به، والمتعة فيها سفاح ماء في غير حرث، والمتعة هي اتخاذ خدن في كلا الطرفين، فالمتعة حرام بنصوص القرآن الكريم.

١٠ - المتعة إجارة المرأة نفسها ليتمتع بها الرجال، أو تجارة المرأة بفرجها؛ امتهان لها، وهتك لشرفها، وفتك لعزتها، لا يستحلها إلا من يبتذل النساء ويحقر الأزواج ويظلمها أشد ظلم، وأخس رجل على وجه الأرض لا يرضى أن يتمتع أحد بأخته أو بنته، فكيف يستحلها الفقيه أو الإمام في بنات الأمة؟!

وقد نقلت قول عبد الله الليثي للإمام الباقر: «وهل يَسُرُّكَ أَنَّ نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن ذلك؟» يقول «الكافي» و«التهذيب»: «فأعرض الباقر حين ذكر نساءه

وبنات عمه »[١].

فكيف يكون أن إمام دين يستجيز في بنات الأمة أمرًا، إذا ذكر في نسائه وبنات عمه يظل وجهه مسودًّا وهو كظيم، يعرض غضبان، يتوارى من سوء ما ذكرت به بناته، فهل يمكن أن يستجيزه شرع القرآن في بنات نبيه ﷺ ؟! وقد افترى أعظم افتراء من قال: إن النبي ﷺ تمتع ثم أسر إلى بعض أزواجه حديث تمتعه، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣] لا يمكن أن يكون نكاح النبي ﷺ تمتعًا بعدما حصرت آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] حلائل النبي في سبعة أصناف من النسوة، ولا يمكن أن يكون تمتع النبي ﷺ منقطعًا بعد قول الله: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ثم إن حملنا حملا هوائيًا بهوانا ورأينا إسرار الحديث على حديث التمتع، فكيف يكون معنى تمام الآية: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]؟! وهل يبقى بعد مثل هذا التفسير لنظم القرآن من بلاغة؟! ولمعنى القرآن من جزالة؟! ولصاحب القرآن من شأن وجلالة؟!

ثم أقول أيضًا: إن كان النبي ﷺ أتى بخائنة ميل وتمتع سرًّا، فكيف يكون أن أحكم الأنبياء عقلا، وأكرم الرسل أدبًا وهديًا، وأحسن الناس في بيته لأهله خلقًا يسرُّ إلى بعض أزواجه حديثًا يغيظها به، يوري في قلبها نار الغيرة يؤذيها، وهل يكون إيذاء في أمر قال القرآن فيه: ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [التحريم: ١]؟!

فإجلالا لأهل البيت واحتراما لكل إمام أقول: إن هذا القول موضوع على لسان الإمام. وقد قدمت قولي: إن الشِّيعة تضع ولا تحسن الوضع، ولا ذوق للشيعة في الوضع ولا مهارة.

متعة الشِّيعة اليوم زنا مستحل، هي دفعة في هذا اليوم بقبضة، أو دفعات في الأسبوع الفلاني بكذا، هي زنا فاحشة ومقت يستحلها الشيعي حتى يتقرب بها إلى الله، فتمتع الشِّيعة

---

(١) انظر: (ص١٣١) من هذا الكتاب.

زنا فاحشة وزيادة استحلال، زيادة في الكفر وزيادة في الفساد، بها يترك الرجل فراشه، ويهجر ربة البيت، فتكفر وتبرأ، ثم تدعو على الآمر بها وتلعنه، وبها تفسد العائلة، ويزداد الإنسان حيرة وتعجبًا إذا رأى في أمهات كتب الشِّيعة ما نقلته عن رجل قال للصادق: «إني تمتعت بامرأة فوجدت أن لها زوجًا، فقال الصادق: ولم فتشت؟» (التهذيب ١٨٧/٢).

لا ينكر الإمام إلا التفتيش! ولا يرشد إلى الاحتياط قبل التمتع، بل يزيد ويقول: «أرأيت لو سألها البينة كان يجد من يشهد أن ليس لها زوج».

ويكفينا كل تعب في سبيل تحريم متعة النساء كلمة «المتعة» وحدها التي تجرح شرف المرأة، فإن الإنسان غاية للكون وللتشريع ومقصد أصلي من كل نظام اجتماعي، لم يخلق الكون إلا لأجله، ولم ينزل شرع ولم يوضع قانون إلا لأجل حقوقه وتحقيق مصالحه، هو الذي يملك متاع الدنيا وكل نعيم الآخرة، فجعلها متاعًا من الأمتعة يتمتع بها متمتع، ثم يلقيها لقي منبوذ إهانة لها أي إهانة، فإن من خلقه الله أهلا للحقوق صاحب حق لا يكون متاعًا لآخر، آلة له في قضاء وطره إلا إذا حُرم شرف الأهلية، واستئجار بدن الإنسان وإجارته والاتجار ببدنه وعفافه باطل في الإسلام، وهذا بينة متعارفة في الشرع، والمرأة إذا آجرت نفسها أو اتجرت بها مرة يتجنبها الرجال، ويمكن أن يزدحم عليها الأشرار، فلن تعود ربة بيت له شرف، ففي مرةِ متعةٍ هلاكُ المرأة إلى الأبد.

وقد ثبت ثبوتًا لا يرتاب فيه أحد أن الشارع لعن المحلِّل والمحلَّل له، والمحلل لم يلعنه الشارع إلا لأنه نكاح متعة، ولو كان نكاح المتعة في شرع الإسلام جائزًا لما كان للشارع أن يلعنه.

أستبعد غاية الاستبعاد أن يكون مؤمن يعلم لغة القرآن الكريم ويؤمن بإعجازه ويفهم حق الفهم إفادة النظم يقول: إن قول الله جل جلاله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] نزل في متعة النساء، قول لا يكون إلا من جاهل يدعي ولا يعي.

والنكاح أقدم عقد عقده الله بين آدم وزوجه إذ قال له: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] يترتب عليه نعيم الحياة وسعة الرزق ﴿ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا ﴾ [البقرة: ٣٥] وما عقده الله عقد حياة يكون عقدًا مطلقًا غير محدود، يتخطى حدود الدنيا إلى حياة الآخرة لا ينقطع إلا بالموت ، ولا بالموت.

وإذا نظر الفقيه الحصيف إلى عقد النكاح يراه عقد معاهدة حيوية تأخذ المرأة ميثاقها الغليظ من زوجها، أما السفاح فخلاف العفاف وخلاف النكاح، هو الزنا في عبارة كتب الفقه أو ما يقاربه، ويؤدي إليه، وأصل المادة هو السفح، يقاربه في المعنى السفك، السفح في دم الحيوان الحلال، والسفك في دم الإنسان المعصوم، والسفاح في ماء الحياة إذا صرف في غير الحرث.

والقرآن الكريم يكرم الإنسان غاية التكريم ونهاية الكرامة تكريمًا لم يكن أدبه أهلا له، ولم يستأهله يومًا تمدنه، فكل ما يذكر فعل الوصال يكنى عنه بابتغاء ما كتب الله، وابتغاء فضل الله، والإتيان من حيث أمركم الله، محصنًا فيه شرفه، غير مسرف بصرفه في غير حرثه. ﴿ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ [المائدة: ٥]، ﴿ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ ﴾ [النساء: ٢٥]، ﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فصرف ماء الحياة على غير ما في هذه الآيات هو السفاح في وضع اللسان وفي أدب القرآن، ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥] أي جملة يمكن أن تكون أبلغ إفادة، وأعلى جزالة، وألذ وأشهى في الآذان تردادًا، وأوقع على شغاف القلوب تهويلا، وأحق عند العقول قبولا إذا تلي القرآن حق تلاوته من هذه الآية الكريمة بعد قول الله جل جلاله: ﴿ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ ﴾ [المائدة: ٥] ؟!

ومن يمكن أن يكون أكفر بالإيمان في آية حل المحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من عاد يترك المحصنة ويتمتع دفعة أو دفعات بالتي تتجر ببدنها تؤجره بكف من بر أوحفنة من شعير ؟

وأي عمل في مسألة حل المحصنات يمكن أن يكون حابطًا وهو في الآخرة خاسرًا سوى سفح ماء الحياة في غير حرثه ، وفي غير ابتغاء ما كتب الله له ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف : ١٠٣ - ١٠٥] .

وأضر ضلال غشى أو يغشى قلب مسلم هو زعمه أن كل آية فيها ذكر الكفر أو ذكر الاستهزاء بآيات الله نزلت في غيره فقط ، يزعم أن حكم الآية لا يتناوله. قال القرآن : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] ﴿ بِهِۦ ﴾ أي بهذا النكاح الذي تقدم بيانه بعد ذكر المحرمات في قولنا : ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ ﴾ [النساء : ٢٤] والنكاح الذي بينه الله جل جلاله في هذه الجملة الجميلة الجزيلة هو النكاح الذي ينبني عليه بناء البيت ونظام العائلة وصلاح المجتمع ، هو النكاح الدائم الذي يترتب عليه حقوق الزوجين ، ويجب عليهما كل وظائف العقد الذي ما انعقد إلا لابتغاء فضل الله ، وابتغاء ما كتب الله لكل من الزوجين ، وعلى كل من الطرفين.

﴿ مِنْهُنَّ ﴾ أي من الأزواج اللاتي ملكت أيمانكم تمام عصمتهن ودخلن دخول استقرار في حيطة نكاحكم ، وأخذن منكم ميثاقًا غليظًا عقدته بأيديكم.

هذا معنى هذه الجملة الكريمة ، والجملة نص فيه ، يدل عليه كل كلمة وكل حرف منها ، وسياق الكلام ومقام البيان لا يحتمل أبعد احتمال غيره.

ولو كانت هذه الجملة لبيان متعة الشِّيعة لاختل نظام هذه الآيات الثلاث [1] ،

---

(١) الآيات الثلاث آية ٢٣، ٢٤، ٢٥ من سورة النساء .

ولبقي الكلام الأول في أصل النكاح أبتر، ولبطل التفريع بالفاء، ولكان العقد وهو الأصل في المتعة غير مذكور في الكتاب، فإن الاستمتاع وإيتاء الأجر لا يكون إلا بعد العقد، ولا ذكر له في هذه الجملة، ولكان اختلاف الضميرين في ﴿بِهِۦ﴾ و ﴿مِنْهُنَّ﴾ لغوًا ولغطًا في الكلام من غير وجه يناسب البلاغة ويوافق الإعجاز، ولكان قول الله جل جلاله الجميل الجليل الجزيل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ [النساء: ٢٤] حشوًا ولغوًا من الكلام.

ثم قول الله جل جلاله: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] جملة في اصطلاح أهل الأدب شرطية، والشرطية إذا كان جزاؤها جملة إنشائية يقع حكمها في جملة الجزاء، ويكون جزاؤها عمدة الكلام، والشرط يكون قيدًا للحكم، ظرف زمان أو ظرف مكان في التقادير والأوضاع.

هذا هو دأب أهل اللسان، وأدب علماء البيان، لا يأتي بخلافه أجهل جاهلي في بادية العرب، فلو كان هذه الجملة جملة ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ في حل متعة الشِّيعة، لكان حق الكلام أن يكون: (فما آتيتموهن أجورهن فاستمتعوا منهن)، وإذا أراد قائل أن يفيد حل المتعة فقال: (إن تمتعت بها فأعط أجرها) لكان هذا القول قول جاهل أعجمي لا يفهم ما يقول، كان عليه أن يقول: (إن أعطيت أجرها فتمتع بها).

هذه مسألة نحوية ابتدائية أكتبها وأنا خجل، كيف أمكن أن شيخًا جليلا احتكر الأدب سمة للترفض، واحتكر البلاغة ميزة للتشيع، يقول: إن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ نزل في حل متعة الشِّيعة؟!

كل يعلم ويرى أن الخليع العاهر الفاحش يبذل ماله بغيًا في فُحشه المنكر، وأن امرأة مسكينة قد تضطر إلى أن تبذل شرفها وعفافها وبدنها في نوال ثمن سحت بخس دراهم معدودة، وكيف يقول شيخ شريعة الشِّيعة: إن أهدى الشرائع حكمة وأعدل الشرائع حكمًا وأحسن الشرائع نظامًا يجاري العاهر الفاحش في فحشه المنكر، ويقول: إذا فجرت فأعط

أجر فحشك ، ويدعو المسكينة المضطرة إلى أن تتجر بعفافها مقابل كَفٍّ من بُرٍّ ، أو مقابل ثمن سحت بخس دراهم مخزية ؟ ! وهل يأتي حكيم بمثل هذا الكلام أثناء بيانه أقدس العقود الاجتماعية إذ ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء : ٢٦ - ٢٨] .

مَنْ هم الذين يتبعون الشهوات ويريدون أن نميل ميلا عظيما ؟

هل هم إلا الذين يستحلون التمتع بكفٍّ من بر ، ثم يقولون : « من لم يقل بكرَّتنا ويستحل متعتنا فليس منا »[1] ؟!

ثم لو كان ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ ﴾ في حل المتعة بكف من بر ، فكيف يكون قوله بعد هذه الآية الكريمة : ﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ وهل يتصور عاقل أن يكون الإنسان عاجزًا عن كف بر ثم يشتري ويملك يمينُه جارية ؟ ! ومجرد نزول هذه الآية بعد قوله : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم ﴾ يكفي في تحريم المتعة ، فإن الآية نقلت من لا يستطيع أن ينكح المحصنة إلى ملك اليمين ، ولم يذكر له ما هو عليه أقدر من ملك اليمين ، فلو كان التمتع بكف من بر جائزًا لذكره ،ولم يذكر في شأن الاستطاعة إلا النكاح ، هل تنسخ آية فيها تأكيد حرمة النكاح وتقديسه بإيجاب الانتظار إلى إغناء الله ؟ فأي فرق بين متعة الشِّيعة وبين الزنا برضى كان أو بقهر ؟ إذ لا حد لأقل المدة ولا حد لأقل الأجر .

ولا تنكر الشِّيعة أن النكاح جده جد ، وهزله مثل جده جد ، وما يكون هزله جدًّا إذا انعقد لا ينعقد إلا لازما أقوى من عقد البيع ، يوجب ملكا لا يرتفع إلا بالموت أو بالطلاق ، وانقطاع المتعة بدون طلاق لم يكن إلا من عدم الانعقاد ، فمتعة الشِّيعة زنا وزيادة استحلال ، وعقيدة

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣١) .

باطلة بدعوى التقرب بها إلى الله.

والعجم ونساؤها والحكومة بمملكة الشِّيعة في عذاب بئيس، وحرج ضيق شديد من متعة فقهاء الشِّيعة، ومن إحدى سيئات متعة الشِّيعة، ما كنت أراها في بلادها من ابتذال المرأة في شوارع مدن العجم وقراها ابتذالا لا يمكن أن يوجد أفحش منه ولا في نظام الشيوع المطلق، وكتبت في هذه لجماعة من مجتهدي العاصمة، وقلت: هل لا يوجد على مثل هذه المهانة عندكم من غيرة؟ وهل لا يوجد لكم منها من تأثر؟ وما رأيت على وجه مجتهد عند ذلك إلا بشاشة وهشاشة بتبسم! إن كان استهان بي، فقد استخف واستهان بدينه وأمته وأمهاته من قبل.

فحكومة الدولة الإيرانية، التي كانت قد أخذت مرات عديدة من قبل في إبطال متعة الفقهاء، نراها اليوم بفضل ملكها الأعظم قد نسخت المتعة نسخًا قطعيًّا بتاتًّا[١]، وشيخ الشريعة أكبر مجتهدي الشِّيعة اليوم في كتابه «أصل الشِّيعة» جعل نصف كتابه في مسائل المتعة ونفاق التقية، لم يزل يولول، ولم يزل يتويل على من ينكر متعة الشِّيعة، وعلى من يحرم تقية النفاق[٢].

وأعظم حكومة شيعية بفضل ملكها الأجل قد اهتدت إلى عقد معاهدة ومصادقة مع أقوى حكومة سنية تركية[٣]، وفقهاء الشِّيعة ما زالوا يلعنون العصر الأول، ولم تزل أمهات الكتب في المدارس تبذر بذور العداء في قلوب الأساتذة والطلبة.

ويعجبني غاية الإعجاب أن حكومة الدولة الإيرانية التي تسعى في إصلاح حياة الأمة ودنياها، وفي تعمير الوطن وإحيائه، أخذت في إصلاح دين الأمة، فمنعت منعًا باتًّا متعة فقهاء الشِّيعة، وأخذت في تصفية عقائد الأمة بمدارسها وكلياتها وكتبها، تستبدل إيمان

---

(١) ولكن لما قامت ثورة الخميني وتولى ملالي الشِّيعة شؤون الحكم فتحوا أبواب المتعة على مصراعيها.

(٢) انظر: «أصل الشِّيعة وأصولها» (ص١٩٦-٢١٧).

(٣) وحين يتولى أمور الحكم رجال الدين وأصحاب العمائم فلا يمكن أن تكون علاقاتهم مع أي دولة سنية إلا قائمة على العداء والكيد والتآمر والخداع، وبرهان ذلك شواهد التاريخ والواقع، ونحن نعاصر الآن دولة إيران ونرى أنها لما صارت في قبضة هؤلاء الملالي تحولت إلى مصدر عداء وعدوان على الأمة.

الإمـام علي أمـير المؤمنين وعقيدة أهل البيت بعقائد الشِّـيعة الإماميـة التي في أمهات كتبها المتأخرة، ولم يُضع عقيدة البراءة واللعن على العصر الأول إلا هذه الكتب المتأخرة [1].

وحيث إن مسـألة متعة الشِّـيعة كبيرة إلا على فقهاء الشِّـيعة، ثقيلة في السـماوات وفي الأرض، وإسـنادها إلى الكتـاب المبـين عيـب شـديد على الديـن، وإهانـة لنسـاء المؤمنين، رأيت من موجب الأدب أن أنبسـط بالكلام على متعة الشِّـيعة، ببيان سـهل يفيده الكتاب وأصول الشريعة.

* * *

(١) ولكن لما تولى الملالي الحكم في إيران أعادوا مبادئ الغلو إلى مناهج التعليم، ونص دستورهم على اعتماد ما جاء في مصادرهم بكل ما جمعته من ضلال وسماها «سنة المعصومين» انظر: «الدستور الإيراني» (ص ١٥ - ١٦).

[ميراث النساء في دين الشِّيعة] (١)

النساء لا ترث لا من الأرض ولا من العقار، ترث من فروع الأموال، ولا ترث من أصول الأموال، لأن المرأة ليس لها من الرجل نسب به ترث، وإنما هي دخيل.

هذا أصل به خالفت الشِّيعة شرع الإسلام، انتحلته من شريعة التوراة، وللشيعة انتحالات من الأناجيل والتوراة ومن سائر الأديان، كثيرة تزيد على مئة ضبطتها في دفاتري. وبم تحرم الشِّيعة النساء إرث الأرض والعقار، والكتاب يقول: ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ [النساء: ١٢]، ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ [النساء: ١٢]، والأرض والعقار أول داخل فيما ترك لقول الله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥]؟!

ثم إن حرمت المرأة من أرض الرجل وعقاره يلزم على قانون التقاص أن يحرم الرجل من أرض زوجه وعقارها، والمرأة تملك الدار والعقار، وتملك رقاب الأرض مثل الرجال بحكم القرآن الكريم في شرع الإسلام.

وكيف تعد الشِّيعة المرأة دخيلا وهي أحد ركني العائلة وأحد الأصلين للفروع، ونفس الأصل الآخر بحكم الكتاب: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١] وهي أقرب رفيق وأول صاحب وأمسُّ شريك في كل شؤون الحياة والحقوق ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

ونحن نعلم بالضرورة أن نساء عصر الرسالة وعصر الخلافة كانت ترث الأرض وما عليها، بل كل العصور الإسلامية أجمعت على ذلك، فخلاف الشِّيعة ليس له أصل وأثر في الإسلام إلا الانتحال، وانتحال ما جاء كتاب الإسلام بخلافه فهو خلاف لا يعتد به.

قيل للباقر: « تقول: إن النساء لا ترث من رباع الأرض شيئًا، والناس لا يرضون بقولك هذا، ولا يأخذون به أبدًا، فقال الباقر: إذا وليناهم ضربناهم بالسوط، فإن انتهوا،

---

(١) هذا عنوان وضعه مُهَذِّب الكتاب.

وإلا ضربناهم بالسيوف »[١].

دلّت هذه الحكاية على أن نساء العصر الأول والثاني كانت ترث الأرض وما عليها بشرع الإسلام، ودلت على أن ليس بيد الباقر دليل لقوله إلا السوط وإلا السيف، ودلت على أن حكومة الأئمة إن قامت فنظامها تسليط السياط على بشر الأمة، والسيوف على رقابها، إن لم تقبل انتحال الأئمة، وليس لمثل هذا النظام من فضل وشرف وحكمة شيء.

* * *

(١) انظر: «الكافي» (٧/١٢٩-١٣٠)، «وسائل الشّيعة» (٢٦/٢١٠).

[اعتقاد الشِّيعة في العصر الأول]

العصر الأول في الإسلام - وقد كان بنص الكتاب خير أمة أخرجت للناس - لا تزال الشِّيعة تلعنه في معابدها ومحافلها وكتبها وخطبها وفي كل أدعيتها ، مع أن أوائل عصور كل الأديان والأمم يعتقدها أتباعها مقدسة محترمة إلا الشِّيعة ، فإن العصر الأول وهو أفضل عصور الإسلام تعتقده الشِّيعة ملعونًا.

تدَّعي الشِّيعة أن العصر الأول كان ينافق النبي ﷺ في حياته ، وارتد بعده ساعة وفاته ، وظلم أهل بيته في كل أموره وكل حركاته ، وحرَّف كتابه في حروفه وكلماته وآياته.

ومذهبٌ أو كتابُه جمع بعض ذلك يكون قد انتحل الشر بحذافيره ، ثم قد انتحل العداء والاعتداء والضرر بزوبره[1].

وكنت أتعجب وأتأسف إذ كنت أرى في كتب الشِّيعة أن أعدى أعداء الشِّيعة وأقواهم هم أهل السنة والجماعة ، ورأيت رأي العين أن روح العداء قد استولت على قلوب جميع طبقات الشِّيعة ، وكل مؤمن ينبغي له أن لا تكون نسبته إلى العصر الأول أضعف من نسبة مجنون قيس إلى ليلاه حين يقول :

سأجعل عِرضي جُنَّةً دون عِرضها وديني فيبقى عِرض ليلى ودينُها

وإني وإن كان عرضي أحقرَ من أن يكون جُنَّة دون الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين ، فإني بديني لا أرضى أن يكون جنوني في هوى السلف أقل من مجنون قيس في هوى ليلى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ [آل عمران : ٣١] .

* * *

(١) أي بأجمعه وكماله . (انظر : تاج العروس ١١/٤٠٤ ، المعجم الوسيط ١/٤٠٥) .

كيف كان شيعة أهل البيت ؟ ومَنْ هم ؟

رُويت في صحائف هذا الكتاب أباطيل كثيرة كبيرة من أُمهات كتب الشِّيعة وكنت أعرف أن :

في كل جيل أباطيل يُدان بها وما تفرَّد يومًا بالهدى جيل[(١)]

إلا أنه فرقٌ كبير بين باطل وباطل ، فإن كان لباطل الإنسان ضرر ذاتي أو اجتماعي في أدبه وعمله لأمته أو لغيره فمثل هذا الباطل نحن نرده ، وإن لم يكن لباطل الإنسان وضلال عقيدته ضرر له أو لغيره فإنا قد نسكت عليه[(٢)] ، ولم أتكلم على عقائد الشِّيعة في كتابي « الوشيعة » إلامن جانب عظيم ضررها للإسلام وللشيعة ولعموم الأمة.

وأشهد الله وأقسم بصدق القرآن الكريم أن هذا لهو وجه الله الذي عجلت إليه ، ولهو المقصد الذي كتبت كتابي له وقصدت إليه.

أيا رب إني لم أرد بالذي به كتبت كتابي غير وجهك فارحم

وقد كنت أرى في كتب الشِّيعة مسائل فقهية اجتماعية أستحسنها بإعجاب ، نقلت في هذا الكتاب البعض بالنقد ، والبعض بالرد ، إذ كنت أرى للشيعة شدة التقليد بأخبار الأئمة تحت رايات دعاوى الاجتهاد.

فمن أقوم ما استجدته واستحسنته ما وافقت به كتب الشِّيعة كتبَ الأمة صادقَ الموافقة في معنى الولاية في قول الله : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾ [الأحزاب : ٦] فقد روت كتب الشِّيعة أن النبي ﷺ كان يقول : « **أَنَا أَوْلَى بالمؤمنين مِن أَنْفُسهم ، فمن تَرَك دَيْنًا أو كَلا فَعَلَيَّ ، ومن تَرَك مالا فلورثته** »[(٣)] .

---

(١) هذا البيت لأبي العلاء العري (انظر : اللزوميات ١٨٣/٢ تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي) .

(٢) الأولى أن يقال في الأولى: نرده من باب دفع العدوان، والثاني: لا نسكت عليه بل نبين وجه الحق فيه من باب النصح والبيان .

(٣) انظر: «الكافي» (٤٠٦/١)، «بحار الأنوار» (٩٥/١٦)، «علل الشرائع» للصدوق (١٢٧/١) .

وروى الصادق أن النبي ﷺ قال: «**أيما مسلم مات وترك دينًا ولم يكن في فساد ولا إسراف، فعلى الإمام أن يقضيه**»(١)، وهذا المعنى أعلى وأجمع تفسير للولاية، وأشرف وظيفة اجتماعية للنبي ﷺ وعلى الإمام بعده، وهذا هو الذي أراده الشارع في حديث غدير خم إذ قال: «**ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ... من كنت مولاه فعلي مولاه**»(٢)، وهذا شرف لعلي ولكل إمام بعده لا يوازيه ولا يقاربه شرف، أما غير هذا المعنى فلم يرده النبي الكريم ﷺ، وما ادَّعاه الإمام علي ولا إمام بعده، ولم يجئ في عرف الكتاب وعرف السنة المولى بمعنى الرياسة، وكل مؤمن مولى مؤمن ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، وأحسن شيء وأحكم شيء رأيته في كتب الشِّيعة ما يرويه «الكافي» عن الإمام الباقر عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: «لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله»(٣).

يقول الإمام الباقر: «يا جابر، أيكتفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهلَ البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين، والتعهد بالجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلا عن خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء ... واتقوا الله، ليس بين الله وبين أحد قَرابة، أحب العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم، لا يتقرب إلى الله إلا بالطاعة، وما معنا من الله براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان مطيعا لله فهو من أوليائنا، ومن كان لله عاصيا فهو لنا عدو، لا تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع»(٤).

قال الباقر: «يا معشر الشِّيعة، شيعة آل محمد، كونوا الوسط، يرجع إليكم الغالي،

---

(١) انظر: «الكافي» (٤٠٧/١)، «بحار الأنوار» (٢٤٩/٢٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٧١٣)، وأحمد (١/ ١١٨) (ح ٩٥٠)، والحاكم (٣/ ١١٨) من حديث زيد بن الأرقم رضي الله عنه، قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيح غريب»، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (ح ١٧٥٠).

(٣) انظر: «الكافي» (٧٣/٢)، «وسائل الشِّيعة» (٢٣٣/١٥).

(٤) انظر: «الكافي» (٧٤/٢-٧٥)، «وسائل الشِّيعة» (٢٣٤/١٥)، «بحار الأنوار» (٩٧/٦٧).

ويلحق بكم التالي، فقال سعد: من الغالي؟ قال: قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ليس أولئك منا ولسنا منه، وما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة»[1]. قال الباقر: «ليس منا ولا كرامة، من كان في مصرٍ فيه مئة ألف أو يزيدون، وكان في ذلك المصر أحد أورع منه»[2].

عن موسى بن جعفر قال: كثيرا ما كنت أسمع أبي جعفر الصادق يقول: «ليس منا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله من هو أورع منه»[3].

هؤلاء شيعة علي كانوا يعرفون بالورع والاجتهاد واجتناب الضغائن والعداوة، وكان لهم محبة أول الأمة، دين هؤلاء الشِّيعة كان هو التقوى، لا التقية، دين هؤلاء الشِّيعة كان هو الولاية، الولاية لله الحق، لنبيه ﷺ، لأهل بيته، ولصحبه، وللمؤمنين والمؤمنات كافة ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١]، هم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

***

(١) انظر: «الكافي» (٢/٧٥-٧٦)، «وسائل الشِّيعة» (١١/١٨٥)، «بحار الأنوار» (٦٧/١٠١).

(٢) انظر: «الكافي» (٢/٧٨)، «وسائل الشِّيعة» (١٥/٢٤٥)، «الفصول المهمة» (٢/٢١٨)، «بحار الأنوار» (٦٧/٣٠٠).

(٣) انظر: «الكافي» (٢/٧٩)، «وسائل الشِّيعة» (١٥/٢٤٦).

[خاتمة]

كتابي هذا في بدئه كان كراسة صغيرة، ذريعة ربعية، جمعت فيها عقائد من أمهات كتب الشِّيعة، قدمتها لمجتهدي الشِّيعة، وقلت: إنها - أي العقائد - لا تتحملها الأمة، ولن يرتضيها الأئمة، ولن يقبلها العقل والدين والأدب، قمت عليها قيام من ينكر العمل، وإن احترم العامل على حد قول الله: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

فإن كان فرطت مني قسوة وشدة مفرطة، فلم تكن إلا من تشقق القلب في ما يشقق منه الحجارة، في عقائد قال الله في مثلها: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠]. لم تكن إلا من سبق القلم في دفع حرارة الألم، فإني أرى أن إقامة الحد على أم المؤمنين عائشة، وتكفير أهل البيت، وعامة الصحابة، ودعوى أن فئة من منافقي الصحابة حرفت القرآن وغيرته وبدلته، أضر من عقيدة قوم ﴿ دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩١].

وكل الكتاب لا يقوم إلا على خلاف مثل هذه العقائد، ولم ينكر إلا إياها، فإني أزن العقائد بضررها وضرارها، لا بأخطائها وضلالها. وإني مهما قسوت وجفوت في البيان فلم أبلغ مبلغ كبار أئمة الشِّيعة مثل محمد بن النعمان المفيد، ومحمد بن بابويه الصدوق، ومحمد بن الحسن الطوسي في القساوة عند الخطاب.

يقول الصدوق محمد بن بابويه في رسالة العقائد: «اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله، أضل من جميع الأهواء المضلة، وأنه ما صغر الله أحد تصغيرهم بشيء»[١]، والأئمة بريئة كل البراءة من أباطليهم[٢].

* * *

(١) «الاعتقادات في دين الإمامية» (ص٩٧) بتصرف.

(٢) بل إن هؤلاء الروافض يفسقون بل يكفرون ويلعنون من رضي الله عنهم ورضوا عنه، فما سطره الإمام في وشيعته هو بيان لبعض ضلالهم ورد لشيء من عدوانهم.



أ.د . ناصر بن عبد الله القفاري
أستاذ الدراسات العليا - جامعة القصيم

مُقَدِّمَة

صَدَرَ عن آيات الشِّيعة ومَرَاجِعها مجموعة من الردود على كتاب الوشيعة بعد طبعه، وقد وقفت على ثلاثة منها: الأول: « الشِّيعة بين الحقائق والأوهام » أو « نقض الوشيعة » للمرجع الشيعي محسن الأمين العاملي، والثاني: « أجوبة مسائل جار الله » للمرجع الشيعي عبد الحسين شرف الدين الموسوي، والثالث: « كشف الاشتباه » لمرجعهم وآيتهم عبد الحسين الرشتي.

وفي البداية لا بد أن نذكر بأن الإمام موسى جار الله قبل أن ينشر كتابه « الوشيعة » قدَّم مُجمل مسائلها من خلال عشرين سؤالا لمراجع الشِّيعة وخاطبهم قائلا: « فتفضلوا أيها الأساتذة السادة بالإفادة حتى يتحد الإسلام وتجتمع كلمة المسلمين حول كتاب الله المبين »[1] - كما سبق -، وقد تم إرسال هذه المسائل إلى مراجع الشِّيعة عن طريق جمعية الرابطة العلمية النجفية، كما أفاد ذلك شيخ الرافضة الموسوي الذي قال في مطلع كتابه « أجوبة مسائل جار الله »: « وردت عليَّ مسائل موسى جار الله، كما رُفعت إلى غيري من علماء الإمامية بواسطة جمعية الرابطة العلمية الأدبية النجفية مؤرخة في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٥٣ هـ، ووردت عليَّ من طريق آخر أيضًا »[2].

يقول الشيخ موسى جار الله: « راجعت مجتهدي الشِّيعة بهذه المسائل التي نقلتها من أمهات كتب الشِّيعة ... ثم انتظرت سنة وزيادة ولم أسمع جوابًا من أحد إلا من كبير مجتهدي الشِّيعة بالبصرة، فقد قام بوظيفته وتفضل عليَّ بكل أجوبته في كتاب يزيد صفحاته على تسعين بكلمات في الطعن على العصر الأول أشد وأجرح من كلمات كتب الشِّيعة »[3].

هذا هو تقويم الشيخ موسى جار الله لموقف شيوخ الشِّيعة من مسائل « الوشيعة »

---

(١) «الوشيعة» (ص١٢٧).

(٢) «أجوبة مسائل جار الله» (ص٤) مطبعة العرفان، ١٩٥٣.

(٣) «الوشيعة» (ص١٢٨).

وأنهـم جميعًا لاذوا بالصمت سـوى كبيرهم الذي جاهر بالضـلال ، فقد تضمن جوابه ما هو أشـد مما في أمهات كتبهم ، ولذا رأى الإمام موسى جار الله بأنه لا بد من نشر الوشـيعة لعموم الأمة دفاعًا عن شرف الأمة وحرمة الدين وقيامًا بحقوق العصر الأول .

ولمـا نـشر كتابـه صـدرت بعـد ذلـك الـردود المذكـورة عليـه ، إلا أن هـذه الـردود لم تصـل للمؤلـف لأن بعضهـا - أو كلهـا - لم يصـدر إلا بعد وفاتـه ، كما أشرنـا إلى ذلك من قبـل، ويبـدو أن شـيوخ الرافضـة تعمـدت تـرك الـرد عليـه في حياتـه ، لعجزهـا عـن الرد المقنـع ، ولئـلا تتلـقى « وشـيعة » أخـرى من المؤلـف تلقف مـا يأفكون ، كيـف وقد لاذوا بالصمـت مـن قبل لما أرسـل لهـم أسـئلته المثيرة المحـيرة التي أعجزتهـم وأصابتهـم بالعي ، ولذا كان لزامًا - بعد نشرهم لهذه الردود بعد وفاة المؤلف - النظر فيها ومراجعتها وتقويمها، وقد قرأت هذه الردود ، كما اطلعت على كثير من أجوبة شـيوخ الشِّـيعة وردودهم على كتب أهل السنة ، وكانت لا تخرج عن محاور مكرورة لديهم .

ولئـلا يطول بنا القول ويتشـعب الحديث سـأعرض فيما يلي المحاور الأساسـية التي تدور عليها ردود شـيوخ الشِّـيعة على « الوشـيعة » على سـبيل الخصوص ، وعلى غيرها على سبيل العموم مع التمثيل لها من واقع كتبهم .

والله المستعان وعليه التكلان.

* * *

المحور الأول

المُجَاهَـرة

دَرَجَ بعض شيوخ الرافضة على الإصرار على الضلال والمُجاهرة به والدفاع عنه ، ومن شواهد ذلك جواب شيخ الرافضة وكبير مجتهدي البصرة على مسائل الإمام موسى جار الله في كتاب زادت صفحاته على تسعين صفحة ، وتضمنت كلمات أشد وأجرح مما جاء في أمهات كتبهم كما يقول الشيخ موسى جار الله ، ولم أقف على هذا الجواب ، لكن وقفت على أجوبة مماثلة من المجاهرة بشذوذات من عقائدهم ، وضلالات في مذهبهم ، ولم تأت هذه المجاهرة من عوامهم أو جهالهم ، بل صدرت من مراجعهم بلا خوف ولا حياء.

وصنوف هذه المجاهرة وأمثلتها كثيرة ، وسأسوق جملة منها ، وهي وإن لم يجمعها رابط موضوعي إلا أنها تجتمع على المجاهرة بالضلال بلا تقية أو كتمان.

جاء في كتب الشِّيعة المعتمدة لديها دعاوى عريضة بوجود كتب مقدسة لدى الأئمة ، وأن هذه الكتب آلت إلى مهديهم المنتظر منذ سنة ٢٦٠هـ، وأصبحت في حوزته ، وسيخرجها للناس بعد عودته من غيبته ، فاستنكر الشيخ موسى جار الله هذه الأساطير وتلك الخرافات ، ذكر أن الشِّيعة تؤمن بكتب وهمية كالجفر والجامعة ومصحف فاطمة (١) ، فأجابه مرجع الشِّيعة المعاصر محسن العاملي مقرًّا بها ، بل مفتخرًا بهذه الأوهام والأساطير فقال : « إن ضاعت صحيفة الفرائض والجفر والجامعة وما ذكر معها عنده وأمثاله ، فلم تضع عند أهلها » (٢) ، ويعني بأهلها مهديُّهم الموهوم المعدوم ، فهي كتب وهمية عند منتظَر لا وجود له إلا في ضلالات المعممين الذين يجاهرون بلا حياء بهذه الخرافات والأساطير.

ولما استنكر الشيخ موسى جار الله لوثات الغلو في عقول المعممين والتي صاروا بها ضحكة للساخرين ، وقدم أمثلة لها ، ومنها قول مرجع الشِّيعة المعاصر محمد حسين آل

---

(١) انظر: «الوشيعة» (ص١٨٩-١٩٠) .

(٢) «نقض الوشيعة» (ص٢٥٤).

كاشف الغطا : « لولا سيف عليٍّ لما اخضرَّ للإسلام عود ولما قام له عمود »[١]، وبين الشيخ موسى جار الله بأن هذه المقالة ظاهرة البطلان بنص قوله ﷺ : « **أنجز وَعْدَه ونَصَرَ عبده ، وهَزَمَ الأحزاب وحده** »[٢] ، وأن الحق الذي لا مرية فيه أنه لولا الإسلام لما كان لعليٍّ ولا لعرب الحجاز ذكر[٣] .

فأجابه مرجعهم محسن العاملي مصرًّا على هذا الغلو بلا هدى ولا كتاب منير ، فقال : « إنه لم يُسمع لسواه -يعني عليًّا رضي الله عنه- بقتيل ولا جريح في موقف من المواقف »[٤].

وهذا ظاهر البطلان يرده القرآن وما ثبت في سنة رسول الهدى ﷺ ، وترده نصوص المغازي والسير ، ولكن أبى هذا الرافضي إلا أن يفضح نفسه ويكشف كذبه ، ويتجاهل حقائق التاريخ الثابتة بلا حياء من أدب ، ولا وازع من دين ، وسبحان الله ما أشد تكذيبهم بالحقائق الثابتات وتصديقهم بالخرافات والمجهولات !!

ولما استنكر الشيخ موسى جار الله في إحدى مسائله الأربع والتي قدمها لمرجعهم محسن العاملي ظاهرة الوثنية المنتشرة في بلادهم فقال : « أرى المساجد في بلاد الشِّيعة متروكة مهملة ... وأرى المشاهد والقبور عندكم معبودة »[٥] ، ارتفعت عقيرة مرجع الشِّيعة المعاصر محمد حسين آل كاشف الغطا مفتخرًا بوثنيته ، فقال مترنمًا :

وَمِنْ حَدِيثِ كرْبلا والكَعْبةِ لكربلا بان عُلُوُ الرُّتبةِ

وقال : « إن كربلاء أشرف بقاع الأرض بالضرورة »[٦] .

ثم ذكر أنه قد شهد بذلك الكثير من الأخبار والآثار عندهم ، ولا يزال هو وأمثاله

---

(١) «أصل الشِّيعة» (ص٢٥).

(٢) أخرجه مسلم : كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ ، (ح ١٢١٨) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه .

(٣) «الوشيعة» (ص٢٦) .

(٤) «نقض الوشيعة» (ص١١١).

(٥) «الوشيعة» (ص١٧).

(٦) «الأرض والتربة الحسينية» (ص٥٥-٥٦) .

يصرون على هذه الوثنية ويجاهرون بشركهم ويسمونه توسلا ، وهو عمل وثني قائم مشهود، وشرك معلن بلا نكير ، وأقوالهم له مؤيدة ، ورواياتهم المنسوبة كذبًا لبعض الآل عليه شاهدة ، وأصولهم عليه قائمة ، وشيوخهم يمدونهم بهذا الغَيِّ ولا يُقْصِرون .

ولهذا قال العالم الإيراني أحمد الكسروي عن هذه الوثنية المنتشرة في بلاد الشِّيعة [١] : « وآخر من منكراتهم ما هو رايج فيهم من عبادة القبب ، فقد شادوا على قبر كل واحد من أئمتهم قبة من الذهب أو الفضة ، وبنوا مباني ونصبوا خدّامًا ، فيقصدها الزائرون من كل فج عميق ، فيقفون أمام الباب متواضعين ، ويستأذنون متضرعين ، ثم يدخلون فيقبِّلون القبر ويطوفون حوله ويبكون ويبتهلون ويسألون حاجات لهم ، فهل هذا إلا العبادة ؟! » ، ثم قال: « نعم إنهم يدافعون ويجيبون قائلين : إننا لا نعتقد الأئمة آلهة ، ولا نزورهم لنعبدهم، بل نعتقدهم عبادًا مقربين عند الله ، ونزورهم لكي نستشفعهم في حاجاتنا » [٢]، ولكن حجتهم داحضة ، فإن الله لا حاجة إلى الاستشفاع عنده ، وليس الله تبارك وتعالى كأحد من ملوك الأرض حتى يستشفع أحد عنده ، ثم إن هذا الجواب عين جواب المشركين في قولهم كما حكى الله عنهم : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٨] .

وقد فَصَّلت القول في هذه المسألة وأثبتُّ شواهدها وأقوال شيوخهم من مصادرها وواقعهم في كتابيَّ : « **أصول مذهب الشِّيعة الإمامية** » [٣] ، و « **مسألة التقريب** » [٤].

---

(١) أما بالنسبة لوجود بعض هذه المظاهر الشركية في بعض بلاد السنة فهو قليل بالنسبة لما هو منتشر في ديار الشِّيعة، وأيضًا فإن ما في بعض بلاد السنة منها هو انحراف في واقعهم تنكره أصولهم، بخلاف ما عند الشِّيعة فهو معروف عندهم مقرر في أصولهم، والفرق بينهما أن ما عند أهل السنة قابل للإصلاح بخلاف ما عند الشِّيعة فهو غير قابل للتغيير إلا بعد أن يتبرأوا من أصولهم ومصادر دينهم، كما أن الانحراف في بعض بلاد السنة في هذا الباب هو من تأثير التشيع الباطني، فقد ذكر أهل العلم أن الشِّيعة الباطنية هم أول من أحدث عبادة القبور في هذه الأمة. انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/١٦١-١٦٢، ١٦٧) .

(٢) «التشيع والشِّيعة» (ص٨٩) .

(٣) انظر : «أصول مذهب الشِّيعة» (٢/٢٧) وما بعدها .

(٤) انظر :«مسألة التقريب» (١/٢٩٩) وما بعدها .

وحين قال الشيخ موسى جار الله : « إنَّ الشِّيعة ترى أن حكومات الدول الإسلامية وقضاتها كلها طواغيت »[(١)] .

أجابه مرجعهم حسين الرشتي بالإقرار بذلك ، ثم حاول أن يستدل على هذه العقيدة الضالة الباطلة فزعم ثبوت الأدلة - بحسب اعتقاده - على شرعية إمامة الاثني عشر ، وبطلان ما عداها من حكم وإمامة ، وادعى بأنه يأخذ هذه الأدلة من كتب السنة المعتمدة، ثم سلك طرقهم المعروفة في الاستدلال من كتب السنة ، ومنها الاعتماد على الموضوعات المكذوبة ، فأخذ بذكر بعض الأكاذيب التي أوردها أخطب خوارزم[(٢)] فقال : « **روى صدر الأئمة أخطب خوارزم بسنده أن الله عز وجل قال لنبيه عن ولاية أئمتهم الاثني عشر : فمن قَبِلها كان عندي من المؤمنين ، ومن جحدها كان عندي من الكافرين ، يا محمد لو أن عبدًا من عبادي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحدًا لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتهم** »[(٣)] .

والنتيجة التي يريد أن يقنع بها القارئ هي أن الشِّيعة ترى كفر الحكومات الإسلامية ، ثم زعم بأن مصادر أهل السنة تشاركهم في هذا الضلال[(٤)] .

ومن المعلوم أن هذه الرواية التي جاء بها وأمثالها معلوم كذبها وفسادها بالضرورة ، قال

(١) «الوشيعة» (ص٢٤).

(٢) هو ضياء الدين أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخطيب الخوارزمي الحنفي، من تلاميذ الزمخشري المعتزلي، من أروى الناس للمكذوبات (منهاج السنة ٣٥٥/٧)، يروي فيما جمعه الأحاديث المكذوبة، وله كتاب اسمه «مناقب أهل البيت» فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث، وليس هو من أهل الحديث، ولا ممن يرجع إليه في هذا الشأن البتة (منهاج السنة ٤١/٥-٤٢، ٦٢/٧) توفي بخوارزم سنة ٥٦٨ هـ. انظر : «إنباه الرواة على أنباه النحاة» (٣٣٢/٣)، «بغية الوعاة» (٣٠٨/٢) .

(٣) «كشف الاشتباه» عبد الحسين الرشتي (ص٥٩ – ٦٣) .

(٤) وهذا هو مسلكهم الشائع، وهو تفسير قولهم الذائع، أنه «لا فرق بينهم وبين أهل السنة» والذي يردده بعض الغافلين أو المغفلين من أهل السنة بلا وعي لمقاصدهم ولا معرفة بمصطلحاتهم ومنطلقاتهم، ولذا ترى هذا الرافضي يحاول ما وسعته المحاولة أو الحيلة أن يقيم الحجة على أهل السنة من كتبهم ليأخذوا بهذا المبدأ، فهو يجاهر بهذا المبدأ ولا يتقي .

شيخ الإسلام ابن تيمية عما جمعه خطيب خوارزم من فضائل علي رضي الله عنه : « فأما من تأمل جمع هذا الخطيب فإنه يقول : سبحانك هذا بهتان عظيم »[١] ، وقال : « في روايته من الأكاذيب المختلقة ما هو من أقبح الموضوعات باتفاق أهل العلم »[٢] .

قلت : وهذا الخطيب رافضي متقنع بالسنة ، وما أورده من روايات كاذبة من مثل هذه الرواية وغيرها تثبت ذلك بلا ريب.

ومن أمثلة إصرار مراجعهم على باطلهم ومجاهرتهم بضلالهم وشذوذهم ، أنه لما ذكر الشيخ موسى جار الله أن من الأباطيل الشنيعة في كتب الشِّيعة ، قولهم بأنه إذا خرج غائبهم سيهدم حجرة النبي ﷺ ، وينبش قبر صاحبيه ، ويخرجهما حيين وهما طريان ، ثم يصلبهما على خشبة ويحرقهما ، لأن جميع الجرائم التي ارتكبها الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة بسببهما فأوزارهم عليهما[٣] .

أجابه مرجعهم وآيتهم العظمى عبد الحسين الرشتي بقوله : « **وأما مسألة نبش قبر صاحبي رسول الله ﷺ وإخراجهما حيين وهما طريان وصلبهما على خشبة وإحراقهما ، لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام من آدم إلى يوم القيامة منهما فأوزارهم عليهما ، فمسألة عويصة جدًّا ، وليس عندي شيء يدفع هذا الإشكال ، وقد صح عن أئمتنا أن حديثنا صعب مستصعب** »[٤] .

وهذا الجواب من مرجع الرافضة يثبت مجاهرتهم بهذه العقيدة الشنيعة بلا خوف أو حياء ، فهو لم يجد ملاذًا له من هذا العار الذي يلاحق الرافضة سوى أن يلجأ إلى كهف آخر مظلم لهم ، وهو قوله بأن دينهم صعب مستصعب ، يعني لا تقبله الفطر لشذوذه ، ولا العقول لتناقضه ، وهذا هو دين الفرس المجوس الحاقدين ، وليس بدين المسلمين الموحدين ، ومع ذلك فلا يزال هذا المرجع وأمثاله يعيش أسير هذا الشذوذ ، ورهين هذه الأساطير والخرافات التي عفا عليها الدهر ، لأنهم اعتمدوا منذ العصر الصفوي على مصادر لهم في التلقي هي

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (١٠٧/٤).

(٢) «المصدر السابق» (٤٠١/٧) .

(٣) انظر: «الوشيعة» (ص١١٧) .

(٤) «كشف الاشتباه» (ص١٣١) .

مورد اعتقادهم، ولذا فإنه لا يملك تكذيب هذه الخرافات ونبذها، بل يصر عليها وينشرها ويدعو لها، ولا يستند في ذلك إلى حجة سوى قوله بأن دينهم « صعب مستصعب »[(١)]، فيكشف حقيقة مذهبه من حيث يدري أو لا يدري، وهو يستند في هذا الجواب إلى أصولهم ومصادرهم في التلقي التي تعترف بهذا الشذوذ، وتقول: « إن أحاديثنا تشمئز منها القلوب، فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم »[(٢)].

بل عقدت هذه المصادر أبوابًا، وفي كل باب منها العشرات من رواياتهم وأحاديثهم لتقرير هذه الفضيحة الكبرى والعقيدة الباطلة، مثل الباب الذي عقده شيخهم المجلسي في كتابه « البحار » بعنوان: « باب أن حديثهم - عليهم السلام - صعب مستصعب... »، وأورد فيه ١١٦حديثًا من أحاديثهم التي ينسبونها كذبًا لبعض آل البيت[(٣)].

وقد صَدَقُوا في ذلك فهذا دينهم، أما شرع الله ودينه فمبناه على اليسر، قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨]، وقال سبحانه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥]، وقالﷺ: « إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ... »[(٤)] الحديث.

وهم يريدون بصعوبة دينهم شذوذه في العقول ومنافاته للفطر، وإلا فإنهم قد تحللوا من التكاليف الشرعية بدعواهم « أن حبَّ عليٍّ حسنةٌ لا يضر معها سيئة »[(٥)]، وفتحوا لأنفسهم أبواب الشهوات المحرمة باسم المتعة وقالوا: بأن كل سيئة يرتكبها

---

(١) يعني: أغلق عقلك واعتقد.

(٢) «بحار الأنوار» (٢/١٩٢).

(٣) «بحار الأنوار» (٢/١٨٣- ٢١٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٧٧)، ومسلم (٢٨١٦).

(٥) قال ابن تيمية: «إن أكثر الشِّيعة يعتقدون أن حبَّ عليٍّ حسنة لا يضر معها سيئة» (منهاج السنة ٣١/١). وأكد ذلك شيخهم وآيتهم في هذا العصر، وهو يرد بكل بلاهة وحمق، فيقول: «ما نسبه - يعني ابن تيمية - إلى كثير من الشِّيعة من القول بأن حب عليٍّ حسنة ليس يضر معه سيئة، فإنه بهتان منه، فإنهم جميعًا متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب» (منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية، محمد مهدي الكاظمي١/٩٨).

شيعي فعقوبتها على غيره باسم عقيدة الطينة[1] ، لكن اعترافهم بأن دينهم « صعب مستصعب » فضيحة من فضائحهم جزاء وفاقًا ، فإن من سنن الله الجارية أن من نسب مفترياته وضلالاته إلى دين الله وشرعه لابد أن يفتضح ويخزيه الله بأقواله وأفعاله ، كما جرت السنة في أمثاله ، كما يستحق أيضًا العقوبة الشرعية على ضلالاته ، وهذا ما جرى على مؤسسي الرفض من الزنادقة حيث عاقبهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فحرَّقهم بالنار[2] ، وما جرى على الزنادقة الذين ظهرت زندقتهم من بعده[3] ، أما من استتر بالنفاق منهم فإنه يستحق العقوبة الأخروية ، قال جل وعلا ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء : ١٤٥] وما أعظمها من عقوبة ؟!

كما لا تزال أقوالهم وأفعالهم ومصادر دينهم وفتاوى مراجعهم من خلال مطابعهم وقنواتهم ومواقعهم تفضحهم على رؤوس الأشهاد ، وتشهد على كذبهم ، وهذه سنة الله في أمثالهم ، ولذلك قال أهل العلم عن الرافضة : « ليس لهم عقل ولا نقل ، ولا دين صحيح ولا دنيا منصورة »[4] ، ثم إن ما تقوم عليه هذه النحلة يثبت أن مؤسسي هذه الديانة زنادقة أرادوا إفساد دين الإسلام ، قال ابن تيمية عن مؤسس دين الروافض ابن سبأ : « أراد فساد دين الإسلام كما أفسد بولس دين النصارى »[5] ، ولكنه لم يفلح إلا مع جهلة الشِّيعة وقد حفظ الله دينه كما حفظ القائمين عليه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، وقال ﷺ : « **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتي على الحق ظاهرين لا يَضرهم من خَذَلهم ، ولا مَنْ خَالفهم إلى يوم القيامة** »[6].

---

(١) انظر تفصيل هذه العقيدة في : «أصول مذهب الشِّيعة» (٥٩٩/٢) وما بعدها .

(٢) وأقره الصحابة على هذه العقوبة، وهي قتلهم بعد استتابتهم، إلا أن ابن عباس رضي الله عنه اعترض على وسيلة القتل محتجًا بحديث: «لا يعذب بالنار إلا رب النار» رواه أبو داود (ح ٢٦٧٣) ، وصححه الألباني .

(٣) كما فَعَل الخليفة المهدي بالزنادقة حيث عاقبهم بعد استتابتهم، فأنشأ ديوانًا خاصًا بهم، وألف هيئة علمية لمناظرتهم . انظر: «الكامل في التاريخ» (٢٧٢/٥) .

(٤) « منهاج السُّنَّة » (١٧٢/٧) .

(٥) «مجموع الفتاوى» (٥١٨/٤) .

(٦) رواه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١) .

ثم للقارئ أن يَتَسَاءَل ما سِرُّ هذه المُجَاهرة ؟ أو كيف تجتمع هذه المُجَاهرة مع مبادئ التقية والكتمان الذي هو من أُصول دينهم ؟ هل لأن الأمر خرج من أيديهم وفضحتهم مطابع النجف وقم وطهران ، فأصبحت كتبهم بما فيها من كفر وضلال وشرك وزندقة وإلحاد موضع تداول الخاص والعام ، لأنهم كما يقولون عن أنفسهم مبتلون بالنَّزَق وقلة الكتمان [١] ؟ !

أو لأن الأمر متعلق بقوتهم وضعفهم ، وقلتهم وكثرتهم ، فحينما أمنوا على أنفسهم جاهروا بضلالهم ، وحينما خافوا استتروا بتقيتهم ؟ ! ولذلك فهم إبان قوة الدولة الإسلامية كانوا يخفون كتبهم ، كما كانوا يعبرون عن تكفيرهم وطعنهم في عظماء الإسلام من الخلفاء الراشدين والمهاجرين والأنصار بالرمز والإشارة ، فيشيرون مثلا إلى أبي بكر وعمر برمز « الأول والثاني » ، و « حبتر ورزيق » ، أو « الأوثان الأربعة » [٢] .

أما في عهد الدولة الصفوية مثلا فكانوا يجاهرون بكفرهم وضلالهم ويصرحون بأسماء الخلفاء الراشدين ، والأئمة الحنفاء ، والمهاجرين والأنصار ، وأهل بدر وبيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه [٣] .

لقد خرج الأمر من أيديهم حيث فضحتهم مطابعهم وإعلامهم ، كما خرج بعضهم عن تقيته المفروضة عليه ، وذلك لشدة نزقه وقلة كتمانه ، كما اعترفوا بذلك على أنفسهم ، كما أن التقية عندهم درجات بحسب أحوالهم ، ولذلك يقسمون تقيتهم إلى أقسام أربعة : التقية الخوفية ، والتقية الإكراهية ، والتقية الكتمانية ، والتقية المداراتية [٤] .

* * *

---

(١) انظر : «أصول الكافي» (٢٢٢/١) .

(٢) انظر شواهد ذلك من كتبهم في : «أصول مذهب الشِّيعة» (٣٤٦/٢) وما بعدها .

(٣) انظر شواهد ذلك في: «المصدر السابق» (٣٣٦/٢) .

(٤) انظر : «رسالة في التقية» محمد صادق روحاني (ص١٤٨-١٤٩) .

المحور الثاني

نفي مَا هو واقع

جاءت جملة أخرى من أجوبة مراجع الشِّيعة على مسائل العلامة جار الله تنكر تمامًا ما هو واقع ، وتنفي ما هو ثابت ، وهذا ليس بمسلك الصادقين ، وسيفسر من أتباع المذهب الشيعي ومن كان على معرفة بمصادر مذهبهم على أنه تقية ، فلم يعد إنكار ما هو واقع بمُجْدٍ ، فقد فضحتهم مطابعهم وإعلامهم وواقعهم ، ولم يعد الأمر يقبل مثل هذه الأساليب الساذجة الجاهلة ، وإن كانوا أحيانًا يغلفون إنكارهم أو يحاولون ستر كذبهم بأساليب من التورية والتمويه المفضوح ، كما سيأتي في المحور الثالث على أنهم يبدؤون ردودهم - في الغالب - بالإنكار ، ثم يحاولون بعد ذلك التدرج بالقارئ لإقناعه بمذهبهم الباطل بمحاولة الاستدلال عليه بأحاديث موضوعة ، وأكاذيب مفضوحة ، وحيل مكشوفة ، وقد بينت طرقهم وحيلهم في الاستدلال في غير هذا الموضع[(١)].

لقد دَرَجَ بعض مراجعهم بلا حياء على إنكار ما هو ثابت ومستفيض ذكره في مصادرهم ، فكُتب الشِّيعة -كما يقول الشيخ موسى جار الله - « تُكَفِّر عامة الصحابة ، ولم ينج من التكفير سوى قليل منهم ، لا تزيد عدتهم على سبعة »[(٢)] ، ومع ثبوت ذلك في كتبهم يقينًا[(٣)] ، فإن شيخهم الموسوي ينكر ذلك ، بل يستعيذ بالله منه! ويقول : « نعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ومن كل معتد أثيم ، ونبرأ إليه من تكفير المؤمنين والسلف الصالح من المسلمين »[(٤)] ، ونحن نعوذ بالله من كذب هذا الرافضي ، لأن الكذب يهدي إلى الفجور.

فهذا الرد من الرافضي - وإن كان قد صاغه بألفاظ لا يدرك معناها إلا من عرف

(١) انظر: «مسألة التقريب» (٥٨/١) وما بعدها .

(٢) «الوشيعة» (ص١٠٩) .

(٣) انظر نصوصهم في: «أصول مذهب الشِّيعة» (٣٣٦/٢) وما بعدها .

(٤) «أجوبة مسائل جار الله» (ص١٠) .

مصطلحاتهم كما سيأتي في المحور الثالث - هو نفي لما هو واقع ، وهذا المسلك في الإنكار هو نوع من أنواع التقية والكتمان بلا ريب ، إذ باستعراض سريع لكتبهم المعتمدة وأقوال شيوخهم ، تتبين الحقيقة لكل ذي عينين ، فماذا يجدي مثل هذا الدفاع ؟ ولكن ما الحيلة مع قوم لا يستحون من افتضاح كذبهم ، ولا يبالون بظهور نفاقهم ، لأن الكتمان من أصول اعتقادهم ، والكذب الذي يسمونه التقية هو تسعة أعشار الدين عندهم ، بل هو الدين كله كما هو مقرر في أصولهم[1] .

إن مقالة تكفير الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه التي استنكرها جار الله ويستنكرها كل مسلم ، لأنها كفر بالإجماع ، ولأنها تكذيب لما جاء في الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ، ولا تصدر إلا عن زنديق معلوم النفاق ، ولا يصدق بها إلا من أعمى الله قلبه عن رؤية البراهين ، إن هذه المقالة مستفيضة في كتبهم ، فقد أطبقت على تكفير من رضي الله عنهم ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وسائر الصحابة أجمعين ، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد[2].

وقد أصبحت هذه المسألة بعد انتشار كتبهم من الأمور التي لا يمكن حجبها بالتقية، وصارت من أعظم الأدلة على بطلان مذهبهم ، لأن هذا التكفير العام الشامل لخير أمة أخرجت للناس ، وأفضل جيل عرفته البشرية مخالف للمعقول والمنقول وما علم بالضرورة من الدين ووقائع التاريخ والسير.

وقد كان هذا الكفر الصراح من أهم الأسباب لانكشاف زيف مذهبهم أمام أهل الإخلاص من عقلائهم وعلمائهم .

---

(١) انظر نصوصهم: «أصول الكافي» (٢١٧/١)، «المحاسن» (ص٢٥٩)، «وسائل الشِّيعة» (٤٦٠/١١)، «بحار الأنوار» (٤٢٣/٧٥)، وراجع لمزيد من التفصيل: «أصول مذهب الشِّيعة» (٤٣٥/٢) وما بعدها .

(٢) انظر نصوصهم في: «كتاب سليم بن قيس» (ص٧٤-٧٥)، «الكافي» (٢٤٤/٢)، «رجال الكشي» (ص٦-١١)، «تفسير العياشي» (١٩٩/١)، «بحار الأنوار» (٣٤٥/٢٢، ٣٥١، ٣٥٢، ٤٤٠) ، ولمزيد من التفصيل ينظر: «أصول مذهب الشِّيعة» (٣٣٦/٢-٣٥٦) .

فهذا أحد شيوخهم الكبار والذي ترك المذهب لما رأى تهافته في العقل والشرع ، وهو أحمد الكسروي يقول عن هذه المقالة الملحدة ذات الأبعاد والدلالات الخطرة : « وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ إلا ثلاثة أو أربعة منهم فاجتراء منهم على الكذب والبهتان ، فلقائل أن يقول : كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله آمنوا به حين كذبه الآخرون ، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في سبيله ، ثم ناصروه في حروبه ، ولم يرغبوا عنه بأنفسهم ؟ ! ثم أي نفع كان لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله ؟ ! فأي الأمرين أسهل احتمالاً ؟ أكذب رجل أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة ؟ ! أو ارتداد بضع مئات من خُلَّص المسلمين ؟ ! فأجيبونا إن كان لكم جواب »[1] ، وليس لديهم جواب ، ولكنهم يتظاهرون بالإنكار لمثل هذه المعتقدات الباطلة في دينهم ، والفضائح الكبرى في نحلتهم إذا تمت مواجهتهم بها ، فيلوذون في جحور التقية إذا حاصرتهم الأدلة ، وخافوا كشف القناع عن زندقتهم وإلحادهم ، وهذا ظاهر في كل جواب يصدر من مراجعهم على مسائل الضلال الكبرى الشائعة لديهم ، فيبدؤون بالإنكار، ثم يحاولون بعد ذلك أن يلوِّحوا بمعتقدهم ، ويتدرجوا في التعبير عن ديانتهم كما سيأتي ، ولكن الأصل الإنكار لما هو ثابت في مصادرهم من كفرهم وزندقتهم .

ولذلك حين قال الشيخ موسى جار الله : « وللشيعة الإمامية في تكفير الأول والثاني أبي بكر وعمر صراحة شديدة ومجازفة طاغية ... في كتب الشِّيعة ... لعنات على أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة وعلى العامة ، وهم كل الأمة بعبارات ثقيلة شنيعة ... »[2] ، واستشهد على ذلك بنصوص وردت في كتبهم المعتمدة لديهم تقشعر من سماعها جلود المؤمنين .

أجابه الرافضي بالإنكار قائلا : « ليس هذا الرجل أول من رمى الشِّيعة بهاتين المسألتين ... »[3] ، وسمى ذلك « إرجافًا وعدوانًا وإيقاظًا للفتنة وإيقادًا للحرب ، ومجرد دعاية

---

(١) «التشيع والشِّيعة» أحمد الكسروي (ص٦٨)، وانظر: «مسألة التقريب» (٢/٢٢٣).

(٢) «الوشيعة» (ص١٠٩-١١٠) .

(٣) «أجوبة مسائل جار الله» (ص١٩-٢٠) .

من بني أبي سفيان وبني مروان وأوليائهم »[١] يعني : أنه ليس لها أصل في كتبهم .

مع أن مصادرهم عقدت أبوابًا مستقلة في ذلك ، كما فعل شيخهم المجلسي في « بحاره » والذي عقد بابًا بعنوان : « باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم ولعنهم »[٢] ، وكما ترى في كتب الأدعية والزيارات من لعن الصحابة والأمة جميعًا ، كما في « دعاء صنمي قريش »[٣].

وهذا أسلوب متبع عند مراجعهم ، لاسيما في الكتب والرسائل التي تنشر في ديار أهل السنة بأقلام شيعية ، أو الموجهة للدفاع عن معتقد التشيع أو الدعاية للشيعة .

ولو ذهبت أذكر نصوص شيوخهم في إنكار ما ينسب إليهم من طامات مع مقارنته بما في كتبهم لخرجت بمئات الصفحات ، ولكن نكتفي بأصول المسائل الثابتة والتي يتجاهر شيوخهم بإنكارها مع ثبوتها في كتبهم الأساسية ، بل إن بعضهم ينكرها في مواضع ويجاهر بها في مواضع أخرى في تناقض مكشوف.

يقول الشيخ موسى جار الله : « صرحت كتب الشِّيعة أن كل الفرق الإسلامية كافرة ملعونة خالدة في النار إلا الشِّيعة ، والمخالف مطلقًا شر من الكفار »[٤] ، فأجابه مرجعهم الموسوي بقوله : « نعوذ بالله من تكفير المسلمين ، والله المستعان على كل معتد أثيم ، همَّاز مشَّاء بنميم ، كيف يجوز على الشِّيعة أن تكفر أهل الشهادتين والصلاة والصوم والزكاة والحج والإيمان باليوم الآخر ؟ »[٥] ، فهذا الإنكار من هذا الرافضي وإن صاغه بأسلوب

(١) انظر: «المراجعات» (ص٢٠) .

(٢) «بحار الأنوار» (١٤٥/٣٠) .

(٣) انظر: «بحار الأنوار» (٢٦٠/٨٢)، «تحفة العوام» لمنصور حسين (ص٤٢٣-٤٢٤)، وانظره بتمامه في ملحق الوثائق من رسالتي: «مسألة التقريب»، كما صنف شيخهم الكركي مصنفًا خاصًّا في لعن الشيخين، أسماه : «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت» .

(٤) «الوشيعة» (ص١١٣) .

(٥) «أجوبة مسائل جار الله» (ص٤٧) .

التورية كما سيأتي ، إلا أنه نفي لما هو واقع ثابت ، وإنكار لأصل مجمع عليه في نحلتهم ، لأن تكفير جميع فرق المسلمين هو محل اتفاقهم .

قال شيخهم المفيد : « واتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار ، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم ، فإن تابوا من بدعهم وصاروا إلى الصواب ، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان ، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار »[1].

وقد سطَّر أخبارَ التكفير لديهم المجلسيُّ في باب عقده في هذا الشأن بعنوان : « باب كفر المخالفين والنُّصّاب »[2].

بل إن فرق الشِّيعة من غير الإمامية كفار في كتب الشِّيعة الإمامية. يقول المجلسي : « كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفُطْحية[3] والواقفة[4] »[5].

ولما قال الشيخ موسى جار الله : « يقول الإمام الصادق في أئمة المذاهب الأربعة من هذه الأمة : « لا تأتهم ! ولا تسمع منهم ! لعنهم الله ، ولعن مللهم المشركة »[6] ، أجابه

(١) «أوائل المقالات» (ص٤٩)، وانظر: «بحار الأنوار» (٣٦٦/٨).

(٢) «بحار الأنوار» (١٣١/٦٩) .

(٣) الفطيحة : هم القائلون بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح، وسمي بذلك لأنه كان أفطح الرأس، وقيل : أفطح الرجلين، والفُطْح الاعوجاج، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه. انظر : «مقالات الإسلاميين» (١٠٢/١)، «فرق الشِّيعة» (ص٨٤) للنوبختي والقمي، «الفرق بين الفرق» (ص٨١)، « الملل والنحل» (١٦٧/١)، «منهاج السنة» (٤٨٢/٣) .

(٤) الواقفة : هم الذين وقفوا على موسى بن جعفر أنه الإمام القائم حي لم يمت، وسيخرج بعد الغيبة، ولم يأتموا بعده بإمام، ولم يتجاوزوه إلى غيره . انظر : «مقالات الإسلاميين» (١٠٣/١)، «فرق الشِّيعة» (ص٨٧) للنوبختي والقمي ، «الملل والنحل» (١٦٩/١)، «منهاج السنة» (٤٨٣/٣) .

(٥) «بحار الأنوار» (٣٤/٣٧) .

(٦) «الوشيعة» (ص١١٣) .

الموسوي الرافضي قائلا : « لا طريق لموسى جار الله وغيره في إثبات هذا القول عن أئمتنا أبدًا »[1] ، مع أنه ثبت في مصادرهم المعتمدة لديهم هذا النص وعمموه على جميع المخالفين من الأئمة الأربعة وغيرهم ، بل أدخلوا في ذلك أئمة الشِّيعة المخالفين للرافضة كأئمة الزيدية ، حيث جاء في مصادرهم ما نصه : « عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إنا نأتي هؤلاء المخالفين فنسمع منهم الحديث فيكون حجة لنا عليهم ، قال : فقال : لا تأتهم ولا تسمع منهم ، لعنهم الله ، ولعن مللهم المشركة »[2] .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية سلوكهم هذا المسلك بقوله : « هؤلاء القوم لفرط جهلهم وهواهم يقلبون الحقائق في المنقول والمعقول ، فيأتون إلى الأُمور التي وَقَعت وعُلِم أنها وقعت ، فيقولون : ما وقعت ، وإلى أمور ما كانت ويعلم أنها ما كانت ، فيقولون : كانت، ويأتون إلى الأمور التي هي خير وصلاح ، فيقولون : هي فساد ، وإلى الأمور التي هي فساد ، فيقولون : هي خير وصلاح . فليس لهم لا عَقْلٌ ولا نَقْلٌ »[3]

هذا وأمثلة إنكارهم لما هو واقع كثيرة ، وسيحمل كل عارف بمذهبهم مطلع على مصادرهم هذا الإنكار على التقية ، وهذه طبيعة مذهبهم ، وأسلوب خطابهم ونتاج تربيتهم ومقتضى ديانتهم ، بل الخروج عنه في مقاييسهم هو الضلال ، وهذا لا يكاد يوجد في دين من الأديان ، فلا أعلم مذهبًا ولا نحلة ولا ديانة تقول بأن « الكذب » هو الدين كله ، « ولا إيمان لمن لا تقية له » أي لا كذب له ، سوى هذا المذهب الذي هو في الأصل نبتة خبيثة غرسها أهل النفاق والزندقة .

* * *

---

(١) «أجوبة مسائل جار الله» (ص٥٠) .

(٢) «وسائل الشِّيعة» (٤٧٨/٢١)، «بحار الأنوار» (٢١٦/٢) .

(٣) « منهاج السُّنَّة » (٢١/٦).

المحور الثالث

الإنكارُ الخَادع أو النَّفي على سبيل التَّمويه والتَّقِيَّة

يتَّبع بعض مراجعهم في الدفاع عن نحلته والرد على مخالفيه أسلوب الخداع والتمويه، بحيث لا يعرف مرادَه ولا يقف على حقيقة مقصده سوى خواص أتباعه أو من كان على دراية بمذهبه. فانظر مثلا إلى جواب شيخهم الموسوي على الإمام موسى جار الله حول ما وقعت فيه الرافضة من الكفر والضلال في دعواها تحريف القرآن وأن القرآن الكامل بزعمهم عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه (١).

يقول هذا الموسوي: «نسب - يعني موسى جار الله - إلى التشيع القول بتحريف القرآن بإسقاط كلمات وآيات ... إلخ، فأقول: نعوذ بالله من هذا القول، ونبرأ إلى الله من هذا الجهل، وكل من نسب هذا الرأي إلينا جاهل بمذهبنا أو مفتر علينا، فإن القرآن الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته» (٢).

تأمل نفي هذا المرجع الشيعي لما هو مستفيض ومتواتر في مصادرهم باعتراف مراجعهم، ثم انظر لآخر كلامه وتأمل قوله: «... فإن القرآن الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته» ماذا يعني بالقرآن المتواتر من طرقهم؟ هل هو القرآن الذي بين أيدي المسلمين أم القرآن الغائب - كما يدَّعون - مع منتظرهم الموهوم؟!

إن تخصيصه بأنه متواتر من طرقهم إشارة للمعنى الأخير، لأن القرآن العظيم كان من أسباب حفظه تلك العناية التي بذلها عظيما الإسلام أبو بكر وعمر، وأتمها أخوهما ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه في جمعه وتوحيد رسمه، تحقيقًا لوعده عز وجل ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ومعتقد الشِّيعة في هؤلاء الثلاثة

---

(١) انظر: «الوشيعة» (ص١١١-١١٢).

(٢) «أجوبة مسائل جار الله» (ص٣٣-٣٤).

معروف، فقد بوب شيخهم المجلسي بابًا بعنوان: « باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم وقبائح آثارهم وفضل التبري منهم ولعنهم »(١) كما سبق.

وكيف يجتمع في عقل واحد وقلب واحد القول بصيانة القرآن وخيانة جامعيه؟! ثم كيف يعظم ويقدس هؤلاء المراجع كل من جاهر بهذا الكفر كالكليني والقمي والمجلسي وغيرهم ويعتمدون عليهم في التلقي؟! أليس هذا دليلا على أن إنكار هؤلاء من قبيل التقية والكذب؟!

ومن أمثلة الأساليب الخادعة في أجوبتهم، جواب شيخهم الموسوي على الإمام موسى جار الله لما ذكر أن الشِّيعة تعتبر الحكومات الإسلامية وقضاتها طواغيت(٢).

أجابه الموسوي الرافضي بقوله: « الطواغيت من الحكومات وقضاتها عند الشِّيعة إنما هم الظالمون الغاشمون المستحلون من آل محمد ما حرم الله ورسوله ... أما غيرهم من حكومات الإسلام، فإن من مذهب الشِّيعة وجوب مؤازرتهم في أمر يتوقف عليه عز الإسلام ومَنَعته، وحماية ثغوره وحفظ بيضته، ولا يجوز عندهم شق عصا المسلمين وتفريق جماعتهم بمخالفته، بل يجب على الأمة أن تعامل سلطانها القائم بأمورها والحامي لثغورها معاملة الخلفاء بالحق »(٣).

وإذا تأملت كلام هذا الموسوي رأيته قد صاغه بأسلوب التورية والتمويه وبطريقة تخدع من لا يعرف أساليبهم في التقية، فهو يقول: « إن الطواغيت من الحكومات وقضاتها عند الشِّيعة إنما هم الظالمون لآل محمد »، وهو في هذا لم يخرج عن مذهبه، لأنهم يعدون كل من تولى الحكم أو الخلافة على المسلمين في أي عصر من العصور من الظالمين لآل محمد، وحسبك أن تعلم أن أول الظالمين من الحكام - في مقاييسهم - هم الخلفاء الثلاثة رضوان الله عليهم.

---

(١) «بحار الأنوار» (١٤٥/٣٠).

(٢) «الوشيعة» (ص١١٢).

(٣) «أجوبة مسائل جار الله» (ص٤٥-٤٦).

وقوله : « **فإن من مذهب الشِّيعة وجوب مؤازرتهم - أي الحكام - في أمر يتوقف عليه عز الإسلام ...** » ، هو أيضًا مذهب الشِّيعة ، ومرادهم بـ « عز الإسلام » عزُّ مذهب الشِّيعة ، ولهذا نرى شيخهم الخميني يؤيد ما صنعه نصير الدين الطوسي من دخوله في العمل وزيرًا لهولاكو بقصد هدم الخلافة الإسلامية وإظهار مذهب الشِّيعة ، ويرى مشروعية هذا اللون من التعاون مع الدول والحكام ، فيقول : « إن من باب التقية الجائزة دخول الشيعي في ركب السلاطين ، إذا كان في دخوله الشكلي نصر للإسلام وللمسلمين ، مثل دخول نصير الدين الطوسي » (١) .

وقوله : « **يجب على الأمة أن تعامل سلطانها القائم بأمورها والحامي لثغورها...** » إلخ ، والسلطان القائم بالأمور والحامي للثغور ، لا يتحقق في اعتقاد الروافض إلا للأئمة الاثني عشر أو نوابهم من فقهاء الروافض ، أما غيرهم فلا يعتبرونهم من حماة الثغور ، ولهذا يتعاونون مع الأعداء ضد حكام المسلمين وحكوماتهم ، كما صنعوا في حقب التاريخ المختلفة ، لأنهم يعتقدون بأن كل راية ترفع قبل راية القائم فصاحبها طاغوت ، وإن كان رافعها يدعو إلى الحق (٢) .

هذا والذي دعاني أن أبين ألغاز كلام هذا الرافضي ومراميه أنه لم يشر إلى وجود تلك النصوص في كتبهم ، والتي تعتبر الحكومات الإسلامية وقضاتها وعلماءها طواغيت ، فضلاً عن أن يردها ، ثم إنه لم يذهب للرد على علمائهم الذين جاهروا بهذا الرأي ، بل ذهب يرد على موسى جار الله ، ويكذبه فيما قاله عن شيء قائم وواقع في كتب الشِّيعة ، وهذا دليل التقية ، وليس مسلك من هو صادق في دعواه.

ومثل ذلك ما مضى في المحور الثاني حينما أنكر الموسوي الرافضي في رده

(١) «الحكومة الإسلامية» (ص١٤٢).

(٢) «أصول الكافي مع شرح المازندراني» (٣٧١/١٢)، «بحار الأنوار» (١١٣/٢٥) .

على الإمام جار الله أن كتب الشِّيعة تكفر عامة الصحابة[١] ، فقال الرافضي «نبرأ إليه تعالى من تكفير المؤمنين»[٢].

فإنه بهذا الإنكار لم يتجاوز مذهبه ؛ لأنهم يقصرون الإيمان على الثلاثة أو الأربعة أو السبعة الذين يستثنونهم من عموم الصحابة رضي الله عنهم ، لأن الإيمان عندهم هو إثبات إمامة علي وبقية الاثني عشر، والكفر هو نفي إمامتهم[٣].

* * *

(١) «الوشيعة» (ص١٠٩) .

(٢) «أجوبة مسائل جار الله» (ص١٠) .

(٣) انظر تفصيل ذلك في: «أصول مذهب الشِّيعة» (١٧٣/٢) وما بعدها .

المحور الرابع

دَعْوَاهم بأنها روايات ضعيفة أو موضوعة

ومن مسالك ملالي الروافض في جوابهم عن مسائل الكفر الشائعة في مصادرهم ما يقول مراجعهم في الجواب على ما ينسب إليهم من ضلالات وكفريات، بأن هذه الروايات الموجودة في كتب الشِّيعة، هي مثل ما يوجد في بعض مصادر أهل السنة من الروايات الضعيفة والموضوعة. يقول شيخهم محسن الأمين في رده على موسى جار الله: « الكافي وغيره من كتب الأخبار لا يقول واحد من الشِّيعة بأن جميع ما فيه صحيح ... كما لا يمكنكم أن تقولوا بأن جميع ما في كتب أخباركم صحيح، وإذا كان كذلك فما فائدة علم الرجال وكتب الرجال ودراية الحديث ؟! » (١).

أقول: هؤلاء الروافض لا تكاد تقف على قول واحد لهم، فهم يجيبون على حسب الحال ومقتضى المقام « وفي التقية متسع »، فإذا كان المقام مقام دفاع أجابوا بمثل هذا الجواب، وإذا كان المقام مقام ثناء وإشادة بكتبهم وصحتها، قالوا ضد هذا القول تمامًا، فهذا آيتهم الصدر وهو من شيوخهم المعاصرين يقول في توثيق مصادر التلقي عندهم: « إن الشِّيعة... مجمعة على اعتبار الكتب الأربعة، وقائلة بصحة كل ما فيها من روايات » (٢).

وهذا آيتهم الآخر عبد الحسين الموسوي الذي رد على موسى جار الله في كتابه « أجوبة مسائل جار الله »، يقول عن كتبهم الأربعة: « وهي: الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه وهي متواترة، ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأحسنها وأتقنها » (٣).

---

(١) «الشِّيعة بين الحقائق والأوهام (نقض الوشيعة)» (ص٤١٩).

(٢) «الشِّيعة» للصدر (ص١٢٧-١٢٨).

(٣) «المراجعات» (ص١١٠، ٥٣١)، وانظر أمثال هذه الأقوال في حكمهم على مصادرهم عند شيخهم الحائري في مقال له نشره في مجلة «رسالة الإسلام»، حيث عبر عنها بقوله: «صحاح الإمامية ثمانية»، وينظر:«الوافي» للكاشاني (١١/١)، «الذريعة» أغا بذرك الطهراني (١٤/٢)، «لؤلؤة البحرين» (ص٣٧٨).

ويقول مرجعهم المعاصر وإمامهم في علم الرجال شيخهم المامقاني : « إن كون مجموع ما بين دفتي كل واحد من الكتب الأربعة من حيث المجموع متواترة مما لا يعتريه شك ولا شبهة ، بل هي عند المتأمل فوق حد التواتر ، ولكن هل هي متواترة بالنسبة إلى خصوص كل حديث ؟ وبعبارة أخرى هل كل حديث وكلمة بجميع حركاتها وسكناتها الإعرابية والبنائية وبهذا الترتيب للكلمات والحروف على القطع أو لا ؟ فالمعروف بين أصحابنا المجتهدين الثاني...وجلُّ الأخبارية على الثاني »(١) .

كما يقولون : إن الكليني حين صنف كتابه « الكافي » عمدة دين الشِّيعة قام بعرضه على إمامهم المعصوم فقال : « الكافي كافٍ لشيعتنا »(٢) .

وهذا كما لو قال أحد أهل السنة - وحاشاهم - : إن كتاب البخاري عرض على رسول الله ﷺ ، ثم قالوا : وكان بإمكانه - يعنون الكليني - معرفة صحة كل حديث يكتبه ، لأنه مقيم في بغداد في وقت الغيبة الصغرى ، والتي يسمح فيها بالاتصال بالمهدي المنتظر عبر أبوابه الأربعة ، ولذلك يقول شيخهم الحائري : « كانت منابع اطلاعات الكليني قطعية الاعتبار؛ لأن باب العلم واستعلام حال تلك الكتب بواسطة سفراء القائم ، كان مفتوحًا عليه لكونهم معه في بلد واحد (بغداد) »(٣) .

وهم وإن قال بعضهم بأن أكثر أسانيد الكافي ضعيفة ، لكنهم يقولون بصحة متونها ، يقول شيخهم الشعراني : « أسانيد الكافي وإن كان أكثرها ضعيفًا فإن مضامينها صحيحة »(٤).

إذن ، هل دعوى شيوخ الشِّيعة بأن أحاديثهم فيها الصحيح والمردود مجرد حيلة للتخلص من حكم المسلمين عليهم ؟ ! لقد تبينت لي الحقيقة من خلال دراستي للصراع

(١) «تنقيح المقال» (١/١٨٣) .

(٢) انظر : مقدمة «أصول الكافي» لحسين علي (ص٢٥)، «روضات الجنات» للخوانساري (٦/١١٦) .

(٣) «منهاج عملي للتقريب»، ضمن كتاب « الوحدة الإسلامية » (ص٣٣٣).

(٤) «تعاليق علمية على شرح الكافي للمازندراني» للشعراني (٢/ ١٢٣) .

الذي وقع بين الأصوليين والأخباريين من الشِّيعة الاثني عشرية ، فقد فضح الأخباريون إخوانهم الأصوليين ، وكشفوا ما كان مستورًا ، فبينوا أن وضع الأسانيد وتقسيم الحديث إلى صحيح وغيره عندهم ، إنما هو في الأصل محاولة لدفع نقد أهل السنة في قولهم بأن أحاديث الشِّيعة غير معنعنة ، وأن الأصوليين من الشِّيعة أخذوا تلك الاصطلاحات من كتب أهل السنة نفسها.

يقول شيخهم الحر العاملي : « والفائدة في ذكره ـ يعني السند ـ دفع تعيير العامة - يقصد أهل السنة - على الشِّيعة بأن أحاديثهم غير معنعنة بل منقولة من أصول قدمائهم » ، ويقول : « والاصطلاح الجديد - يعني تقسيمهم الحديث إلى الصحيح وغيره - موافق لاعتقاد العامة ، بل مأخوذ من كتبهم كما هو ظاهر بالتتبع »[١] .

كما كشف بعض شيوخ الشِّيعة الزيدية حقيقة خطيرة وفضيحة كبرى ، وهي أن أسانيدهم مجرد أسماء لا مسمى لها في الغالب ، حيث أثبت العالم الشيعي الزيدي أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسيني المتوفى سنة ٤٢٤هـ أن غالب أسانيد الإمامية وهمية فيقول : « إن كثيرًا من أسانيد الاثني عشرية مبنية على أسام لا مسمى لها من الرجال ، قال : وقد عرفتُ من رواتهم المكثرين من كان يستحل وضع الأسانيد للأخبار المنقطعة إذا وقعت إليه ، وحكي عن بعضهم أنه كان يجمع روايات بزرجمهر[٢] وينسبها للأئمة بأسانيد يضعها ، فقيل له في ذلك ، فقال : ألحق الحكمة بأهلها »[٣] .

إذن الشِّيعة في مقام الدفاع يقولون بأن في كتبهم الصحيح والضعيف ، مع أنهم لا يملكون مقاييس النقد السليمة للأسانيد والمتون ، وإذا كان المقام مقام ثناء بالغوا في توثيق

(١) «وسائل الشِّيعة» (٢٠/١٠٠) .

(٢) هو بزرجمهر بن بختكان الفارسي، كبير حكماء الفرس، ووزير كسرى، ومترجم كتاب «كليلة ودمنة» من الهندية إلى البهلوية، وتعزى إليه كثير من الحكم والأقوال المأثورة .

(٣) «الحور العين» (ص١٥٣) .

مصادرهـم والقـول بصحة أسـانيدها ومضامينهـا ، وما ندري أي الأمريـن يفضحهما أكثر مـن الآخـر ؟ ! ومع ذلك فـإن مما حكموا بصحته من الروايات ما هـو من الكفر بالإجماع ، كمـا سـتجد ذلك في كتابهم « صحيح الـكافي » ، وكما تجد مثل ذلك في تصحيحات المجلسي لروايـات الكافي في كتابه « مرآة العقـول » ، كما أن رواياتهم والتي هي كفر بالإجماع بلغت في مقاييسـهم حـد الاسـتفاضة والتواتر ، كما اتفقـوا على القول بأن الحكـم على أحاديثهم بالضعف والصحة إنما يتعلق بالسند فقط ، وإلا فإن مضامينها كما يقول مراجعهم صحيحة - كمـا مر - ، ولذلك قال شـيخ الطائفة الطـوسي : « إن كثيرًا من مصنفي أصحابنا وأصحاب الأصول ينتحلون المذاهب الفاسدة ، وإن كانت كتبهم معتمدة » !![1] .

* * *

(١) «الفهرست» للطوسي (ص٢٤-٢٥) .

المحور الخامس

محاولة إثبات شُذوذهم عن طريق السُّنَّة

يحاول الروافض ما وسعتهم المحاولة والحيلة تأييد شذوذهم من كتب أهل السنة، وقد لخص ابن خلدون منهجهم هذا بكلمات جامعة فقال: «إنهم يستدلون على مذهبهم بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقه، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة»[١].

أما عملية كشف تلك الأساليب فقد تولى بيانها علامة الهند شاه عبد العزيز الدهلوي في كتابه «التحفة الاثنا عشرية»، وكذلك شيخ علماء عصره - كما يصفه الألوسي - الشيخ محمد الشهير بخواجة نصر الله الهندي المكي في كتابه «الصواقع المحرقة» والكتابان لم ينشرا بعد، لكن للأول مختصر مطبوع اختصره الألوسي ونشره وعلق عليه محب الدين الخطيب، والثاني أيضًا اختصره الألوسي ونشره د/ مجيد خليفة، وقد ذكرت في «مسألة التقريب بين أهل السنة والشِّيعة»[٢] بعض هذه الوسائل، والموضوع بحاجة إلى دراسة شاملة مستقلة.

ولذلك فإن شيخ الإسلام ابن تيمية لما رأى ضخامة هذا الكيد، وضع قواعد مهمة لمعرفة صدق الخبر من كذبه ليتسنى لعموم الناس الوقوف على الحقيقة، وقد أفرد أهم هذه القواعد الشيخ عبد الله الغنيمان في رسالة مستقلة أسماها «الطرق التي يعلم بها صدق الخبر من كذبه»، وقد استخلصها من الموسوعة العظيمة «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وهذا الموضوع يحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحوث، لكن الغرض هنا تقويم ردودهم على «الوشيعة»، فقد استخدموا بعض تلك المسالك في أجوبتهم على الشيخ موسى

(١) «مقدمة ابن خلدون» (٢/٥٢٧).

(٢) انظر: «مسألة التقريب» (١/٥٨) وما بعدها.

جار الله في «الوشيعة»، فمثلاً في مسألة اعتقادهم في كتاب الله سبحانه، وما ينسب لمذهبهم من القول بالنقص والتغيير، تراهم بدلاً من أن يتوجهوا لاجتثاث ونسف قواعد هذا الكفر البواح الذي شاع وانتشر واستفحل أمره في مصادرهم، إلى حد أن شيوخهم شهدوا باستفاضته في كتبهم، وصار مذهبًا لبعض كبار رجال دينهم كالكليني وعلي بن إبراهيم القمي وغيرهما، بل صنفوا في تقرير هذا الكفر الأكبر مصنفات مستقلة، كما فعل شيخهم حسين النوري الطبرسي في كتابه «فصل الخطاب»، بدلًا من أن ينكروا هذا المنكر الأكبر ويخلصوا مذهبهم من هذا البلاء المستطير، ويتبرءوا ممن هذا مذهبه ودينه، فإنهم لم يفعلوا، بل توجهوا إلى الدفاع عن هؤلاء الزنادقة، والمنافحة عن مذهبهم الباطل، فحاولوا أن يسندوا اعتقادهم بدعوى كاذبة، فمكروا مكرًا كبّارًا، وقالوا مفترين: إن ما في كتب الشّيعة موجود مثله في كتب السنة، ولو كان الأمر كما يقولون لوجد من شيوخ السنة - وحاشاهم - من يتجاهر بهذا الكفر كحال زنادقة الشِّيعة.

ولم يجدوا وسيلة لإثبات هذه الدعوى الكاذبة إلا محاولة خداع القارئ الذي ليس له حظ من العلم الشرعي، وذلك بذكر بعض ما ورد في كتب السنة من أحاديث نسخ التلاوة واختلاف القراءات، وهذا لا مستمسك لهم به، ومسألة النسخ والقراءات مما وقع في عهد النبي ﷺ وثبت عنه، والنسخ من الله سبحانه كما قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾الآية [البقرة: ١٠٦] والتحريف من البشر، فأنى يؤفكون ؟!

والروافض أنفسهم يقرون بمنسوخ التلاوة، قال شيخهم الطبرسي: «ومنها ما يرتفع اللفظ ويثبت الحكم، كآية الرجم»[١].

والقارئ لا ينقضي عجبه من هذا المسلك الغريب في ردود الروافض، فهم يتظاهرون بإنكار هذا المنكر الأعظم والكفر الأكبر - أعني دعوى التحريف -، ومع ذلك يحاولون

---

(١) «مجمع البيان» (١/١٨٠).

ما وسعتهم المحاولة أو الحيلة تضليل القارئ بهذه الشبهة التي لا تنطلي إلا على جاهل أو أعجمي لا يفقه المعاني ولا يعرف دلالات الألفاظ ، وإلا فإنهم يعلمون علم اليقين أنها ليست من دعاوى التحريف في شيء ولكنه الكيد الخفي ، وأكاد أجزم بعدم براءة أصحاب هذا المسلك من الوقوع في ذلك الدرك المظلم .

ومثال آخر : مسألة الصحابة رضوان الله عليهم ، وما جاء في كتب الرافضة من القول بكفر أكثرهم وفسق عامتهم ، ووجود هذا الكفر في كتبهم مما لا شك فيه ، إلا أن الرافضة لم يتوجهوا لإنكار هذا المنكر الذي هو كفر بإجماع المسلمين ، والبراءة ممن قال به ، والتبري من المصادر التي جمعته ، بل حاولوا وبكل أساليب الخداع تبريره حتى زعموا وجود مثل ذلك في كتب أهل السنة ، ثم لم يجدوا ما يحتجون به إلا ما جاء من أخبار الله ورسوله عن وقوع الردة بعد وفاته ﷺ ، وهي معجزة من معجزاته ﷺ ، حيث وقع الأمر كما أخبر عليه الصلاة والسلام ، وقاتل صحابة رسول الله وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم وغيرهم هؤلاء المرتدين.

ولكن الروافض لزندقتهم ومكرهم يؤولون نصوص الردة بصحابة رسول الله ﷺ من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه من الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين وسائر الصحابة أجمعين ، بل ويحاولون إسناد مذهبهم أو كفرهم أو الدفاع عنه بمثل هذه الشبهات الواهية ، بل تجاوزوا ذلك إلى درجة أنهم راحوا يدافعون عن المرتدين من أتباع مسيلمة وبقية أهل الردة ، ويطعنون في صحابة سيد المرسلين ، سبحانك هذا بهتان عظيم.

كما يحتجون لإثبات شذوذهم من طريق السنة بمراجع يزعمون أنها من كتب السنة ، وهي أسماء لا مسمى لها ، ولا توجد تحت أديم السماء ، أو بكتب من كتب الروافض يزعمون أنها من مصنفات السنة ، أو بنصوص يعزونها إلى كتب نادرة ، ولا وجود لهذه النصوص في هذه الكتب أصلا ، أو يعمدون إلى نص صحيح فيزيدون عليه ما شاؤوا من أكاذيبهم ، أو يضعون

أسانيد صحيحة على مفتريات لهم لترويجها على أتباعهم ، أو يستأجرون مصنفين ليكتبوا لهم ، أو يتخذون من باطنية الصوفية ومن اختراقهم لطرقهم ما يحاولون بواسطته دعم مذهبهم بالأكاذيب ، ويقولون : هذه شهادات من أهل السنة![1] .

ومسالكهم متنوعة ، والمجال لا يتسع للبسط خشية أن يتضخم الكتاب ويخرج الموضوع عن هدفه الأساسي ، وهو التهذيب والتيسير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

تم بحمد الله

(١) انظر جملة من هذه الأساليب في: «مسألة التقريب» (٥٨/١) وما بعدها .

المحتويات

* * *

أ.د ناصر القفاري في سطور

- ناصر بن عبد الله بن علي القفاري.
- **تخرَّج** في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وعين معيدًا بها.
- نال درجة الماجستير، ثم درجة الدكتوراه، ثم ترقى حتى حصل على درجة الأستاذية.
- **أبرز مشايخه:** الشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ صالح بن إبراهيم البليهي، والشيخ محمد الصالح المطوع، والشيخ محمد العليط، والشيخ صالح السكيتي، والشيخ علي الضالع، وغيرهم.
- تولى رئاسة قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.
- تولى عضوية المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- ترأس اللجنة التأسيسية للجمعية العلمية السعودية للدراسات الفكرية.
- عضو اللجنة العلمية للتوعية وإجابة السائل في مكة المكرمة.
- شارك في لجان إعداد المناهج ومراجعتها في بعض الجامعات.
- عمل مستشارًا في وزارة الشؤون الإسلامية، ثم في وزارة التعليم العالي.
- شارك في مؤتمرات وندوات ودورات مختلفة داخل المملكة وخارجها.
- أشرف وناقش وحكَّم عددًا من الرسائل والأبحاث العلمية.
- ترأس لجان رعاية اليتيم وإصلاح ذات البين والهاتف الأسري وغيرها.
- له عدد من المقالات في بعض الصحف والمجلات.
- أسس وترأس «مركز سنة للاستشارات التربوية والتعليمية» عام ١٤٣٤هـ.

⊙ **له عدد من المؤلفات، منها:**

- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة (مجلدان).

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (ثلاثة مجلدات).

- أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة.

- الموجز في الأديان والفرق والمذاهب، بالاشتراك مع أ.د/ ناصر العقل.

- البراءة من المشركين بين المعنى الشرعي والتأويل الشيعي.

- بروتوكولات آيات قم.

- حقيقة ما يسمى بزبور آل محمد.

- نواقض توحيد الأسماء والصفات.

- مقدمات في الاعتقاد.

- مقدمة في الملل والنحل.

- التشيع والشيعة مما ألفه أحمد الكسروي، مراجعة وتصحيح وتحقيق وتعليق، بالاشتراك مع أ.د/ سلمان العودة.

- العقيدة والأديان والاتجاهات المعاصرة (مقرر دراسي بالاشتراك مع آخرين).

* * *



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٣٠٤٦ / ٢٠١٣م